



مجلة الحقوق

للبحوث القانونية والاقتصادية

مجلة فصلية محكمة
تصدرها
كلية الحقوق
جامعة الاسكندرية

العدد الاول ٢٠٠١



الناشر
دار الجامعة الجديدة
٢٨ ش سوتير - الأزاريطة
تليفاكس ٤٨٦٨٠٩٩

مجلة الحقوق

للبحوث القانونية الاقتصادية

مجلة الحقوق

للمبحوث القانونية والاقتصادية

مجلة فصلية محكمة تصدرها كلية الحقوق

جامعة الإسكندرية

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور

مجدي محمود شهاب

عميد الكلية

سكرتير التحرير

الأستاذ الدكتور

فتوح الشاذلي

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

الناشر

دار الجامعة الجديدة

٢٨ ش سوتير - الأزايطة - الإسكندرية

تليفاكس : ٤٨٦٨٠٩٩

رؤساء التحرير السابقون

| | |
|-------------|------------------------------------|
| ١٩٤٢ - ١٩٤٥ | أ.د. زكي عبد المتعال - مؤسس المجلة |
| ١٩٤٥ - ١٩٤٦ | أ.د. عبد المعطي الخيال |
| ١٩٤٦ - ١٩٤٩ | أ.د. السعيد مصطفى السعيد |
| ١٩٤٩ - ١٩٥٢ | أ.د. حسن أحمد بغدادي |
| ١٩٥٢ - ١٩٥٩ | أ.د. حسين فهمي |
| ١٩٥٩ - ١٩٦٤ | أ.د. أنور سلطان |
| ١٩٦٤ - ١٩٦٦ | أ.د. علي صادق أبو هيف |
| ١٩٦٦ - ١٩٦٨ | أ.د. أحمد شمس الوكيل |
| ١٩٦٨ - ١٩٧١ | أ.د. حسن حسن كيـره |
| ١٩٧١ - ١٩٧٤ | أ.د. مصطفى كمال طه |
| ١٩٧٤ - ١٩٧٧ | أ.د. علي محمد البارودي |
| ١٩٧٧ - ١٩٧٩ | أ.د. حسن خليل |
| ١٩٧٩ - ١٩٨٢ | أ.د. توفيق فـرج |
| ١٩٨٢ - ١٩٨٥ | أ.د. جلال ثروت محمد |
| ١٩٨٥ - ١٩٨٨ | أ.د. جلال علي العبدوي |
| ١٩٨٨ - ١٩٩١ | أ.د. مصطفى الجمال |
| ١٩٩٢ - ١٩٩٣ | أ.د. محمد زكي أبو عامر |
| ١٩٩٤ - ١٩٩٨ | أ.د. محمد السعيد الدقاق |
| ١٩٩٨ - ٢٠٠١ | أ.د. مصطفى سلامة حسين |

المحتويات

- ٤٤ - ٩ * الأحزاب السياسية في الإسلام
دكتور فتحي الوحيدى
- ٨٦ - ٤٥ * دراسة مشروعية إقتصادية لتمويل مشاريع البنية التحتية بأسلوب
البناء والتشغيل ثم الإعادة "BOT"
- ٢٠٢ - ٨٧ * تسوية منازعات التجارة الدولية فى منظمة التجارة العالمية
دكتور / إجلال وفاء محمددين
- ٢٥٧ - ٢٠٣ * المسئولية الجنائية الناشئة عن نقل الدم
دراسة مقارنة
دكتور / محمود خليل البحر

الأحزاب السياسية في الإسلام

الدكتور فتحي الوحيدي
أستاذ القانون العام المشارك
كلية الحقوق - جامعة الأزهر بغزة

ABSTRACT

This paper is concerned with one of the various aspects which has, been organized by Islam - the political parties. Throughout its development, Islamic history witnessed several intellectual streams including political and ideological ones. Due to its established principles, those parties showed a great impact on the development of the ruling systems that followed, and on the groups which it polarized. Some of those groups had negative influences against the Muslim nation in general.

And because the application of the theory can never come as a true reality of the theory, I studied the application itself. In other words, I studied the political parties in the Islamic history, then I studied the theory, or the Islamic political thought as regards the political parties, either in the rule or in the opposition. The significance of this paper is due to the latest developments that lead the Islamic political parties to involve in the political life of many countries.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة جانب من الجوانب المتعددة التي ينظمها ديننا الإسلامي العظيم وهو جانب الأحزاب السياسية ، فمن المعروف أن التاريخ الإسلامي في تطوره حمل اتجاهات فكرية عدة منها العقائدية ومنها السياسية ، وكان لها الأثر البالغ في تطور نظم الحكم التي تلتها لما أرسته من مبادئ وما استقطبته من مجموعات ، وقد كان لبعضها آثاره السلبية تجاه الأمة الإسلامية عامة ، ولما كان للتطبيق لا يأتي واقعاً حياً للنظرية تناولت الحديث في هذا البحث (التطبيق) أي الأحزاب السياسية في التاريخ الإسلامي ثم تناولت دراسة (النظرية) أي موقف الفكر السياسي الإسلامي من الأحزاب السياسية سواء بالتأييد أو المعارضة ، وترجع أهمية هذا البحث للتطورات الأخيرة التي حدثت في العالم الإسلامي ، وشاركت بمقتضاها العديد من الأحزاب الإسلامية في الحياة السياسية في كثير من الدول .

مقدمة:

جاء في لسان العرب لابن منظور^(١) ومعجم متن اللغة^(٢) للشيخ أحمد رضا أن الحزب معناه التوبه في ورد الماء، وورد الرجل من القرآن (أى حصته) وجاء بمعنى الطائفة الجماعة من الناس، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم، وإن لم يلق بعضهم بعضاً. والأحزاب جمع من تألبوا وتظاهروا على حرب الرسول، فكانت موقعة الأحزاب^(٣) وأحزاب الرجل، جنده وأصحابه والذين على رأيه.

وكلمة سياسى مأخوذة من كلمة "سياسة". والسياسة لغة تفيد القيام بشئون الرعية. وإستخدم العرب لفظ السياسة بمعنى الإرشاد والهداية. وتشمل دراسة السياسة، نظام الدولة وقانونها الأساسى ونظام الحكم فيها، بما يتخلله من أنشطة فردية وجماعية تؤثر فى مجريات الحياة العامة^(٤) وبالتالي توصف الجماعة بأنها سياسية عندما يكون هدف هذه الجماعة هو الوصول الى السلطة، أو البقاء أو الإشتراك فيها. وبالتالي فإضافة وصف سياسى ضرورة للتحديد وحم الخلط.

والأحزاب السياسية لم تكن فى الماضى كما هى الآن وحدة معقدة لها من الأجهزة الإدارية والموظفين ما يفوق بعض الأحيان أجهزة وموظفين الدولة. وهو الأمر الذى أدى الى صعوبة تعريف الحزب السياسى بل أن الأستاذ بيردو Burdeau يرى أنه لا يمكن إعطاء تعريف واحد شامل للحزب نظراً لأنه يختلف باختلاف المكان والزمان، ومع ذلك فهذا الفكر الليبرالى يركز على الجانب العقائدى أى على الهدف النهائى للعملية السياسية التى يقوم بها الحزب السياسى.

ولهذا يعرفه الفقيه الفرنسى بينامين كونستان بأنه "جماعة من الناس تعتق مذهباً سياسياً واحداً"^(٥) ويعرفه V. O. Key بأنه "هيئة من الأشخاص متحدثين من خلال حماس مشترك لمصلحة قومية أو مبدأ محدد يتفقون عليه"^(٦) ويعرفه أندريه هوريو بأنه تنظيم دائم يتحرك على مستوى وطنى ومحلى من أجل الحصول على الدعم الشعبى، يهدف الى الوصول الى ممارسة السلطة بغية تحقيق سياسة معينة"^(٧). أما الفقه العربى فيكاد يقترب فى تعريفاته مع الفقه الليبرالى إن لم يتفق معه اتفاقاً كاملاً فى هذه التعريفات فالدكتور سليمان الطمعاوى يعرف الحزب السياسى "بأنه جماعة متحدة من الأفراد تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية،

للفوز بالحكم، بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين^(٨). وفي المقابل أبرز الفكر الاشتراكي الجانب الطبقي حيث أصبح التركيز على التكوين الإجتماعي للحزب والإرتباطات الاقتصادية لأعضائه والمراتب التي يحتلونها في مدارج السلم الإجتماعي.

ومع ذلك فإننا نرى أنه مهما اختلفت الإتجاهات حول تعريف الحزب السياسي فإنها تدور حول ثلاثة مقومات أساسية يتعين توافرها حتى نكون أمام حزب سياسي وهي التنظيم والهدف السياسي والوحدات الأساسية^(٩).

خطة البحث:

وبعد هذا التقديم سوف نتناول بالدراسة الفكر السياسي الإسلامي والأحزاب السياسية. في مطلبين نتناول في المطلب الأول (التطبيق) أي الأحزاب السياسية في التاريخ الإسلامي. فندرس الخوارج والشيعية وأهل السنة^(١٠) ونستعرض في المطلب الثاني (النظرية) أي موقف الفكر السياسي الإسلامي من الأحزاب السياسية.

المطلب الأول

الأحزاب السياسية في التاريخ الإسلامي

لحق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى دون أن يحدد الصورة التي ينبغي أن يترسمها المسلمون في نظام الحكم مما كان سبباً في إختلاف الناس وظهور التيارات التي بدأت تقوى وتتطور بسرعة لتتشكل في صورة مذاهب وأحزاب وفرق. وبوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ الصراع السياسي يطل برأسه منذ نشوء الخلاف حول الخلافة الذي بدأ أول الأمر بين المهاجرين والأنصار ثم ما لبث أن إنتهى لقوة الوازع الديني عند المسلمين من ناحية، وشعورهم بضرورة الإتفاق السريع على من يجمع شملهم ويوحد كلمتهم ويراعى أمورهم الدينية والدنيوية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية أخرى.

ويبقى حال المسلمين هادئاً حتى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه خليفة رابعاً للمسلمين، فيستشري الخلاف بين أنصار علي وأنصار معاوية إلى أن تتم واقعة التحكيم^(١١)، فلا يرضى بها جماعة من حزب علي، فيخرجون عليه ويكونون حزباً جديداً يعرف بالخوارج^(١٢). وبهذا تكشف لنا الحوادث

التي تلت مقتل عثمان ومبايعة علي وواقعة التحكيم وتولية معاوية عن ظهور حزبين متعارضين أحدهما يمثل اليمين كما في لغة العصر وهم الشيعة^(١٢) والآخر يمثل اليسار وهم الخوارج^(١٣)، أما الوسط وهم المعتدلون فقد سحاهم المؤرخون والتقهاء بأهل السنة أو الجماعة. وعن هذا وذاك ورثت الأمة الإسلامية أحزاباً وفرقاً ذات اتجاهات سياسية متعددة، كان على أثرها ظهور الانفصال في المشرق والمغرب وقيام النظم السياسية المؤقتة في الأندلس والمغرب الأقصى ومصر والشام، وتونس وخراسان^(١٤). بالإضافة إلى أنه قد ظهر في القرن الثامن عشر والتاسع عشر فرق دينية سياسية عدة حملت أفكاراً متعددة الجوانب كان أهمها الوهابية في الجزيرة العربية، والسنوسية في ليبيا، والمهديّة في السودان. وهذه الأحزاب وإن اختلفت مناطق إيمانها إلا أنها كانت ذات مبادئ موحدة وأهداف متشابهة^(١٥) وترجع إلى أصل تاريخي واحد وتجتمع حول مبدأ سياسي واحد هو ديني في نفس الوقت. فأمّا وحدة الأصل التاريخي فهو أنها نشأت في معترك الخلاف الذي ظهر بين زعماء الإسلام الأوائل حول مسألة السلطات والحكم وترعرعت في ظل الحوادث التي أثارها النزاع بين علي بن أبي طالب الخليفة الرابع ومناقبه القوى معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الاموية في المشرق وقد ظهرت بوادر هذا الخلاف في أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحل دون إنفجارها إلا حكمته صلى الله عليه وسلم وبأس قريش ومنعتها. فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم انفجر بركان الخلاف من كل ناحية واضطر أبو بكر الخليفة الأول أن يقضى شطراً من عهد خلافته القصير في محاربة الخارجين والمردتين وإستطاع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بحزمه وعزمه أن ينقي هذه الأخطار. كذلك قتل خلفه عثمان، ولعله كان أشد الخلفاء الراشدين إستئثاراً بالحكم وأقلهم عنابة بإتقاء عوامل الشقاق والفرقة، فلما كانت خلافة علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين تمخضت عناصر الخلاف والتنافس التي لبثت منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تجيش في صدور البعض عن عدة حركات إجتاحت المجتمع الإسلامي وكانت منشأ كل الحركات التي ظهرت فيما بعد. وأما وحدة المبدأ الذي تجتمع حوله هذه الأحزاب فتراجع إلى أن معظمها قام حول مسألة الإمامة أو الخلافة أو بعبارة أخرى حول المبدأ الذي يستند إليه السلطان أو الحاكم السياسي في تولي الرئاسة والملك، وقد كانت الوجهة الدينية لهذا المبدأ مصدر الجدل المستفيض والتأويلات الجمة التي كانت ترجع إليها هذه الفرق في مختلف العصور تأييداً لخروجها على السلطة أو الأسرة القائمة وعلى ما تستند إليه من تعاليم ومبادئ^(١٦).

وعلى ضوء ما تقدم فلنتنا سندرس أهم هذه الأحزاب والفرق السياسية لنبين أهم الأسس والمبادئ الدستورية التي قامت عليها. لذلك سنتناول في الفرع الأول الشيعة وفي الفرع الثاني الخوارج وأخيراً أهل السنة والجماعة في فرع ثالث^(١٨).

الفرع الأول

الشيعة

إذا كانت الأحزاب السياسية لم تتجاوز في أصولها ثلاث أحزاب هي الشيعة والخوارج وأهل السنة فإن حزب أهل الشيعة هو أقدمها، إذ ترجع نشأة هذا الحزب إلى ذلك الفريق من الصحابة الذي رأى عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أن علي بن أبي طالب أحق الناس بخلافته في رئاسة هذه الدولة الإسلامية وذلك لقربة علي من الرسول صلى الله عليه وسلم وأصهاره إليه وحسن بلائه في نصرة الدين وكفائته الخاصة ثم وصاية الرسول صلى الله عليه وسلم له بالخلافة^(١٩). وعلى الرغم من شعور علي أنه أولى بالخلافة إلا أنه سارع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه بعد تردد نزولاً لإرادة المسلمين أو خضوعاً لنتائج النظام الانتخابي الذي تمت به مبايعة أصحابه. ولقد بقي علي في عهد أصحابه مستشاراً لهم يرجعون إليه في كثير من أمور الدولة، فلما استقر الأمر لعثمان الخليفة الثالث ورأى فيه الأمويون إستعادة لمجدهم القديم قويت فكرة العقيدة الشيعية، حتى إذا قتل عثمان وإنتهى الأمر بغلبة الأمويين إستحاتت الخلافة ملكاً وراثياً. ومن ذلك الحين عاش الشيعة حزباً معارضاً ورافضاً للحكومة، وأصبحت ترى نظاماً سياسياً ينطوي على تأييد من أكثرية المسلمين ومعارضة من الأقلية، ويستتبع سياسة حازمة حكيمة من جانب الحكام وأخرى حذيفة ثائرة رافضة أو مهادنة متربصة من جانب المعارضين. وكان علي رأس المشايخين في ذلك الوقت بعض أصحابه الأجلة كعسلمان الفارسي وأبو زر الغفاري، والمقداد بن الأسود وغيرهم، وينكر الشيعة على جماهير الأمة الإسلامية حقهم في إختيار إمامهم أو حاكمهم، لأن الإمامة كما يرون ليست من المصالح العامة. إذ أن الإمامة كما يتصورونها ركن من أركان الدين وأن النبي ملزم بتعيين الإمام للناس^(٢٠). وعلى هذا فإن أساس التشيع يدور حول الخليفة من يكون. وعند رجاله أن علي أحق بخلافة الرسول، ثم بنوه من بعده بطريق التسلسل الوراثي، فلا حق فيها لغير العلويين والمسألة على هذا النحو تتمثل في حبس الحكومة الإسلامية في بيت واحد هو بيت علي من الهاشميين، وهذا يخالف رأى الأمويين الذين حبسوها في أسرهم رعاية للكفاية، وإستمراراً

لخلافة عثمان، وإعمالاً لنتيجة التحكيم ويخالف أيضاً رأى الزبيريين الذين يرونها لقريش عامة دون الناس جميعاً ويخالف رأى الخوارج الذين وسعوا أفقها إلى أبعد مدى وجعلوها حقاً لكل فرد مسلم كفاء للتبويض بأعيانها يختاره المسلمون، فالحكومة عندهم جمهورية لا تعرف أرستقراطية الطبقات أو الأسر أو القبائل أو الجنس^(٢١).

وكان حزب الشيعة ككل حزب سياسى ينضم اليه المخلص لمبادئه ومن يرى المنفعة فيه، فتشيع قوم إيماناً بأحقية علي للخلافة وولده وتشيع قوم كره للحكم الأموى ثم العباسى لأنهم ظلموا منه، أو أن قوماً من قبائل العرب تعصبوا للأمويين فكان العداء القبلى يتطلب أن يكون خصومهم فى الجانب الآخر، وتشيع كثير من الموالى لأنهم رأوا الحكم الأموى حكماً منصوباً بالإستقراطية العربية، وأن الأمويين لم يعاملوهم معاملة لهم العرب ولم يعولوا بينهم، فاضطروا بحكم الطبيعة البشرية أن يؤيدوا من عاداهم، ولا يوجد من هم أكثر عداوة لهم من الشيعة، وتشيع قوم من الفرس لأنهم مزروا أيام الحكم الفارسى على تعطيم البيت المالك وتقديسه، وأن دم الملوك ليس من جنس ودم الشعب، فلما دخلوا فى الإسلام نظروا إلى أهل البيت نظرهم إلى البيت المالك، فإذا مات للنبي صلى الله عليه وسلم فأحق الناس بالخلافة أهل بيته. وهكذا اعتنق التشيع طوائف مختلفة لأسباب ومصالح مختلفة بل اعتنقه أيضاً قوم أرادوا الإنتقام من الإسلام، فتظاهروا بالخلو فيه خديعة ومكرأ، وهذا أمر طبيعى فى كل حزب، ففيه دائماً المخلص والمخلص ومن يعتقد ديناً ومبدأً ومن يراه جلباً لمصلحة وتحقيداً لهدف وغاية^(٢٢).

يقول ابن خلدون فى مقدمته أعلم أن الشيعة لفة هم الصحب والأتباع. ويطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والملف على أتباع علي وبنيه رضى الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين عليه فى أن الإمامة ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة، بل هى ركن للدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة. بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً رضى الله عنه هو الخليفة المختار من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أفضل الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم^(٢٣). لم يكتف إذاً أهل الشيعة بالقول بأن الإمام ركن من أركان الدين^(٢٤) وأن النبي ملزم بتعيين الإمام، وإنما ذهبوا إلى أبعد من ذلك، إلى أن قالوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد إختاره خليفة وهو علي بن أبي طالب رضى الله عنه. ويبدو أن الشيعة قد تأثروا ببعض المفاهيم السياسية التى كانت سائدة عند الفرس واليهود وإن كان تأثيرهم بالفرس عند

المفاهيم السياسية التي كانت سائدة عند الفرس واليهود وإن كان تأثيرهم بالفرس عند بعض العلماء أكثر وضوحاً خاصة ما إتصل بالنظام الملكى وتقديسه وإعتبار طاعة الحاكم واجبة لان فى طاعته طاعة الله^(٢٥). إلا أن بعضاً آخر من العلماء الأوربيين يقر ان الشيعة أخذت من اليهودية أكثر مما أخذت من الفارسية مستدلاً بأن عبد الله بن سبا أول من أظهر الدعوة الى تقديس علي كان يهودياً^(٢٦).

وينقسم الشيعة الى فرق كثيرة تختلف فيما بينها رأياً وفكراً. فهناك السنية والغرابية والزيدية والكيسانية والإمامية والإثنى عشرية والإمامية الإسماعلية والحكمية والبدروزي والنصيرية^(٢٧). ومن هذه الفرق من غالى فى تقدير علي وأبنائه حتى أخرجتهم تلك المغالاة من الإسلام، كالسنية والكيسانية والغرابية، ومنهم من إحتدل فى تقديره وتقييمه كبعض من الإمامية والزيدية فمن الغلاة نجد السبلية التى قالت بألوهية علي ويرجعه النبى محمد الى الحياة الدنيا وبأن علي لم يقتل بل صعد إلى السماء^(٢٨) ومنهم الغرابية التى زعمت أن الرسالة كانت موجهة من الله الى علي، ولكن خطأ جبريل هو الذى أوصلها الى محمد. وقد يظن بعضهم أن تسميتها بالغرابية نسبة الى غرابة تفكيرهم وإستهجانهم، ولكن تسميتهم فى الواقع ترجع الى ما قالوه من تشابه كبير بين الرسول عليه السلام وعلي رضى الله عنه الى درجة تشابه الغراب بالغراب^(٢٩). ومنهم الكيسانية وإعتقدوا بعصمة الإمام لأنه مقدس، وبالتالى فى طاعته طاعة الله^(٣٠) فالأئمة عندهم معصومون من الخطأ^(٣١) ولعل هذه الفكرة فارسية أدخلها الفرس الذين درجوا على أرسنقراطية الملوك وتقديسهم لذلك سماها العرب لزعة كسروية^(٣٢) لمخالفتها الطبيعة الإسمانية ولا سيما فى هذه البيئة العربية الإسلامية التى لا تعرف إلا الديمقراطية.

أما الإمامية فهى التى يدخل فى عموميتها أكثر مذاهب الشيعة القائمة حتى الآن فى العالم الإسلامى فى إيران والعراق وباكستان، ولقد سماوا بهذا الإسم نسبة الى الإمام لأتباعهم أكثروا من الإهتمام به وركزوا كثيراً من تعاليمهم حوله، فالذى يجمعهم هو قولهم بأن الأئمة لم يعرفوا بالوصف كما قالت بعض الفرق كالزيدية وإنما بالتعيين حيث عين النبى صلى الله عليه وسلم الإمام علي وهو الذى عين من بعده أوصياؤه الحسن ثم الحسين ويقولون بأن معرفة الإمام وتعيينه أصل من أصول الإيمان، وإذا كان علي معنياً بالإسم من النبى صلى الله عليه وسلم فأي بكر وعمر مقتصبان ظالمان يجب التبرؤ منهما.

كل هذا أدى الى خلاف نتج عنه ظهور أكثر من سبعين فرقة أشهرها الإثنى عشرية والإسماعيلية^(٣٢) فالإثنى عشرية والتي ما زالت منتشرة في إيران والعراق فإتسهم يجعلون الإمام من الإثنى عشرية إماماً يبدأون من علي بن أبي طالب الى الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه بالمهدي المنتظر الذي إختفى سنة ٢٠٦هـ وسيعود في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً. وأهم مسألة يدور عليها كلام الإمامية مسألة الإمام فهم يرون أن له صلة روحية بالله من جنس التي للكُتُبَاء والرسل. فالإمام في نظرهم يوحي اليه، والإيمان بالإمام جزء من الإيمان بشكل عام. فالأئمة هم الهداة وهم ولاة الله وخزنة علمه ولهم مقام لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل^(٣٣) وبهذا النظر يسبغ الشيعة على الإمام نوعاً من التقديس، فهو بذلك فوق الناس في طبيعته وتصرفاته وهو مشرع وهو منفذ، ولا يسأل عما يفعل، والخير والشر يقاس به، وهو قائد روحي وله سلطة تفوق حتى سلطة البابا في الكنيسة الكاثوليكية وبالتالي فله سلطة مطلقة في التشريع^(٣٤) ففقيدة الشيعة بهذا الفكر تطى للخليفة أو الإمام سلطة لا حد لها وليس لأحد أن يعترض عليه أو يناقشه^(٣٥) ولا لثائر أن يثور في وجهه ويدعى الظلم وهي بذلك أبعد ما تكون عن الديمقراطية الصحيحة التي تجعل الحكم للشعب في مصلحة الشعب وتزن التصرفات بميزان العقل ولا تجعل الخليفة والإمام والملك إلا خادماً للشعب، ومن لا يخدمهم لا يستحق البقاء في الحكم^(٣٦)، ويقول الأستاذ أحمد أمين في ضحى الإسلام قبل نصف قرن "عام ١٩٣٦م" أن أفكار الشيعة في هذا المجال هي أوهام جرت على الناس البلاء وجعلتهم يخضعون خضوعاً مطلقاً للظلم والفساد ويرضون به ولا يرفعون صوتهم بالنقد، بل ولا يقومون بأضعف الإيمان وهو الإستتار بالقلب. ويستطرد قائلاً أن النظر الشيعي الى الإمام يلقى على تاريخ الفاطميين وعلى كل الدول الشيعية ضوعاً قوياً، فنعرف السر لم كان يخضع الناس للخلفاء وكيف ينظرون اليهم نظرة التقديس، وكيف كانت تقابل أعمالهم مهما جارت وظلمت بالقبول والإستحسان، ويدلل على هذا الإستعراض ديوان ابن هاتى الأندلسي المغربي الشيعي في مدح المعز لدين الله الفاطمي، ومن الأبيات التي يذكرها^(٣٧):

- | | | |
|----------------------------|---|---------------------------|
| ما شئت لا ما شاعرت الأقدار | • | فالحكم فأتت الواحد القهار |
| وكأنما أنت النبي محمد | • | وكأنما أتصارك الأوصار |
| أنت الذي كانت تبشرنا به | • | في كتبها الأحبار والأخبار |

وترفع الإمامية الإسماعيلية المسؤولية عن الإمام، لأنهم يرون مع الإثنى عشرية، عصمة الإمام وحق التشريع بل يذهبون أكثر من ذلك إلى اعتبار أقوال الإمام كصوص الشرع تماماً يجب افعالها ولا يسوغ (إفعالها) (٣٩) والإمامية الإسماعيلية ترى أن انتقال الإمامية من جعفر الصادق ليس لإبنه موسى الكاظم كما هو عند الإثنى عشرية، ولكن إلى إبنه إسماعيل ولهذا سموا الإسماعيلية، ومنهم ظهرت فرقة الباطنية (٤٠) أو الباطنيين وذلك لاجتماعهم إلى الإستخفاء عن الناس وقولهم أن الإمام مستور وأن للشيعة ظاهر وباطن وأن الناس يعلمون علم الظاهر وعند الإمام علم الباطن، هذا وإذا كانت بعض الفرق التي ذكرناها وغيرها كالحاكمية والدرزي، قد اتخذت موقفاً مغالياً من علي وبنيه فهناك من اتسم بالإعتدال والتعقل وأشهرها الزيدية. فالزيديون لم يرفعوا الأئمة إلى مرتبة الألوهية أو النبوة، بل اعتبروهم كسائر الناس، لكنهم أفضلهم بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهم في تعاليمهم أقرب إلى أهل السنة، ولا يقولون بعصمة الأئمة، وقد أقر زعيمهم زيد بن عني بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خلافة أبي بكر وعمر ولم يخالف الجماعة في هذا (٤١). وعلى هذا إذا كان الزيديون يرون أن الإمام الذي عينه النبي صلى الله عليه وسلم هو علي بن أبي طالب، إلا أنهم لم يبنوا رأيهم هذا على أساس الاسم أو الشخص بل جاء التعيين من خلال الوصف، والتعريف، لأنه ينطبق على علي بن أبي طالب كل وصف مطلوب في الإمام كالتسبب والسورع والتقوى والعلم. أما إقرارهم بصحةبيعة أبي بكر وعمر فكان مبنياً على إختيار أهل الحل والعقد الذي يلزم الأمة بعد ذلك. ومن هنا نرى أن الزيديين هم أقرب فرق الشيعة لاهل السنة لإعتدالهم وعدم مخالفتهم في تقدير علي وبنيه وما ترتب على ذلك من مبادئ سياسية تنطلق بنظام الحكم الإسلامي.

والخلاصة أن الشيعة حزب سياسي وأنهم حاولوا إقامة حكومة في البيت الهاشمي يصفون عليها قداسة دينية ويسندونها بقرابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ووجدوا في ذلك معارضين من بني أمية. ثم انقسموا على أنفسهم إلى معسكرين، معسكر العلويين ومعسكر العباسيين، وقام العلويون بمعارضة العباسيين وإن كانت ثورتهم دائماً تقوم بإسم علي وبنيه، إذ أن العلويين كانوا يحتجون بقرابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ولما جاء العباسيون نازعوهم هذه الحجة نفسها، وقالوا أنهم أشد منهم قرابة للرسول صلى الله عليه وسلم، فالعباسيون يرجعون إلى العباس عم النبي، والعلويون ينتسبون إلى علي إبن عم النبي صلى الله عليه وسلم والعم أقرب من إبن العم (٤٢).

الفرع الثاني

الخوارج

أولاً: ظهور الخوارج:

قلما يعرض تاريخ الطوائف السياسية في الإسلام طائفة تضارع فسى الخيرة على الدعوة والإخلاص للمبدأ والتفاني في تحقيق الغاية، كطائفة الخوارج الإسلامية، لم يكن الخوارج فرقة سرية بل نشأوا في وضوح النهار ودعوا إلى تعاليمهم علانية وقد نشأت حركتهم منذ مقتل عثمان ثالث الخلفاء الراشدين، وهو حادث مازال يحورطه كثير من الغموض والريب. والظاهر أن الخوارج وإن لم يجاهروا وتقتد بمبادئهم السياسية فقد إشتروا في تدبير هذه الجريمة أو على الأقل حرضوا على ارتكابها، ثم كانوا بعد ذلك عوناً لعلي ابن أبي طالب في تولي الخلافة. وهذا ما يفسره وتوقعهم منذ البداية إلى جانب علي في محاربة أنصار الخليفة المقتول والمطالبين بثأره، ثم خروجهم عليه بعد ذلك حينما رضى بمهادنة خصومه، وقبل فكرة التحكيم حسماً بينه وبينهم، وهنا اتخذت حركة الخوارج صبغتها السياسية.

وأصل هذا الخلاف يرجع إلى أنه لما قتل عثمان وتولى على الخلافة ثار عليه فريق من خصومه وعلى رأسهم بعض الزعماء للمشهورين طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام ومعهم السيدة عائشة زوج النبي وقد نهضوا في الحقيقة لاسقاط على ولكنهم إنتحلوا لخروجهم مسألة المطالبة بدم عثمان ومعاقبة قاتليه وقد كان هذا إخراجاً لعلي وتحدياً له في الواقع لأنه نال الخلافة بمؤازرة الجناه وأنصارهم، بيد أنه حاول أن يهدئ الخارجين بالتبرئ من دم عثمان ولعن قاتليه في خطبه وأحاديثه فلم يقطع الثوار منه بذلك وإستعدوا لمحاربته، وإلتقى الفريقان بجوار البصرة، ونشبت بينهم موقعة تعرف بموقعة الجمل سنة ٣٦هـ هزم فيها الثوار وقتل طلحة والزبير. وكان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام منذ خلافة ابن عمه عثمان. وكان علي حينما ولي الخلافة قد أراد أن ينزع كل ولاية عثمان من الحكم وأن يولى مكانهم نفراً من صحبه فبعث إلى الشام عامله سهيل بن حنيفة فرده أهلها، وأظهر معاوية الخلاف، ووجد في المطالبة بدم عثمان حجة يستر بها مطامعه في الخلافة والمملك فإستأنف دعوة طلحة والزبير، وحاول على أن يحسم الخلاف بينه وبين خصمه القوى بالمفاوضة والمكاتبة، فلم يجبه معاوية إلى السلم، بل تجهز للحرب وتلاكياً بموقعة صفين سنة ٣٧هـ - ٦٥٧م، ونشبت بينهما معركة هائلة كادت تصحق فيها جيوش الشام لولا أن لجأ حليف معاوية

عمرو بن العاص الى فكرته المشهورة في الإشارة على اهل الشام برفع المصاحف فوق الرماح، ودعوة اهل العراق الى حقن الدماء وتحكيم القرآن في حسم الخلاف وكانت هذه حيلة صائبة أوقعت التفرق بين أنصار علي إذ رأى بعضهم يقول الدعوى وعارض البعض الآخر. وكان علي يؤثر رفضها لأنه أدرك أنها خدعة دبرها خصومه لإجتساب الهزيمة وإغتمام الوقت، ولكنه إضطر الى قبولها خشية التمرد، ولأن القبول كان رأى الأغلبية. وكان أشد الخارجين عليه عندئذ وأكثرهم إلحاحاً في قبول التحكيم جماعة من الزعماء منهم الأشعث بن قيس ومسعود بن فنكى التميمي وزيد بن الحصين الطائي حين قالوا: القوم يدعوننا الى كليب الله وأنت تدعوننا الى السيف، وأولئك هم الفريق الأول من الخوارج^(١٣).

ثم إختار اهل العراق أبا موسى الأشعري حكماً لهم، وإختار اهل الشام عمرو بن العاص وكتب الفريقان وثيقة بالتحكيم نص فيها على تفويض الحكيمين لتطبيق نصوص القرآن والسنة وعلى وقف الحرب والقتال حتى يتم التحكيم في ظرف أشهر من عقد الهدنة وكان ذلك في صفر سنة ٣٧هـ.

وفي رمضان سنة ٣٧هـ إجتمع الحكمان بحصن دومة الجندل في إحدى قرى الشام ومع كل منهما أربعمائة رجل من الفريق الذي يمثلته، وهنا لجأ عمر الى وسيلة معينة حيث إتفق مع أبي موسى الأشعري على أن يخلفا علياً ومعاوية وأن يكون الأسر بعد خلعهما للمسلمين فيختاروا للخلافة من شاعوا، ونفع أبا موسى الى البدء بإعلان هذا القرار، ثم نهض في أثره ووافقه على خلع علي ولكنه نادى بولاية معاوية فيبيع معاوية بالخلافة على أثر ذلك واشتد الإضطراب والتفرق بين أنصار علي. وكان نفر من اهل العراق ممن غضبوا لفكرة التحكيم قد طلبوا الى علي أن يرجع عن خطئه وأن يمضي في الحرب، وأوفدوا اليه من زعمائهم رجلين هما زرع بن البرج الطائي وحرقوق بن زهير المعدي فهدها بالخروج والحرب إذا أصر على قبول التحكيم، فاحتج علي بالمعهد الذي أبرمه وعندئذ أعلن المعارضون خروجهم عليه وأولئك هم الفريق الثاني من الخوارج.

ثم إجتمع الخوارج سواء من قبل التحكيم منهم ومن لم يقبله وإختاروا لزعمائهم عبد الله بن وهب الراسي فكان أول رؤسائهم. وإستقر أمرهم على مغادرة الكوفة وإعلان الثورة في بعض الأنحاء إنكاراً لهذه "البدعة المضلة والأحكام الجائرة. وكتبوا الى أنصارهم في البصرة يستحثونهم على اللحاق بهم ثم إتجهوا نحو الشمال إجتنباً لقتال عامل علي على

المدائن واستقروا بظاهر قرية على دجلة تعرف بالنهر اوان. وتبعهم خوارج البصرة بقيادة مسعود بن فكي بعد أن نشبت بينهم وبين قوة من أصحاب علي معركة قصيرة، وخشي على عواقب ذلك الانقسام الجديد في صفوفه فحاول أن يلاطف الخارجيين وأن يقتنعهم بخطئهم وأرسل ابن عمه عبد الله بن عباس الى مفاوضتهم ثم ذهب إلى لقتلهم بنفسه في حروراء بالقرب من الكوفة قبل أن يسيروا نحو الشمال واستطاع أن يقتنع نفعاً منهم بالعدول عن ثورتهم وسار الباقيون الى النهر اوان وأخذوا في تنظيم جموعهم والاستعداد للحرب. فعاد الى الكوفة معتزماً قتل خوارج منكرأ شأن الحكمين وخطب الناس يقول (الا أن هذين الحكمين نبذا حكم القرآن وإتبع كل واحد هواه وإختلفا في الحكم وكلاهما لم يرشد).

غير أنه رأى أن ينتهي من قتال منافسة بادئ ذي بدء وبذل لدى الخوارج مجهوداً أكبراً واستحثهم على أن يعودوا الى صفوفه لمقاتلة أهل الشام ولكنهم أصروا على الخلاف. فأخذ عندئذ في الأبهة لمحاربة معاوية وحشد كل قواته فبلغت نحو سبعين ألف مقاتل. وبينما هو يعتزم السير الى الشام إذ بلغه أن خوارج البصرة قتلوا واحداً من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم هو عبد الله بن جناب وزوجه وإبنهم يميثون فساداً في تلك الأثناء ويقتلون النساء والأطفال فبعث اليهم رسلاً ينهاهم وينذرهم بقتلهم، فعندئذ استقر رأيه ورأى أصحابه على مقاتلة الخوارج أولاً فسار نحو الشمال ولقيهم وأنذرهم بسوء العاقبة في خطاب لخص فيه أوجه الخلاف بينه وبين خصومه في قوله (ألم تعلموا إني نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم أن طلب القوم لها مكيدة وأنباكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإني أعرف بهم منكم، قد عرفتهم أطفالاً وعرفتهم رجالاً فهم شر رجال وشر أطفال وهم أهل المكر والغدر وإنكم إن فارقتموني ورأيت جانيهم الخير والحزم فصيتموني وأكرهتموني حتى حكمت، فلما فعلت استولت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن منه فأختلفا وخالفنا حكم الكتاب والسنة وعملاً بالهوى ففقدنا أمرهما) فلم يصغ الثائرون الى نصحه. ونشب القتال بين الفريقين ونددت الخوارج (لا حكم إلا لله الرواح الرواح الى الجنة) وكانت قواتهم لا تتجاوز أربعة آلاف، إتشق منها في بدء القتال نحو النصف وإقتل الباقيون قتالاً شرساً وقتل من زعمائهم عبد الله بن وهب وزيد بن حصن وحر قوس ابن زهير ولم يبق منهم إلا أفراد قاتلوا فسروا الى مختلف الأنحاء سنة ٢٨هـ وعاد الى الكوفة ليتم إستعداده لقتال معاوية. ولكنه لقي من جنده إغراضاً ونفوراً، وإنقض عنه أصحابه وقواده فسكت على مضض وليث يرقب الحوادث^(٤٤) لم تكن معركة النهر اوان نهاية الخوارج فإن أغراضهم ما لبثت أن شملت معظم النواحي، وخرج كثير

من الزعماء الذين إعتقوا دعوة الخوارج فى جموع صغيرة ونشبت بينهم وبين قوات علي معارك عدة. وكان من أخطر هذه الثورات المحلية قيام زعيم من تميم يدعى أبو مريم السعدى خرج فى قوة صغيرة من أصحابه وزحف بها على الكوفة ذاتها ودعا علي الى بيعته فبعث اليه علي بالجند فهزم أبو مريم بعد قتال مرير وقام زعيم يدعى الخريت بن راشد صار من الكوفة معلناً الثورة فأرسل إليه علي جنده ونشبت بينهما موقعة إرتحل خريت على أثرها إلى الأهواز فى إيران وأعلن دعوته هناك.

وفى ذلك الحين دبر الخوارج أول مؤامرة منظمة لقتل الرؤساء المخالفين لهم فى رأى فلجتمع بعضهم سرأ فى مكة أثناء الحج، وقرروا قتل أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ومعاوية بن سفيان وعمر بن العاص، وتعهد عبد الرحمن بن ملجم المرادى بقتل علي وتعهد الحجاج بن عبد الله الصرمى بقتل معاوية وكذلك تعهد عمرو بن بكر التميمى بقتل عمرو بن العاص، على أن يكون التنفيذ فى وقت واحد هو يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ، فسلر اين ملجم إلى الكوفة سرأ وتأهب هناك لتنفيذ الجريمة بمعاونة حصناء من الخوارج همام بها وتزوج منها وإثنين من شيعته يدعيان شبيب ووردان. وفى ليلة التنفيذ ذهب مع صاحبيه إلى المسجد، فلما خرج علي ونادى إلى الصلاة إقتضوا عليه وضربه شبيب بسيفه فأخطأه، وضربه اين ملجم بسيفه على مقدمة رأسه صائحاً (الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك) فجرحه جرحاً بالغا توفى بعده بيومين وقتل اين ملجم بعد أن غيب وقطعت أطرافه، وفقد الإسلام بمقتل علي زعيماً من أكبر زعمائه وطويت صفحة من أمجد صحف التروسية، أما الحجاج بن الصرمى وعمر بن بكر فسلر أولهما إلى الشام وكمن لمعاوية فى الليلة المثق عليها وطعنه بسيفه فأصابه فى أعلى الساق بجرح يسير وبرئ منه. وسار ثاتيهما إلى مصر وكان عمرو قد دخلها منذ بيعة معاوية، وكمن له ليلة التنفيذ، ولكن عمرا لم يخرج إلى الصلاة فى تلك الليلة لمرض أصابه فقتل اين بكر رسوله خارجة الذى ألقاه للصلاة عنه معتقداً أنه عمرو، ولما مثل أمام عمرو قال (أريت عمراً وأراد الله خارجه).

ولما قتل أمير المؤمنين علي بن أبى طالب بايع أصحابه إبنه الحسن بالخلافة وبويع بها بنفس الوقت معاوية بن أبى سفيان ولقب بأمير المؤمنين وكان قد بويع بها كما قدما منذ إجتماع الحكمين. ثم زحف فى أهل الشام لقتال الحسن وسار الحسن إلى لقائه فى أهل العواق، غير أنه ما كاد يبلغ المدائن حتى ثار عليه الجند وإنفض معظمهم عنه فإضطر إلى مفارضة

معاوية ونزل اليه عن الخلافة على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغاً آخر وأخرجاً من دار إيجرد من فارس وشروطاً أخرى. ثم ارتحل إلى المدينة وإسنتب الأمر لمعاوية، وإتفق الجماعة على بيعته ما عدا الخوارج ثم الشيعة الذين اجتمعوا في مكة حول الحسين بن علي^(٤٥).

ثانياً: أصل تسمية الخوارج:

بدأ تاريخ الخوارج السياسي- كما رأينا- عقب معركة صفين سنة ٣٧ هـ حين أنكروا واقعة التحكيم التي تمت بين أبي موسى الأشعري ممثلاً لعلي بن أبي طالب وعمر بن العاص ممثلاً لمعاوية بن أبي سفيان، حيث قال بعض الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رافضين التحكيم (أنه لا حكم إلا الله) فرد عليهم علي بقوله المشهور (كلمة حق يراد بها باطل) وإنما مذهبهم ألا يكون أميراً ولا بد من أمير بارأ كان أو فاجراً. وقد سمي الخوارج بأسماء عدة منها المحكمة والحرورية والشراء^(٤٦). فأما سبب تسميتهم بالخوارج فهو لخروجهم على علي بن أبي طالب بعد واقعة التحكيم، أو من الخروج إعتقاداً على قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٠٠ (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) أما تسميتهم بالمحكمة فيرجع لقولهم الشهير (لا حكم إلا الله) ثم بالحرورية نسبة إلى حروراء، وهي أول بلد خرجوا إليها بعد تمردهم. ثم بالشراء لأنهم شؤوا أنفسهم إيتغاء مرضاة الله تعالى أخذاً من الآية الكريمة ٢٠٧ في سورة البقرة (ومن الناس من يشرى نفسه إيتغاء مرضاة الله)^(٤٧) ومذهب الخوارج مذهب سياسي، لهذا يذهب أغلب الفقهاء إلى استعمال لفظ حزب بدلاً من مذهب أو فرقة، لما يتضمنه هذا الإصلاح من الدلالة على المعنى السياسي أكثر من الدلالة على المعنى الديني وهذا مستشف من مجمل المبادئ التي قامت عليها فرقهم المتعددة^(٤٨).

ثالثاً: المبادئ الدستورية التي تجمع فرق الخوارج^(٤٩):

إصطلقت فرق الخوارج مجموعة من المبادئ الدستورية التي تدور حول الخلافة

والحكم منها:

١- أن الخلافة حق لكل مسلم كفاء، تجتمع فيه صفات العدل والعلم والزهد. فلا يشترط في الخليفة (الحاكم) أن يكون عربياً كما تذهب إليه بعض الأحزاب الأخرى. ولا يشترط أن يكون

قرشياً كما يراه بعض أهل السنة، ولا من بنى أمية كما يراه الأمويون، ولا من بيت الرسول كما طالبت به الشيعة^(٥) فالخلافة في نظرهم حق مشترك بين المسلمين يتولاه الصالح للنهوض به في أي جنس أو طبقة، فليس يلزم أن يكون عربياً ولا قرشياً كما يقول الزبيريون ولا هاشمياً كما تقول الشيعة ولا أموياً كما يقول الأمويون فالخوارج هم عكس هذه الإستقرارية الجنسية أو القبلية أو العائلية، فكانوا دعاة المساواة الإسلامية التي تمثلها الآية الكريمة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

٢- اختيار الخليفة يجب أن يتم بانتخاب حر صحيح، يقوم به جميع المسلمين دون قيود أو شروط^(٦).

٣- فترة الخلافة ليست محدودة بمدة زمنية، وإنما يستمر الخليفة في الحكم ما دام قائماً بالعدل متبعاً للشرع مبتعداً عن الخطأ والزيف، فإن حاد وجب عزله، وإلا قوتل حتى يقتل^(٧).

٤- يرى الخوارج أنه لا حاجة إلى الإمام إذا أمكن للناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن التناصف لا يتم إلا بإمام يحملهم على الحق فإنتخبوه فهو جائز، وبالتالي فالإمامة عندهم ليست واجبة وإنما جائزة وإذا وجبت فإنما تجب بحكم المصلحة والحاجة^(٨). ونستدل على ذلك بقول علي بن أبي طالب فيهم (وإنما مذهبهم ألا يكون أمير ولا بد من أمير، بارأ كان أو فاجراً). وقد أقر الخوارج بصحة البيعة لأبي بكر وعمر، بل والثناء على أعمالهم والإعتراف بصحة خلافة عثمان في السنوات الأولى من حكمه والتبرؤ منه في السنوات الباقية. أما علي فقد أقروا أيضاً بخلافته قبل التحكيم، أما بعد التحكيم فيقتضون عليه بالكفر. هذا وإذا كان الأستاذ مصطفى الشكعة يرى في مبادئ الخوارج أساساً لجمهورية عربية ديمقراطية وذلك لمناداتهم بأن الخلافة حق لكل عربي حر، فإن ذلك كان في بداية عهدهم، أما وقد إستغنوا عن العروبة لإنضمام كثير من الأعاجم لهم، وصيرورة الخلافة حقاً لكل عالم عادل، فإننا نرى في هذه المبادئ الجديدة بعد التخلي عن العروبة، بمثابة أسس لجمهورية إسلامية ديمقراطية^(٩).

رابعاً: أحزاب الخوارج:

إنقسم الخوارج إلى أحزاب كثيرة متعددة ويقول الدكتور مصطفى الشكعة إن إختيار لفظ حزب وعدم إختيار لفظ فرقة يرجع إلى ما تقمصته كلمة حزب من الدلالة على المعنى السياسي أكثر منها دلالة على المعنى الديني. ولقد كان أكثر من إعتق المذهب الخارجي من

الأزد اليمانية، ومن تميم المضربية، وإيضم إليها بعض الموالى رغبة في مذهبهم القائم على المساواة بين المسلمين، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وأن الحكومة تكون لأكفائها من الرجال دون مراعاة جنس أو طبقة. نشأوا في أول الأمر حول البصرة وإمتازوا ببساطة العيش وثقافة الدين، لم تفسدهم الحضارة، فكانوا مثال الشجاعة وصديق العقيدة والإخلاص في التدين لا يخافون يوماً أو هلاكاً^(٥٥). كل هذه المبادئ كانت تجمع الخوارج في جملتهم، ولكن الأحداث والمحن التي توالى عليهم، وكثرة خلافتهم، كان لها أكبر الأثر في تطور مذهبهم وتفرقهم شيعاً وأحزاباً زالت عن العشرين ومن أشهرها^(٥٦):

١- الأزارقة: وهم من أشد الخوارج بأساً وألغواهم شكية، وينتسبون إلى أبي راشد نافع بن الأرق الحنفي الذي قتل في معاركة مع عبد الله بن الزبير ثم تولى القيادة بعده زعيمهم المشهور قطرى بن الفجاءة^(٥٧). وكان الأزارقة متطرفين في أفكارهم وأحكامهم حتى رموا بالشرك كل من يخالف مبادئهم واعتبروا داره دار حرب مستباحة، وكفروا علي بن أبي طالب، واعتبروا قاتله عبد الرحمن بن ملجم شهيداً^(٥٨). ويرى الأزارقة أيضاً أن القعود عن القتال إثم ويقال أنهم كفروا جميع المسلمين وأطوا قتل أطفالهم.

٢- النجدات: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، خالفوا الأزارقة في إستحلال قتل الأطفال، كما خالفوهم في حصانة أهل الذمة وذلك لإباحة دنائهم كما تباح دناء المسلمين الذين يعيشون في كنفهم. أما المبدأ السياسي الذي تميزوا به عن غيرهم من الفرق فهو أخذهم بمبدأ جوازية الإمامة على اعتبار وجود الإمام شرطاً مصلحياً وليس وجوبياً^(٥٩). وقالوا بعذر المجتهد إن أخطأ وصلب الدين عندهم هو معرفة الله ورسوله.

٣- الصفيرية: وهم أتباع زياد بن الأصفر، وكانوا أميل إلى المسالمة والاعتدال من الأزارقة، فهم لم يعتبروا مرتكب الكبيرة كافراً وإنما اعتبروه عاصياً وبالتالي فهم لم يبيحوا دناء المسلمين^(٦٠).

٤- العجاردة: وهم أتباع عبد الكريم بن عجرد، الذي خرج على نجدة بن عويمر، وبالتالي فلأروهم تقرب آراء النجدات لأنهم من أصل واحد وإن كفروا لا يرون وجوب الجهاد المستمر، وكذلك فهم لا يرون إستباحة الأموال ولا يباح مال مخالفتهم، إلا إذا قاتل، ولا يقتل إلا من يقتل^(٦١).

هـ- الأباضية : وهم أتباع عبدالله بن إِباض التميمي وهم أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى أهل السنة فكراً وأبعدهم عن الغلو والتعسف. لذلك فهم لا يزالون حتى يومنا هذا يسكنون عمان واليمن والمغرب العربي وبعض أطراف الجزيرة العربية^(١٢). ويقال أن الأباضية يغضبون حين يسمعون أحداً ينسبهم إلى الخوارج، لأنهم تبرأوا منهم ويقولون لحسن أباضية كالثعالفة والحنفية المالكية^(١٣) وخلاصة ما يراه الإباضية أن مخالفتهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين بل هم كفار لأنهم لا يكفرون بالعقيدة وإنما يكفرون النعمة. أما دعاوهم ودارهم فهي حرام. وإن الإمام لا يشترط فيه أن يكون قرشياً. بل يكفي أن يكون ورعاً تقياً، وإذا إتحرف ينشئ خلعاً^(١٤).

والخلاصة أن الخوارج حزب سياسي له مبادئ في نظام الحكومة الإسلامية جاهد في سبيلها، وألق رجال الدولة الأموية طول عهداً^(١٥). وإننا لندهش في الواقع لطرفة الناحية السياسية لهذه المبادئ وعراققتها في الحرية والديمقراطية بالمعنى المعاصر، حيث يبحث الخوارج عن إمام له من الصلوات ما يستطيع معه أن يدير شؤون المسلمين بإنصاف ونزاهة، ويحول للمسلمين أن يبحثوا عنه في أية قبيلة أو بيئة، ولا يقصرون هذا الاختيار على أسرة أو بيت معين مهما سما أصله وحسبه. والخوارج أشد الفرق الإسلامية السياسية معارضة لقيام الأسر والحكم الموروث، وأشدّها مقاومة للملك الجائر وهذا هو صمد النظرية الخارجية وفيها تجتمع كل فرق المذهب وقد لاقى الشعوب الإسلامية في جميع أنوار تاريخها من بطش الأسر وعسف الحكم الموروث ما يدل على أن الخوارج كانوا في صوغ مذهبهم السياسي أبعد الفرق الإسلامية نظراً في إدراك مطمع الأسر والمتغلبين من أصحاب العهد الموروث وأحسنها تقديراً للنزاعات والأهواء البشرية، وأوفرها احتراماً لرغبات الأفراد وحرّياتهم. بل إننا لندهش، حقاً متى تأملنا رأى الخوارج النجدية في قولهم بأن ليس على الناس أن يتخذوا إماماً إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، أليست هذه هي أحدث النظريات المتطرفة في شكل الحكومة السياسية؟ إنها اللاحكومية بذاتها، التي يرفعها دعايتها المعاصرة فوق النظم السياسية المعروفة، أفليس من الطرفة حقاً والإبتكار المدهش أن يدعو حزب الخوارج المسلمين منذ ثلاثة عشر قرناً إلى نظام ما يدعى إليه اليوم من أساليب تنظيم المجتمع.

كان الخوارج دعاة هذه المثل السياسية، يخلصون لها أشد الإخلاص وينهبون في تأييدها إلى أقصى حدود التطرف، ويشهرون الحرب على كل حكومة لا تحقق مثلهم العليا في الحكم والزهّد والورع، ولما يذكر التاريخ حركة سياسية إستطال عنها وجهادها في سبيل إستطالات حركة الخوارج، فقد لبث الخوارج يحاربون الحكومات الإسلامية القائمة زهاء قرنين من الزمان، وكانوا في كل حروبهم مثل الإقدام والجرأة والمخاطرة، ولما نبأ إز قلتنا أن الخوارج أشجع جنداً عرفهم تاريخ الإسلام وأشدهم جلدأ وبسالة، وهذا ما شهد به أصداء الخوارج أنفسهم في مواطن كثيرة^(٦٦).

ونلاحظ أخيراً ما كان لثورة الخوارج من أثر عميق في مصائر الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية فقد إستغرقت حروب الخوارج نشاط علي بن أبي طالب ومكنت مناقسه معاوية بن أبي سفيان من الإمتناع والتأهب، ثم كان قتل إبن ملجم لعلي فصل الخطأب في تنافس الزعيمين وفي قيام الدولة الأموية، وكان من جهة أخرى عملاً حاسماً- كما رأينا- في ظهور حركة الشيعة.

الفرع الثالث

أهل السنة

الخلافة وما يدور حولها من شروط وحقوق وإلتزامات هي أساس الخلاف بين المذاهب المختلفة في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، ولذلك وصفت هذه المذاهب بالسياسية أو كما يطلق عليها بلغة العصر الأحزاب السياسية، وإذا إستطعنا القول أن الشيعة كانوا يمثلون اليمين وهم أنصار الملكية الوراثية ويرون في الخلافة منصباً دينياً، والخوارج يمثلون اليسار والدعوة إلى الإنطلاق من كل قيد في الخلافة ويرون فيها منصباً دنيوياً، فإن أهل السنة يمثلون الوسط، فهم لا يأخذون بالملكية الوراثية ولا بالجمهورية وإنما يرون أن الخلافة منصب دنيوي ولكن لا بد منها لإقامة أمور الدين والدنيا وأن إختيار الخليفة يجب أن يتم بالإنتخاب الذي يعتبرونه أساس مشروعية وجود الحاكم^(٦٧) فمن أجمع أهل الحل والربط عليه وجبت طاعته على المسلمين، فالخلافة عند أهل السنة ليست وراثية، وليست حقاً دينياً أو شرفاً موقوفاً على أحد بعينه، أو وصاية متلقاة. بل هي واجب على الأمة وحق لكل مسلم عالم عادل تأليب النظر معروف بالإستقامة والتفقه في الدين من كتاب وسنة^(٦٨). والحاكم أو الإمام عند أهل السنة لا يتمتع بحصانة أو عصمة بل شأنه شأن أي فرد في الجماعة

المسئلة. له حقوق يجب أن تؤدي له، وعليه التزامات يجب أن يؤديها، وإلا تعرض للمسئولية والخروج عليه عند بعضهم، أما وجوب الإمامة عند أهل السنة فيستدل عليه بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية والإجماع^(٦٩) فقد جاء في سورة النساء الآية ٥٩ قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وأولى الأمر تشمل الخلفاء. وأما في السنة النبوية فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله. ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصى الأمير فقد عصاني^(٧٠)). أما عن الإجماع، فهو إستعمال الصحابة بعد وفاة الرسول بالعمل على إقامة خليفة له، الأمر الذي أخر من دفعه حتى تمت مبايعة الخليفة الجديد أبي بكر، ولم ينكر عليهم أحد ذلك العمل فكان إجماعاً على وجوب إقامة الخلافة.

ويضيف بعض الدارسين إلى هذه الأدلة النصية أدلة عقلية ومنطقية تقوم على أن وجوب الإمام يمنع الفتن والفتن والقتال، وأن كثيراً من الواجبات يتوقف أدائها على الإمامة. والقاعدة الأصولية أن (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) أو (ما يتوقف على الفرض فرض). وإذا كانت الخلافة في رأى أهل السنة واجبة على الأمة وحق لكل مسلم إلا أن هناك شروطاً يجب أن تتوفر في من يرشح للخلافة حتى يتمكن من القيام بكل واجباته الدينية والدينية التي يقتضيها منصبه، أوردوا الموردي في الأحكام السلطانية وهي (العدالة على شروطها الجامعة، العلم المؤدى إلى الإجتهد في النوازل والأحكام، سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصبح معها مباشرة ما يدرك بها، سلامة الأعضاء من نقص يمنع من إستيفاء الحركة وسرعة النهوض، الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتبدير المصالح، الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو، والنسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وإتقاد الإجماع عليه^(٧١)).

ويذهب أغلب علماء الفقه إلى أن أساس مشروعية الحاكم ينبع من مبايعة أهل الحل والعقد له، وبالتالي لا طاعة له ولو إستجمع جميع شروط الإمامة، إلا إذا بايعه أهل الحل والعقد، وبهذا الرأى يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف (من إستجمع الشروط المتفق عليها لا يصير إماماً له على الناس حق الطاعة إلا إذا بايعه أهل الحل والعقد الذين تختارهم الأمة من أهل العدالة والعلم والرأى، وتتبعهم في أمورهم العامة وأهمها إختيار الخليفة^(٧٢)). إلا أننا نرى أن المشروعية لا تستمد فقط من مبايعة أهل الحل والعقد، لأن هذه المرحلة لا تزيد عن كونها

ترشياً، أما الإختيار الكامل فلا يمكن أن يكون إلا بموافقة باقى المسلمين (البيعة العامة) ومنها يعتمد الحاكم مشروعيته ويلتزم العامة بطاعته، أى أنه يجب التقاء إرادتين إرادة أهل الحل والعقد فى الإختيار والترشيح وإرادة باقى المسلمين فى البيعة^(٧٣).

وأصل البيعة يتفق فى الحقيقة مع نظرية العقد الإجتماعى التى فرضها العصر الحديث فى أصل الدولة حيث قرر هوبز ولوك وجان جاك روسو أن الأصل فى قيام الدولة هو عقد بين الحاكم والمحكومين على أن يقوم الحاكم بمصلحة الرعية فى نظير طاعتها والتزامها بما تفرضه الحكومة، وإن اختلفوا فى تفسير ذلك العقد ما بين مشدد فى إلزام الحكومة ومشدد فى التزام الحاكم، وأن علماء المسلمين فى ظل النظم الإسلامية المقررة فى الإسلام قد إنتهوا الى هذا العقد وقد جعلوه واقعة عملية ولم يكن فرضاً مفروضاً على الأفراد وكان الإلتزام فيه على الحاكم أقوى من الإلتزام على المحكوم وأوثق وأشد^(٧٤).

المطلب الثاني

الفكر السياسي الإسلامي والأحزاب السياسية

أصبح لفظ الأحزاب في الفكر السياسي الحديث يمثل مدلولاً هاماً وأداة ضرورية تعتمد عليها وتقخر بها النظم الديمقراطية المعاصرة، وعلى هذا فعلى الباحث المتأنى عدم التورط في اللبس اللفظي والمعنوي لتعبير الأحزاب الذي لم يعد يرمز إلى الصراع والفتنة والتآلب على الشر، بقدر ما يدل على تلك الوسيلة الهامة للممارسة السياسية في النظم الديمقراطية، نظير ما تؤديه من وظائف وما تحققه من إستقرار في المجتمعات.

وبين المفهوم القديم للأحزاب ومعطيات العالم المعاصر اختلفت وجهات نظر من تصدى لبحث موقف الفكر السياسي الإسلامي من الأحزاب السياسية بين مؤيد ومعارض، بين قائل بأن النظام السياسي الإسلامي يسمح بتعدد الأحزاب من خلال نظرهم لحق المعارضة في الإسلام، وقائل بأن الإسلام يرفض النظام الحزبي، سواء كان على شكل الأحزاب المتعددة أو على شكل النظام الواحد. فمن المعروف أن حق أو حرية المعارضة في أي زمان ومكان ما هي الا النتيجة الطبيعية للتمتع بحرية الرأي والعدل والمساواة. فلذا استقامت حرية الرأي في أمة من الأمم أو سادت حرية للكلمة، فلا بد أن يتبع ذلك نوع من المعارضة. وما دامت حرية الرأي والعدالة والمساواة تمثل قواعد ومبادئ أساسية للنظام الحكم الإسلامي، فلا بد إذاً أن توجد المعارضة وتحترم. والمعارضة في الإسلام لا تعنى رفض كل شيء لمجرد المعارضة، أو حباً في المخالفة أو لمجرد الإنتساب لفرقة أو حزب، بحيث يصبح الفرد مخالفاً ومعارضاً للرأي الآخر مهما كان صواباً أو مستقيماً، وإنما المعارضة في الإسلام تعنى تصحيح الخطأ وطرح البديل وتكاتف الأيدي من أجل الصالح العام في حدود الأصول العامة للشرعية الإسلامية^(٧٥). يقول عليه الصلاة والسلام (لا يكن أحدكم إبعدة، يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءاتهم)^(٧٦).

والمعارضة في الإسلام هي معارضة مواقف وجزئيات وليست معارضة مبادئ وأصول. فهي لا تهدف كما في النظم الغربية إلى إزالة السلطة الحاكمة للطلوع مكانها، وإنما أول ما تهدف إليه هو كشف الخطأ وبيان وجه الصواب بمعنى أنها لا تعنى الخروج عن مبدأ

المشروعية أو عدم الطاعة لأن ذلك مستمد من البيعة التي يصفها الفقه بأنها عقد تسم بين الحاكم وبين عملة المسلمين، وهذا بطبيعة الحال يفترض فى الحاكم العدل وعدم الإحياز^(٧٧).

لهذا كان إبداء الرأى حقاً لكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامى خصوصاً فيما يهم الجماعة، بل واجباً عليه كما حثنا عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما قال (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٧٨). إلا أن المعارضة البناءة الناجحة تستدعى التنظيم، والتنظيم يستدعى جماعة مختارة من المسلمين تراقب الأفراد والجماعة والحاكم لتحاسبهم على الخطأ، قال عز وجل فى سورة آل عمران الآية ١٠٤ (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون). وأجمع الفقهاء على أن المقصود بهذه الجماعة هم أهل الحل والعقد الذين يجب أن تتوفر فيهم صفات العدل والعلم والحرية، حتى يكونوا قادرين على تحليل كافة العلاقات القائمة بين الحاكم والمحكوم، وبالتالي تنتم معارضتها بعمق التحليل وبعد النظر وسداد الرأى^(٧٩).

وبعد هذه المجالة الضرورية حول حق المعارضة فى الإسلام نقسم موقف الفكر السياسى الإسلامى من الأحزاب السياسية إلى فرعين، الأول ندرس فيه الرأى المؤيد لتعدد الأحزاب والثانى نخصصه للرأى المعارض لتعدد الأحزاب فى الإسلام.

الفرع الأول

الفكر المؤيد لتعدد الأحزاب

يذهب بعض العلماء إلى إمكانية قيام أحزاب متعددة فى ظل نظام الحكم الإسلامى لأن ذلك لا يتنافى مع ما يقرره الإسلام من أحكام ومبادئ، ويستند هؤلاء إلى ما يأتى: (٨٠)

١- للمبادئ الدستورية العامة التى يتناولها النظام الإسلامى وهى الشورى والحرية والعدالة والمساواة... الخ، هذه المبادئ يصعب الحفاظ عليها إلا فى نظام يحترم التنظيمات السياسية الشعبية، بل ويضمن لها ممارسة نشاطها فى حدود الصالح العام وأحكام الشريعة الإسلامية، فالشورى والمعارضة طريقتان لوسيلة واحدة هدفها تبادل الرأى بين الحاكم والمحكوم من أجل المصلحة العامة وفى حدود الصالح العام وإذا كان الحاكم فى صدر الإسلام

قادراً على الإحاطة بكل مشكل عصره الفقهية والسياسية، فإن الوضع في العصر الحديث قد تغير كثيراً، فالحاكم في حاجة إلى ما يسترشد به ويساتده من ناحية والمعارضة بحاجة إلى من ينظمها ويقودها من ناحية أخرى، وكلاهما تقوم به الأحزاب السياسية في الوقت الحاضر... وبالعادلة والمساواة يستطيع الضعيف أن يتمتع بالتعامل مثل القوى تماماً، كذلك الشأن بالنسبة للفقير والغني، ولكن ما الذي يحمل الفرد في عصر تعددت مشاكله وتوسعت فيه مجالات تدخل السلطة على إيداء رأيه وضمان وصوله للحاكم. إنها بطبيعة الحال تلك التنظيمات الشعبية السياسية القادرة على ضم هذه المجموعات وإعطائها القرص المتكافئة للتعبير عن الرأي وضمان فعاليته.

والإسلام يقرر حرية للرأي ويحث عليها ويضمن أداؤها، يقول عليه السلام أن أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر^(٨١). والأحزاب السياسية هي الوسيلة التي يمكن بها حمل الرأي إلى السلطة فتشرعها إذا كانت عاقلة وتقومها إذا كانت منحرفة فيزيد الأمان ويحم الاستقرار.

٢- الإسلام دين عالمي يرضى المسلمين وغير المسلمين، فإذا كانت أحكامه موجهة أصلاً لتنظيم المسلمين أولاً إلا أنه لم يترك غير المسلمين دون حماية أو رعاية، بل هناك مبدأ هام يقضى بحسن معاملة الأقليات الدينية والسياسية، داخل الدولة الإسلامية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته، أو إنتقص أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حججه يوم القيامة) ويمقتضى هذا المبدأ بمنح أصحاب هذه الأقليات حق التعبير عن آرائهم وممارسة نشاطاتهم الفكرية والسياسية من خلال تنظيمات سياسية شعبية إذا طلبوا ذلك ملتزمين في أهدافهم ووسائل عملهم بالتنظيم العام بمفهومه الإسلامي.

٣- الأحزاب السياسية تقوم بوظائف كثيرة أهمها عملية الترشيح لمختلف المناصب السياسية والإدارية بل والقضائية في بعض الدول. وهذا لا يخالف بل ويتناسب مع عدم تركيز النفس قال الله تعالى في سورة النجم الآية ٣٢ (فلا تركوا أنفسكم) ويقول عليه السلام (أنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سألته أو حرص عليه)^(٨٢) فإذا كانت مشروعية الحاكم تستند أساساً من بيعة المسلمين له أو ما يسمى بلغة العصر الانتخاب، فإنه يصعب أيضاً تمام هذه البيعة إذا لم ترشحه الأحزاب وتعرف به لعامة المسلمين، بعد موافقة أهل الحل والعقد، والتأكد

من سلامة وتوافر الشروط المطلوبة سواء كان مرشحاً للرئاسة أو لغيرها من المناصب الإدارية أو القضائية.

٤- الاختلاف فى رأى من سنن البشر، يقول الله تعالى فى سورة هود الآية ١١٨ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) ويقول عليه الصلاة والسلام (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافتרכת النصرانية على اثنتين وسبعين فرقة، ومفتترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة)^(٨٣) ولما كان الأمر كذلك كان الأجدر بالأمة الإسلامية أن تقوم هذا الخلاف وتنظمه للإستفادة منه فى صلاح المسلمين، فلا شك أن الجهد الجماعى يعطى أكثر من الجهد الفردى، وبالتالي اذا كان المصالح العام فى ظل الشريعة الإسلامية هو هدف الجماعات والأحزاب لكانت النتيجة أكثر ايجابية وأنفع فائدة.

وليس صحيحاً أن يقال بأن كل خلاف يؤدى الى إفساد المودة وإثارة البغضاء، مما يؤدى الى تمزق وفوضى بدلاً من الوحدة والإستقرار. فكم كانت الخلافات أسباباً فى الوصول الى الحقيقة وكشف الأخطاء وعاملاً من عوامل البناء، وليس معولاً من معاول الهدم والنفاء يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الشافعى: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة، الا وأنا أدعو للشافعى رحمه الله تعالى. وكان الشافعى رضى الله عنه يقول فى الإمام مالك: اذا ذكر العلماء، فمالك النجم الثاقب وما أحد آمن على من مالك^(٨٤)

الفرع الثالث

الفكر المعارض للأحزاب

يذهب أنصار هذا رأى الى أن فكرة التعدد الحزبى لا تتماشى مع روح الإسلام وأصوله ومبادئه الدستورية، ويستندون الى المبادئ التالية:

١- إبداء رأى يجب أن يتم بصورة فردية. وهذا أبو الأعلى المودودى يقول عن الأحزاب (هذه هى نتائج خطنكم فى اعتباركم مجرد قوم وتسمياتكم أنكم حزب عالمى ليس له هدف أو مصلحة سوى أن تجعل مبادئه تسود العالم كله وتحكمه، فإن أى طريق تسلكونه فى أى أمر فى حياتكم لن يكون طريقاً صحيحاً مستقيماً)^(٨٥).

وهذا القول يجعل أبا الأعلى المودودي من الداعين إلى الحزبية في نطاق النظام السياسي الإسلامي إذ أنه لم يستعمل لفظ حزب للدلالة على ما هو دارج بالمعنى المياسي في الوقت الحالي وإنما كان قصده الأمة الإسلامية التي تمثل حزب الله في مواجهة النظريات العربية والشرقية التي تمثل حزب الشيطان. ومما يؤكد هذا أن أبو الأعلى المودودي يقول (وفي مجلس الشورى الإسلامي لا يمكن أن ينقسم أعضاؤه جماعات وأحزاباً، بل يبدى كل واحد منهم رأيه بالحق بصفته الفردية، فإن الإسلام يلزم أن يتحزب أهل الشورى، ويكونوا مع أحزابهم سواء كانت على حق أم على باطل) (٨٦)

٢- الآيات القرآنية الكريمة في مجملها تدعو إلى وحدة الجماعة وعدم الفرقة والتحزب لما في ذلك من تنازع وإقسام. قال الله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٩ (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) وقال في سورة الأنفال الآية ٤٦ (ولا تتزاعوا فتشغلوا فتذهب ريحكم) وقال في سورة آل عمران الآية ١٠٣ (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال في سورة الروم الآيات ٣١ و ٣٢ (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) صدق الله العظيم.

والخلاصة أن الإسلام جاء بمبادئ وأصول علمية تضمن للفرد جميع حقوقه وتحقق للسلطة كامل استقرارها مما يؤدي إلى إقامة التوازن المستمر بين السلطة والحرية وأن الخلاف حول شرعية الأحزاب السياسية في ظل نظام إسلامي هو خلاف حول جزئية صغيرة في جانب واحد من جوانب الفكر السياسي الإسلامي ككل وبالتالي فإن كل رأي يقال في هذا المجال يبدو ناقصاً إذا لم يكن متفاعلاً مع الجوانب المتعددة للنظام الإسلامي والمبادئ الأصولية التي تقوم عليها شريعتنا الغراء.

وإذا كان النظام الإسلامي في صدر الإسلام لم يعرف ولم يستغنى الأحزاب سواء تعددت أو لم تعدد، فإن ذلك يبرره عدم وجود أي خلاف في فلسفة الحكم. أما وقد إنتهت هذه الفترة بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وقد نشأ الخلاف وثار للجدل وتعددت الآراء، مما ساعد على حرية الفكر وبران الناس على تقبل الأفكار المعارضة بصدر رحب، مما كان له بالغ الأثر في مد الفكر السياسي الإسلامي بنظريات سياسية كانت مثار إعجاب الفكر السياسي الحديث وتقدير الكتاب المعاصرين الذين تبنا الديمقراطية الحديثة (٨٧). والحقيقة أن النظام الحزبي في العصر الحديث ليس غاية وإنما هو وسيلة لتحقيق أفضل وسيلة للحكم

عن طريق تمكين الشعب من المشاركة في السلطة لمنع الحاكم من الاستبداد في الحكم وحمل السلطة على تقبل توجيهات مثل هذه الغايات والأهداف، فلمنا بحاجة الى مثل ذلك من الوسائل، اذا طبقت هذه المبادئ تطبيقاً تاماً وسليماً، أما إذا حل زمن وابتعد نظام الحكم عن هذه المبادئ والأصول فلا مانع من الأخذ بنظام الأحزاب، وذلك لمنع الحرج وتحقيق المصلحة العامة للمسلمين، ونرى أن مستقبل الحركات الدينية المعاصرة في بلاد المسلمين يبشر بالأمل لامكانية العودة لمبادئ ديننا الإسلامي الحنيف وذلك عن طريق قدرة هذه الحركات والتجمعات الإسلامية من إستمالة الرأي العام في مختلف الدول الإسلامية ، الأمر الذي قد يؤدي الى وحدة إسلامية بأمرع وأكثر الطرق الشرعية، مما لا يعطى الحاكم فرصة التصدى لها والقضاء عليها^(٨٨). وما نراه في جواز قيام الأحزاب في الإسلام ليس أساسه تمثيل الطبقات أو الفئات، وإنما يجب أن تقوم على أساس المناهج والبرامج التي تهدف فيسئثل المبادئ الإسلامية الى مستقبل أحسن وحياة أفضل للمجتمع الإسلامي الواحد.

فلذا كان للأفراد حق إيداء المعارضة من خلال تنظيمات سياسية يضمونها لهم حق التعبير وحرية الرأي، فإن ذلك مقيد بالنظام العام الذي أرسى قواعده كل من كتاب الله والسنة النبوية الشريفة^(٨٩).

مصادر وهوامش الدراسة

- ^١ - راجع ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، المجلد الأول، بيروت، ص ٢٠٨
- ^٢ - راجع العلامة اللغوية الشيخ أحمد رضا، معجم مقن اللغة، المجلد الثاني، بيروت، سنة ١٩٥٨، ص ٧٦ ولزيد من التفصيل راجع الفيروزبادي، قاموس المحيط، الجزء الأول، ص ٥٦.
- ^٣ - موقعة الأحزاب "الخنق" موصوفة في سورة الأحزاب، وهي مخفية نزلت في المناقنين وليذاتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي ثلاث وسبعون آية، والأحزاب هم أولئك الذين تجمعوا في السنة الخامسة للهجرة حول المدينة لمحاربة المسلمين وهم قريش وبنو قريظة وبنو النضير وبمعص القبائل العربية، راجع تفسير القرطبي، الجزء ١٤ ص ١١٣، وكذلك راجع أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، ص ٤٤.
- ^٤ - راجع ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس ص ١٠٦ - ولحدد عطيه، للقاموس السياسي، سنة ١٩٨٠، والدكتور محمد طه بدوي، أصول علم السياسة، سنة ١٩٦٥، ص ٤٦.
- ^٥ - لمزيد من التفصيل حول موضوع الأحزاب السياسية راجع رسالتنا للدكتوراه "ضمانات نفلا القواعد الدستورية، مقدمة إلى كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٨٢م، ص ٣٢٨-٣٥٥، كذلك للدكتور بطرس غالي، الاشتراكية الديمقراطية، مؤسسة الأهرام سنة ١٩٨٠، ص ١٥.
- ^٦ - Key (V.O.): Politics, Parties and pressures groups, Thomas Crowell Co. New York 1953, p. 222.
- ^٧ - Hauriou {A}, Gicquel {J} et Gelard {P}: Droit constitutionnel et Institutions politiques, edition Montchrestien, Paris. 1980.p. 276 etc.
- ^٨ - راجع الدكتور سليمان الطماوي، السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر السياسي الإسلامي، طبعة سنة ١٩٧٩، ص ٥٦٩.
- ^٩ - لمزيد من التفصيل حول موضوع تعريف الحزب السياسي راجع رسالتنا للدكتوراه سابقة الإشارة ص ٣٢٩.
- ^{١٠} - إنظر الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية للنشر، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ١١٧، و ص ١٢٨ وما بعدها.
- ^{١١} - يذهب بعض الفقهاء إلى أن حرب المرتدين لم تكن حرب دينية بقدر ما كانت سياسية، ويبدو أن هذا الرأي يقصد بقروله هذا إلى أن الشيعة كانت لهم جذور أصق مما يفسب اليهم. راجع في ذلك الدكتور علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٦٦ ص ١٩٦.
- ^{١٢} - لمزيد من التفصيل راجع الدكتور عبد الحليم عويس، إسن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، بدون تاريخ، ص ٢٧٠، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، مكتبة الطبى سنة ١٩٧٧م، ص ١٤٥ والدكتور ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص ٤٧ والدكتور محمد الطيب النجار، الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء وعوامل القناء، دار الإعتصم سنة ١٩٧٧ ص ٧٥ وكذلك الكتاب

الذي ترجمه عن الألمانية الدكتور عبد الرحمن بدوي، للأستاذ يوليوس فلهاوزن وأصدرته دار النهضة المصرية سنة ١٩٦٨ بعنوان أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام.

١٣ - كلمة الشيعة كما أطلقت على أنصار على فقد أطلقت أيضا على أنصار معاوية، فكان يقال شيعمة على وشيعة معاوية ولكن ما إن تولى معاوية الملك ولم يعد مجرد رئيس حزب حتى أصبح يستعمل كلمة شيعمة مقصوراً على أتباع علي بن أبي طالب وأبنائه وأحفاده من بعده. راجع في ذلك الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٤٩، ويوليوس فلهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام - الخوارج والشيعة - ترجمه عن الألمانية عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨م، ص ١٤٦.

١٤ - راجع الإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ١ ص ٣٢ والدكتور ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، المصدر السابق، ص ٥٨، و ٦٥ و ٦٠ والدكتور محمد الطيب النجار، الدولة الأموية في الشرق، للمصدر السابق ص ٥٥.

١٥ - راجع الدكتور إبراهيم درويش، الإدارة العلمية، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩م، ص ٢٠٧.

١٦ - لمزيد من التفصيل راجع للدكتور عبد الشافي عبد القادر، قضايا إسلامية معاصرة، ص ٤٦ وما بعدها والإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ١ ص ٣٣ وما بعدها والدكتور مصطفى الشكعة، المصدر السابق ص ١١٧.

١٧ - انظر الأستاذ محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية، إدارة الهلال قسى مصر، سنة ١٩٢٦، ص ١٣ وما بعدها.

١٨ - انظر الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي، دار القلم ببيروت، ١٩٨٣، ص ٧٦ وما بعدها.

١٩ - انظر الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثالث، ص ٢٠٨ والإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول ص ٣٥، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٤٩-١٥٢.

٢٠ - انظر المسموع، مروج الذهب، الجزء الثاني ص ٣١٧ وكذلك الأستاذ عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة دولة وسياسة، دراسة مقارنة للحكم والحكومة في الإسلام، الناشر دار المعرفة، بيروت سنة ١٩٧٥م ص ٤٠٧ وما بعدها والأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام ص ٢٠٩ الجزء الثالث.

٢١ - انظر الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣ ص ٢٠٨ والأستاذ أحمد الشليب، تاريخ الشعر السياسي في الإسلام، سنة ١٩٦٢، ص ١٨٤ وما بعدها، والدكتور النعمان القاضي، الترقق الإسلامية، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٠، ص ٩١-١٦٠.

٢٢ - راجع الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٢٠٨ ما بعدها.

٢٣ - انظر ابن خلدون، المقدمة ص ١٩٦، وكذلك الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٢٢٦ والإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ١، ص ٣٥.

٢٤ - انظر بحث بعنوان، جولة في الفكر الإسلامي، بحث بدن تاريخ، ص ١٧.

٢٥ - راجع في شرح تعاليم الشيعة الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٢٢٦، وما بعدها والشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، المصدر السابق، ص ٤٠، ويذكر الإمام أبو زهرة أن الأستاذ

دوزى يذهب الى أن الشيعة فرقة فارسية فى حقيقتها وجوهرها، فالفارسي لم يكن يستطيع أن يتصور وجود خليفة بالانتخاب، فهذه الفكرة غير موجودة له وإنما المبدأ الوحيد الذى يمكن أن يفهمه هو مبدأ الوراثة. راجع للدكتور ضياء الدين الرئيس، للنظريات السياسية الإسلامية، المرجع السابق، ص ٦٠.

٢٦ - انظر الإمام أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٤٠، والدكتور محمد قحى عثمان، أصول الفكر السياسى الإسلامى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ص ٣٦٦.

٢٧ - راجع أبو الفتح الشهرستلى، الملل والنحل، ج ١ ص ١٤٧ وما بعدها، المصدر السابق ص ٣٦٦-٣٧١، والدكتور مصطفى الشكعة، المصدر السابق، ص ١٥٣ وما بعدها.

٢٨ - يقول عبدالله بن سبأ 'اليهودي'، والله تلمب السبائية عجبت لمن يقول بجمعة المسيح ولا يقول بجمعة محمد أنظر فى ذلك الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٤٢، والدكتور عبد الحميد العبادى والدكتور محمد زياده والدكتور ابراهيم العدوى، للدولة الإسلامية، بدون تاريخ، ص ٦٣.

٢٩ - راجع الإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، المرجع السابق، ص ٤٣.

٣٠ - راجع ابن خلدون المقدمة، ص ١٩٨، والشهرستلى، الملل والنحل، ص ١٤٧.

٣١ - راجع الإمام أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٤٥٤، ويحث بطون جولة فى الفكر الشيعى، بدون تاريخ، ص ٢٠، ٢١.

٣٢ - راجع الأستاذ أحمد أمين ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٢٠٩، وص ٢١٢.

٣٣ - راجع الشهرستلى، الملل والنحل، المصدر السابق، ص ١٤٦، والشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٥٤، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٩٥، والأستاذ أحمد أمين، للمصدر السابق، ص ٢١٢.

٣٤ - انظر جولة فى الفكر الشيعى، المصدر السابق، ص ١٥، ١٦، والدكتور مصطفى الشكعة، ص ١٧٢.

٣٥ - راجع مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٩، والأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثالث، ص ٢٢٠، والإمام محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٥٤، والدكتور عبد الحميد ستولى، مبادئ نظام الحكم فى الإسلام، المرجع السابق ص ١٤٤.

٣٦ - راجع جولة فى الفكر الشيعى، المصدر السابق، ص ١٧.

٣٧ - راجع الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٢٢١.

٣٨ - للمزيد من التفصيل راجع الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥.

٣٩ - انظر ابن خلدون المقدمة، ص ١٩٩، والشيخ أبو زهرة، المرجع السابق، ص ٦٠.

٤٠ - انظر ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٠١، والشهرستلى، الملل والنحل، ص ١٩١، وأبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦١. والدكتور محمد قحى عثمان، أصول الفكر السياسى الإسلامى، ص ٤٦٧، والدكتور مصطفى الشكعة، المصدر السابق، ص ١٩٥ وما بعدها.

٤١ - راجع الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج٣، ص٢٧١، وإين خلدون المقدمة، ص١٩٨، والشهرستاني، المال والنحل، ص١٤٥، وأبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٤٩، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص٢١٣.

٤٢ - انظر الأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام ج٣، ص٢٧١ و٢٨١ و٢٨٢، والموردى، الأحكام السلطانية ص٥، والدكتور صبحى الصالح، النظم الإسلامية، ص١١٦، والدكتور محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسى الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤ ص٣٦٧، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ص١٤٩ وما بعدها ٤٣ - راجع الدكتور النعمان القاضي، الفرق الإسلامية، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ ص١٦٠-٢٢٣ والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، المصدر السابق، ص١١٩-١٤٧.

٤٤ - راجع الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص١١٩ وما بعدها.

٤٥ - راجع فى كل ذلك الأستاذ محمد عبد الله عثمان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، إدارة السهال بمصر، سنة ١٩٢٦، ص١٥ وما بعدها. وكذلك راجع أخبار الخوارج، الكامل للسبرد، الجزء الثالث، ص١٢٠ وما بعدها، وتاريخ الطبرى وإين الأثير، وشرح نهج البلاغة لإبن أبى الحديد، والإستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص٣٣٠ وما بعدها، والشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٦٥، والدكتور ضياء الدين الرئيس النظريات السياسية الإسلامية ص٤٩.

٤٦ - راجع الأستاذ عمر فروخ، تاريخ الفكر العربى لى أيام إين خلدون، بيروت سنة ١٩٧٢، ص١٩٤ و٢٠٩ ولهاشمى أو٧٣، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص١٢٠.

٤٧ - راجع الأستاذ أحمد الشايب، تاريخ الفكر السياسى، المصدر السابق ص١٦٥، والدكتور محمد ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ص٦٦، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص١١٩.

٤٨ - هذا ليس معناه نفى الاتجاه العقلندى عندهم، بل لهم آراء فى ذلك كثيرة أهمها أن العمل بأوامر الدين جزء من الإيمان، ولكن من آمن بالله ورسوله وتركب الكبيرة فهو كافر، راجع الدكتور الشكعة إسلام بلا مذاهب، ص١٣٢ وكذلك يوليوس فلهوزن، أحزاب المعارضة الدينية السياسية فى صدر الإسلام، المرجع السابق، ص٧٧.

٤٩ - راجع الإمام أبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية، المصدر السابق، ص٧١، والدكتور محمد فتحي عثمان، أصول الفكر السياسى، ص٣٧٠.

٥٠ - انظر الشهرستاني، المال والنحل، ص١٥٧، والأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص٣٣٢.

٥١ - انظر الدكتور عبد الحميد العبادى وآخرون، الدولة الإسلامية، المرجع السابق، ص٦٤.

٥٢ - انظر الشيخ أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٧١، والدكتور ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ص٥٦ والأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثالث ص٣٣٢.

٥٣ - راجع الأستاذ أحمد أمين ضحى الإسلام، ص٣٣٢، الشيخ أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٧١.

٥١ - راجع الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٢٨، وفي علاقة الدولة العربية بالإسلام، راجع للدكتور سليمان الطماوى، المصدر السابق، ص ٢٩، والدكتور ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ص ٥٩.

٥٢ - انظر الكامل للمبرد، الجزء الثاني، ص ١٢٠، ١٢٨، ١٤٢، والأستاذ أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٠٩، ضحى الإسلام، ص ٢٣١، والأستاذ أحمد الشنايب، تاريخ الشعر السياسي، ص ١٦٦.

٥٣ - هناك فرق أخرى لم تصل بأسمائها إلى ما وصلت إليه هذه الفرق الرئيسية ولنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الثمالية، الميمونية، الفريديّة، الفريديّة، الأخسية، الشيبانية، المكرمة، البدعية، الحارثية، للمزيد من التفصيل انظر الأستاذ أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٠٥، والشهرستاني، الملل والنحل، ص ١١٤، وما بعدها، والدكتور ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ص ٦٨، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٣١.

٥٤ - انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١١٨.

٥٥ - راجع الشيخ أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٨١، والدكتور عبد الحليم عويس، ابن حزم ص ٢٧١، والأستاذة محمود النورى، ومحمد خفاجى، ومصود فرج، فى ظلال الإسلام، ١٩٥٧م، ص ١٩٦.

٥٦ - راجع الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٨٢، والكامل للمبرد، الجزء الثاني، ص ١٢٠، ١٨٠، والشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٦٥.

٥٧ - راجع الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٣٢، والشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٨٤.

٥٨ - راجع الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٢٨.

٥٩ - راجع الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٨٥، ٨٤، والأستاذ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثالث، ص ٢٣٦.

٦٠ - انظر الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٣٢، والشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٣٤.

٦١ - راجع أبو زهرة، المرجع السابق، ص ٨٦، والدكتور الشكعة، المرجع السابق، ص ١٤٦.

٦٢ - راجع أحمد الشنايب، تاريخ الشعر السياسي، ص ١٨٢، والدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ١٢٨.

٦٣ - راجع فى ذلك، تاريخ الجمعيات السرية للأستاذ محمد عثمان، إدارة الهلال بمصر سنة ١٩٢٦م.

٦٤ - من هؤلاء أبو سعيد الخدرى، مسلمة بن خالد، سعد بن أبى وقاص، عبد الله بن عمر، وكعب بن مالك وقدامة بن مظعون، ومحمد بن مسلمة، أسامة بن زيد، حصان بن ثابت، والنعمان بن بشير، للمزيد من التفصيل راجع ابن خلدون، المقدمة ص ٢١٤، والدكتور ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ص ٥٩، والأستاذ عمر فروخ، تاريخ الفكر العربى، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م، ص ٢٠٧.

٦٥ - راجع الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ٣٧٩.

٦٦ - راجع الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٥، وما بعدها.

- ٢٠ - انظر صحيح البخارى، الجزء السادس، ص ٨، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ٣٢ و ٣٣.
- ٢١ - راجع الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٥ وما بعدها.
- ٢٢ - راجع الأستاذ عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، ص ٥٧.
- ٢٣ - من هذا رأى للفزائلى، وإبن تيمية، انظر ابن تيمية منهاج السنة النبوية، فى نقص كلام الشيعة والتقية، المجلد الأول، ص ١٤١، والدكتور ماجد راجب الحلو، الإستفتاء الشعبى والشرعية الإسلامية، دار المطبوعات، الإسكندرية، سنة ١٩٨٣، ص ١٤٢، والدكتور محمد عبد القادر أبو فارس النظام السياسى فى الإسلام، طبعة ١٩٨٠، ص ٢٩٧ وما بعدها.
- ٢٤ - انظر الإمام أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٩٣، والدكتور مصطفى لشكعة، اسلام بلا مذاهب، المصدر السابق، ص ٤٢٩، وما بعدها.
- ٢٥ - راجع الدكتور أحمد شبلى، أسس للمعارضة فى الإسلام، مقال منشور بجريدة الأهرام، العدد ٣٤٧٠٢ لسنة ١٩٨١م.
- ٢٦ - انظر للترمذى، الجزء الرابع، ص ٣٦٤، رقم ٢٠٠٧.
- ٢٧ - انظر الدكتور محمد البهى، الفكر الإسلامى للمعاصر، سنة ١٩٦٥، ٢٨٥ والثشيخ أبو زهرة المرجع السابق، ص ١٠٣ وما بعدها.
- ٢٨ - انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، الجزء الأول، ص ٦٩.
- ٢٩ - انظر الدكتور أحمد شبلى، أسس المعارضة فى الإسلام، المقال السابق بجريدة الأهرام سنة ١٩٨١.
- ٣٠ - انظر الدكتور فاروق عبد السلام، الإسلام والأحزاب السياسية، مكتبة الغيوى للنشر تسعة ١٩٧٨، ص ٤٤ الذى يشير الى عبد الرحمن الكواكبي، رفاعة الطهطاوى، ومحمد عبد، وضياء اللبس وانظر كذلك الدكتور القطن طلبة، الإسلام وحقوق الإنسان، دراسة مقارنة، الطبعة الاولى، دار الفكر العربى سنة ١٩٧٦، ص ٢٤٧.
- ٣١ - انظر سنن أبى داود، الجزء الرابع، ص ٥١٤، والترمذى، حديث رقم ٢١٧٥.
- ٣٢ - انظر صحيح البخارى، الجزء الثامن، ص ١٠٧، وصحيح مسلم، الجزء الثالث، ص ١٤٥٦.
- ٣٣ - انظر الترمذى، باب إفتراق الأمة، حديث رقم ٢٧٧٨، وأبو داود، الجزء الخامس، ص ٤.
- ٣٤ - راجع الدكتور مصطفى لشكعة، اسلام بلا مذاهب، ص ٣٨١ وما بعدها، والدكتور فاروق عبد السلام، الإسلام والأحزاب السياسية، المصدر السابق، ص ٥٢.
- ٣٥ - انظر أبو الأعلى المودودى، للحكومة الإسلامية، دار المختار الإسلامى، سنة ١٩٨٠، ص ٢٥٠.
- ٣٦ - انظر أبو الأعلى المودودى، الحكومة الإسلامية، المرجع السابق، ص ٢٥٠ وكذلك الدكتور فاروق عبد السلام، الإسلام والأحزاب السياسية، المرجع السابق، ص ٢٩.
- ٣٧ - انظر الدكتور عبد الحميد متولى، للفرد الفكرى والفتنات المعادية للإسلام، المرجع السابق، ص ٢٤، والأستاذ محمد علوية بشاء، الإسلام والديمقراطية، المرجع السابق، ص ٤٢، والدكتور أنمون رباط حول احكام

لشريعة الإسلامية ، مقال بمجلة القضاء والتشريع، العدد ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٧، ص١٧، والدكتور مصطفى الشكعة، اسلام بلا مذاهب، ص١٤٥.

^{٤٨} - انظر الدكتور فاروق عبد السلام الأحزاب السياسية، والفصل بين الدين والسياسة، القاهرة ١٩١٧٨، ص١٣٥، والأستاذ الدكتور القطب محمد طلبة، الإسلام وحقوق الإنسان، ص٣٥٢.

^{٤٩} - انظر الدكتور ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، ص٣٨٢ وما بعدها، والدكتور مساجد راجب الحلو، الإستفتاء الشعبي والشريعة الإسلامية ص١٥٠، وما بعدها.

دراسة شرعية اقتصادية لتمويل مشاريع
البنية التحتية بأسلوب البناء والتشغيل ثم
الإعانة " BOT "

دكتور

أحمد بن حسن بن أحمد الحسني
الأستاذ المشارك بقسم الاقتصاد الإسلامي
كلية الشريعة - جامعة أم القرى

ملخص بحث

دراسة شرعية اقتصادية لتمويل مشاريع البنية التحتية

بأسلوب البناء والتشغيل ثم الإعادة - BOT -

د/ أحمد بن حسن بن أحمد الحسني

الأستاذ المشارك بقسم الاقتصاد الإسلامي

كلية الشريعة - جامعة أم القرى

يهدف هذا البحث إلى دراسة تمويل مشاريع البنية التحتية بأسلوب البناء والتشغيل ثم الإعادة Build - Operate - Transfer "المسمى" BOT "دراسة شرعية اقتصادية . ولتحقيق هذا الهدف تم العرض لأهمية مشاريع البنية التحتية وبيان خصائصها ، ثم التعريف بأسلوب "BOT" وبيان خصائصه والتي من أهمها هو أن التمويل بهذا الأسلوب لمشاريع البنية التحتية يترتب عليه انتقال تحمل أعباء التمويل لإقامة وبناء هذه المشاريع من القطاع العام إلى القطاع الخاص ، وكذلك عملية إدارتها وتشغيلها وتحصيل إيراداتها ، إلى أن يتم تغطية تكاليفها وتحقيق عائد مناسب للقطاع الخاص خلال فترة الامتياز الممنوحة له ، ثم تعود ملكية هذه المشاريع وإدارتها وتشغيلها إلى الحكومة بعد انتهاء هذه الفترة . كما تعرضت الدراسة لآلية العمل بأسلوب "BOT" وبيان أهم نماذج عقودها وهي : عقد البناء والتشغيل ثم التحويل BOT وعقد البناء والتملك والتشغيل ثم الإعادة BOOT وعقد البناء والتملك والتشغيل BOO وعقد البناء والتأجير ثم التحويل BLT . ثم بيان التكيف الفقهي لهذا الأسلوب ، والذي أظهر مشروعية مشاركة القطاع الخاص في إقامة وبناء مشاريع البنية التحتية ، وأنه يحق للحكومة أن تمنح هذه الفرصة للشركة صاحبة العطاء الأفضل . إلا أن شركات القطاع الخاص التي تساهم في إقامة وبناء هذه المشاريع جرت العادة على حصولها على تغطية التمويل اللازم لهذه المشاريع عن طريق الاقتراض من المؤسسات المالية والمصارف التقليدية بفوائد ربوية وهو من قبيل ربا النسيئة المنهزم . ولذلك تقترح الدراسة على شركات القطاع الخاص المحلية والدولية النفقة لمشاريع البنية التحتية في الدول الإسلامية تجنب الحصول على هذه القروض الربوية ، واستخدام الصيغ الإسلامية البديلة كالحصول على التمويل بالمشاركة مع المصارف الإسلامية أو عن طريق تأسيس شركة مساهمة للمشروع وطرح أسهمها للاكتتاب العام للجمهور أو التمويل عن طريق إصدار وبيع سندات الخدمات .

Financing Infrastructure Projects Through “ BOT “ :
A Study From the Islamic and Economic Point of View

Dr. Ahmed Bin Hassan AL-Hassany

Associate professor – Islamic Econ. Dept.,

Faculty of Sharria Umm AL-Qura University

The main object of the study is to analyse financing the infrastructure projects (INFP) through Build – operate – transfer technique, which is known as BOT. The study is an Islamic economic study The importance of INFP and their characteristics are explained. The Study provides the definition of BOT technique and clarifies its main properties. The most important property is that the burden of financing INFP is transferred from the public sector into the private sector. Also, the management of INFP, their operation, and collecting their revenues are done by the private sector until the full coverage of the full cost of finance besides a reasonable rate of return. After that, the ownership of INFP is transferred to the government. The study explained how BOT works. Also, the main forms of BOT contracts which are: BOT, BOOT, BOO and BLT are evaluated. Although the study shows that it is legal from the islamic point of view to enable the private sector to share in financing and constructing INFP, it suggests that the private sector should not get the required finance through illusory loans. The private sector can get the required finance by sharing from the Islamic banks or through issuing shares or service bonds to be sold to the public.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وبعد :

فإن تمويل مشاريع بناء وتشيد البنية التحتية كمشاريع المرافق العامة التي تتضمن إقامة محطات توليد القوى الكهربائية ، والاتصالات السلكية واللاسلكية ، والبريد ، ومحطات معالجة المياه وتوصيلها عبر الأنابيب ، والصرف الصحي والغاز وتوصيلاته ، ومشاريع الأشغال العامة التي تتضمن تشييد وبناء الطرق والجسور والكباري والسدود والقنوات ومشاريع النقل العام التي تتضمن تشييد وبناء المطارات والموانئ والسكك الحديدية ونحوها . إضافة إلى مشاريع خدمات التعليم والصحة والأمن والدفاع . كل هذه المشاريع يعمل تمويلها عبئاً مالياً على نفقات جميع الدول وخاصة الدول النامية . واعتادت الحكومة أو القطاع العام في الماضي على إقامة وبناء وتشغيل هذه المشاريع وتمويلها من خزنتها على قدر استطاعتها ، أو تمويلها عن طريق الاقتراض الداخلي باللجوء إلى إصدار السندات ، أو الاقتراض الخارجي من المؤسسات العالمية كالبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومؤسسة التنمية الدولية ، وأخيراً قد تلجأ الحكومة إلى زيادة نسبة الضرائب والرسوم المفروضة على المواطنين أو قد تفرض عليهم ضرائب جديدة لتوفير التمويل اللازم لإقامة مثل هذه المشاريع . ومع بداية الثمانينات الميلادية تدهت الكثير من الدول وخاصة الدول النامية إلى صعوبة الاعتماد على الوسائل السابقة في تمويل مشاريع البنية التحتية ، وبالتالي تنفيذ خططها التنموية . فخزنتها لا تتوفر فيها الأموال اللازمة لتمويل جميع هذه المشاريع لقلة مواردها المالية من ناحية ، ولأن الاقتراض الداخلي باللجوء

إلى طرح السندات الحكومية لا يجد الطلب الكافي من المواطنين لشراء هذه السندات نظراً لارتفاع نسبة التضخم الذي يتصف به اقتصاد الدول النامية ، وانخفاض دخول النسبة الغالبة من المواطنين في هذه الدول ، إلى جانب انخفاض الوعي المالي والمصرفي لدى قطاع كبير منهم . وأما الاقتراض الخارجي من المؤسسات العالمية فهو أكثر صعوبة لأن هذه المؤسسات لا تمنح الدول الراغبة في الحصول على تمويل لمشاريعها إلا نسبة ضئيلة من القروض المطلوبة لتمويل هذه المشاريع ، إضافة إلى أن هذه القروض محكومة بشروط واعتبارات من المؤسسات العالمية تؤدي إلى صعوبة حصول الدول النامية على هذه القروض . وأما لو لجأت هذه الدول إلى الزيادة في نسب الضرائب والرسوم أو فرض ضرائب جديدة على المواطنين فسيواجه ذلك غالباً بمقاومتهم وحدوث بعض الاضطرابات السياسية في الداخل . كل هذه الأمور دفعت الدول إلى التفكير في إيجاد وسائل بديلة توفر لها التمويل اللازم لإنجاز هذه المشاريع الهامة التي تقدم خدمات أساسية وضرورية للمواطنين ، وبالتالي تقلل أضراراً كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها أو عن بعضها ، بل ولا يمكن لأي نهضة اقتصادية أو اجتماعية في أي دولة أن تقوم بدونها . ومن هنا سعت دول العالم سواء المتقدمة منها أو النامية منذ ذلك التاريخ إلى التخصيص Privatization ويقصد به مشاركة القطاع الخاص في تنفيذ هذه المشاريع وإدارتها وتشغيلها وتنازل الحكومة عن دورها التقليدي في احتكار إقامة مشاريع البنية التحتية . ومن ثمّ التخفيف من أعبائها المالية والإدارية ، وتفرغها للأعباء الرئيسة والهامة كالأمن والدفاع ونحوها .

ومن الأساليب الجديدة لمظاهر التخصيص ومنح القطاع الخاص امتيازات Concessions لتنفيذ مشاريع البنية التحتية أسلوب " البناء والتشغيل ثم الإعادة Build - Operate - Transfer " المسمى " BOT " . ومن هنا خصص هذا البحث لدراسة هذا الأسلوب دراسة شرعية اقتصادية وسوف أذكره بمشيئة الله تعالى بتسميته الإنجليزية المختصرة " BOT " خلال تناوله في ثنايا البحث .

هدف البحث :

يهدف البحث إلى دراسة أسلوب " BOT " والتعرف على صيغ عقوده وتكييفها الفقهي ، وبيان حكم التعامل بها ، وذكر الصيغ الإسلامية البديلة لتمويل وإقامة مشاريع البنية التحتية .

خطة البحث :

ولتحقيق هذا الهدف قسم البحث إلى ما يلي :

أولاً : أهمية مشاريع البنية التحتية في الاقتصاد الإسلامي والوضعي وبيان أهم خصائصها .

ثانياً : التعريف بأسلوب " BOT " وبيان أهم خصائصه .

ثالثاً : آلية العمل بأسلوب " BOT " وبيان لأهم نماذج عقودها ، وتكييفه الفقهي .

رابعاً : الصيغ الإسلامية المقترحة لتمويل وإقامة مشاريع البنية التحتية .

خامساً : الخاتمة والتوصيات .

والله أسأل العون والتوفيق والسداد ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه
الكريم ، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو جسي ونعم
الوكيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أولاً : أهمية مشاريع البنية التحتية في الاقتصاد الإسلامي
والوضعي وبيان أهم خصائصها :

اهتم الإسلام بمشاريع البنية التحتية وأمر بإعدادها وتكوينها ، ويمكن الاستدلال على ذلك بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠] حيث يدل المعنى الإجمالي لهذه الآية الكريمة على أنه يجب على المسلمين أن يعدّوا العدة من السلاح والعتاد والعدد ونحو ذلك لمواجهة أعداء الله من الكفرة والملحدين لتكون كلمة الله سبحانه وتعالى هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . فالمراد بالقوة في الآية لا يقتصر على الناحية العسكرية فقط ، وإنما يمتد ليشمل القوة الاقتصادية أيضاً والمتمثلة في إعداد وبناء البنية التحتية كبناء وتشديد الطرق والجسور والسدود وتسهيلات الري ونحو ذلك من الخدمات التي تؤمن الاقتصاديات الخارجية لمختلف قطاعات الاقتصاد القومي^(١) ، وذلك لأن توفر قاعدة عريضة وممتدة من البنية التحتية والمرافق الأساسية يعتبر من الدعامات الاقتصادية التي يمكن أن يستند عليها في زمن الحرب والسلام . كما أن الإنفاق على الناحية العسكرية لا يقتصر على شراء الأسلحة والعتاد والعدد ، وإنما له جوانب أخرى مثل الإنفاق على مشاريع البنية التحتية - كما تقدم - لأنها مرتبطة بالناحية العسكرية مثل بناء وتشديد

الطرق والجسور والمطارات والموانئ ونحوها^(٢) . فكل ما يتقوى به الإسلام يدخل في نطاق هذه الآية من تعليم وتدريب وصناعة وتشيد للمرافق العامة ونحو ذلك^(٣) . يقول الرسول ﷺ : « سبَّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنْ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مَنْ عِلْمٌ أَوْ أَجْرٌ نَهْرًا أَوْ حَفْرٌ بَثْرًا أَوْ غَرْسٌ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَثَ مَصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ »^(٤) . وقال ﷺ : « لا يغرس المسلم غرساً ، ولا يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة »^(٥) . ويستفاد من الحديثين أن الإسلام يدعو إلى طلب العلم ونشره ، ويقتضي ذلك إقامة وبناء منشآت ومستلزمات المتنوعة والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان إذ يتطلب ذلك في عصرنا الحاضر إقامة وبناء المدارس والمعاهد والجامعات ودور العلم المختلفة وجميعها من منشآت وبناء البنية التحتية ، لأنه من غير المعقول قيام التعليم وانتشاره دون أن تشيّد مؤسساته ، وذلك استناداً إلى القاعدة الأصولية القائلة : « إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »^(٦) . وكذلك يستفاد من الحديثين أن عمل مشاريع البنية التحتية يترتب عليه الأجر والثوبة لمن قام به في الدنيا والآخرة مثل كرى الأنهار وحفرها وإصلاحها وصيانتها ، وحفر الآبار وما يماثلها في عصرنا الحاضر كإقامة السدود وخزانات المياه ومحطات معالجتها وتحليتها لأنها من الوسائل التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج الزراعي الذي ورد في الحديثين كغرس النخل والأشجار والزروع والثمار بأنواعها المختلفة . وكذلك الأمر بالنسبة لبناء وتشيد المساجد لما لها من أهمية في حياة المسلمين حيث تؤدّى فيها الصلوات التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي الصلة بين العبد وربّه ، وفيها منابر العلم التي ينتشر منها الوعي والتثقيف وتبصير المسلمين بما فيه صلاح دينهم ودنياهم ومعيشتهم^(٧) ،

فالمساجد لا يقتصر دورها على أنها مكان للعبادة فقط ، وإنما هي قلب المجتمع المسلم النابض بالحير والفلاح والمرشد إلى البر والتقوى ، وهي كذلك مدرسة ومنتار ساطع لزيارة وتهذيب سلوك المسلم وتنشئته التنشئة الصالحة ليكون عضواً نافعاً في مجتمعه يصل خيره لوالديه حتى بعد موتهما باستغفاره لهما . وتجدر الإشارة إلى أن بناء وتشيد مشاريع البنية التحتية في الإسلام تتوقف أولوياتها على ما فيه تحقيق مصالح المواطنين الضرورية ثم الحاجة ثم التحسينية وبالتالي فإن أهمية تنفيذها ينبغي أن تكون مرتبة في ضوء تحقيق هذه المصالح^(٨) .

وأما الاقتصاد الوضعي فإنه يرى كذلك أن الاهتمام ببناء وتشيد مشاريع البنية التحتية أمر ضروري لمصلحة الاقتصاد القومي جميعه . لأن قيام مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية الأخرى في أي دولة يعتمد على مدى توفر البنية التحتية الملائمة لتستفيد من خدماتها المتعددة وبالتالي تزداد إمكانية نجاح هذه المشاريع وتستمر في نشاطها الاقتصادي . فالمشاريع التتموية الصناعية لسو توفرت لها الطرق والجسور والموانئ ، ووسائل النقل والمواصلات ومحطات الوقود والغاز والكهرباء فإن هذه الوفرة متساهم في التوطن الصناعي ، وفي إحداث المدن والمراكز الصناعية . كما تساهم وفرة وسائل النقل والمواصلات الحديثة البرية والبحرية والجوية في تسهيل تبادل السلع وانتقالها من مدينة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى فتتسع الأسواق المحلية والدولية وتنشأ المراكز التجارية المختلفة . وكذلك الأمر فإن وفرة شبكات الري والصرف ومحطات معالجة المياه وتحليلتها تساهم في قيام المشاريع الزراعية وتحسين الإنتاج الزراعي^(٩) . وبعد هذا العرض عن أهمية مشاريع البنية التحتية يمكن بيان أهم

خصائص هذه المشاريع فيما يلي :

أ - إن هذه المشاريع ذات أهمية اجتماعية ومياسية كبيرة ، حيث إنها تقدم للجمهور خدمات أساسية وضرورية ، مثل خدمات المياه والكهرباء والغاز والاتصالات والطرق والمطارات والموانئ والسكك الحديدية وغيرها^(١١) .

ب - إن منافع وخدمات هذه المشاريع لا تعود على فرد أو مجموعة من الأفراد أو جهات معينة ، وإنما تعود إلى كافة أفراد المجتمع سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، كما أنها لا تعود على قطاع اقتصادي دون غيره وإنما تشمل الكثير من قطاعات الاقتصاد . ومن حق أي فرد أو جهة في المجتمع أن ينتفع بها بغض النظر عن مدى مساهمته في إنشائها أو تكلفتها أو تشغيلها وصيانتها^(١٢) .

ج - إنها ذات أهمية كبيرة للتنمية الاقتصادية في المجتمعات المختلفة ، فلا يمكن أن يتصور حدوث تنمية اقتصادية واجتماعية في أي مجتمع دون وجود بنية تحتية متقدمة فيه . وقد أثبتت بعض الدراسات التطبيقية أن كل زيادة في رصيد الدولة من البنية التحتية بنسبة ١٪ يصاحبها زيادة في الناتج المحلي الإجمالي بنفس النسبة تقريباً^(١٣) .

د - إن هذه المشاريع يمكن أن يدر بعضها دخلاً مالياً للدولة ، ولكن بعضها الآخر قد يفقد هذه الخاصية . كما أن بعض هذه المشاريع تحصر الدولة على الاحتفاظ بملكيتها لاعتبارات سياسية واجتماعية^(١٤) .

هـ - ينبغي على الدولة أن تنشئ هذه المشاريع ، وتوفر خدماتها بنوعية جيدة وبتكلفة منخفضة ، وذلك لأنه قد يترتب على تقديم هذه الخدمات

للجمهور بصورة غير مرضية حدوث بعض الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي^(١٤).

و - كبر حجم استثمارات هذه المشاريع وبالتالي كبر حجم التمويل المطلوب لها ، وكذلك كبر حجم مستهلكي خدمات هذه المشاريع وتنوع مستويات دخولهم^(١٥).

ثانياً : التعريف بأسلوب " BOT " وبيان أهم خصائصه :

يقصد بأسلوب البناء - التشغيل - الإعادة " BOT " : الاستثمار الذي يتولى فيه القطاع الخاص بناء Build، وتشغل Operate أحد مشاريع البنية التحتية ، على أن يتم تحويله Transfer مرة أخرى للحكومة ، بعد فترة زمنية كافية يتم فيها استرداد رأس المال المستثمر وتحقيق معدل عائد مناسب للمستثمر^(١٦) .

وقد عرفت لجنة الأمم المتحدة للقانون النموذجي : " الانسزال " عقود ال BOT بأنها شكل من أشكال تمويل المشاريع تمنح بمقتضاه حكومة ما لفترة زمنية محددة أحد الاتحادات المالية الخالصة " تسمى بشركة المشروع " امتيازاً لتنفيذ مشروع معين على أن تقوم الشركة المذكورة بالبناء والتشغيل والإدارة لعدد من السنوات ، وتسترد تكاليف البناء ، وتحقق أرباحاً من تشغيل المشروع واستغلاله تجارياً على أن تنتقل ملكية المشروع إلى الحكومة بعد نهاية مدة الامتياز^(١٧) .

وينشئ عادة المستثمرون والمقاولون الذين منحوا الامتياز من الحكومة تنفيذ المشروع شركة لتحقيق هذا الغرض وتنتهي بانتهاء فترة امتياز^(١٨) .

ويمكن ذكر أهم خصائص أسلوب ال " BOT " فيما يلي :

أ - أنها شركة قطاع خاص تمنحها الحكومة امتيازاً لتتولى بموجبه إقامة أحد مشاريع البنية التحتية بجميع مراحله من تصميم وتمويل وإنشاء وتشغيل خلال فترة زمنية معينة هي مدة الامتياز ، وتقاضى من الجمهور رسوماً عند استفادتهم من خدمة المشروع خلال هذه المدة .

ب - بعد انتهاء فترة الامتياز تقوم هذه الشركة المستثمرة بنقل ملكية المشروع للحكومة ، ويتعين أن تكون فترة الامتياز طويلة - نسبياً - بقدر يكفي لتغطية رأس المال المستثمر في المشروع ، ويحقق معدل ربح أو عائد مناسب للشركة .

ج - إن الاستثمار بهذا الأسلوب في مشاريع البنية التحتية يقلل من العبء الملقي على عاتق الحكومات وخاصة في البلدان النامية التي تواجه زيادة مضطردة في الإنفاق الحكومي^(١٩).

د - إن الاستثمار بهذا الأسلوب يؤدي إلى الزيادة في كفاءة استخدام موارد المجتمع نظراً لما هو معروف من أن القطاع الخاص أكثر كفاءة في الإنتاج والتسويق من القطاع العام أو الحكومي^(٢٠).

هـ - يحقق الاستثمار بهذا الأسلوب أرباحاً مرتفعة للقطاع الخاص ، فقد أوضحت عدة دراسات تطبيقية أن الاستثمار في مشاريع البنية التحتية يحقق عوائد مرتفعة قد تصل في بعض الحالات إلى ٩٦ ٪ .

ويعرض الجدول (١) نتائج بعض الدراسات التي تمت في هذا المجال .

جدول (١)

معدل العائد للضمني للاستثمار في مشاريع البنية التحتية وفقاً لعدد من الدراسات

| مؤلف الدراسة | سنة الدراسة | معدل العائد الضمني ٪ | عينة الدراسة |
|------------------|-------------|----------------------|----------------------------|
| مونيل | ١٩٩٠ | ٪ ٦٠ | الولايات المتحدة الأمريكية |
| ميرا | ١٩٩٣ | ٪ ٩٦ | مناطق اليابان |
| برودوم | ١٩٩٣ | ٪ ١٢ | مناطق فرنسا |
| أوشيمورو ، وغالو | ١٩٩٣ | ٪ ٧٧ | تاوان ، الصين |
| أوشيمورو ، وغالو | ١٩٩٣ | ٪ ٥١ | كوريا |
| كانغ ، وفاي | ١٩٩٣ | ٪ ٩٥ | بلدان متعددة ، نامية |

المصدر : البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٤ م ، البنية الأساسية من أجل التنمية ، ص ٢٦ .

ويلاحظ أن العديد من الحكومات أخذت في تخصيص مشاريع البنية التحتية من خلال استخدام أسلوب BOT نظراً للضغط الاقتصادي الذي تعرضت له في الآونة الأخيرة ، وتسبب في تناقص استثماراتها في مشاريع البنية التحتية . فعلى سبيل المثال أخذ الإنفاق الحكومي في المملكة العربية السعودية على مشاريع البنية التحتية يتناقص خلال الفترة ١٩٨٩ م - ١٩٩٧ م نتيجة للضغط الاقتصادي المتزايد على ميزانيتها والذي أتى من انخفاض أسعار البترول^(٢١) .

ويوضح الجدول (٢) هذه الحقيقة بالنسبة للمملكة العربية السعودية

جدول (٢)

الإنفاق الحكومي على مشاريع البنية التحتية في المملكة العربية السعودية (بمليار الريالات)

| السنة الميلادية | الإنفاق على البنية التحتية | الإنفاق الكلي للحكومة | النسبة المئوية % |
|-----------------|----------------------------|-----------------------|------------------|
| ١٩٨٩ | ٢,٨ | ١٤٠,٥ | ٢,٠ |
| ١٩٩٠ | ٢,٥ | ١٧٩,٨ | ١,٤ |
| ١٩٩١ | ٢,٥ | ١٧٩,٨ | ١,٤ |
| ١٩٩٢ | ٢,١ | ١٨١,٠ | ١,٢ |
| ١٩٩٣ | ٢,١ | ١٩٧,٠ | ١,١ |
| ١٩٩٤ | ١,٦ | ١٦٠,٠ | ١,٠ |
| ١٩٩٥ | ١,٤ | ١٥٠,٠ | ٠,٩٣ |
| ١٩٩٦ | ١,٤ | ١٥٠,٠ | ٠,٩٣ |
| ١٩٩٧ | ١,٦ | ١٨١,٠ | ٠,٨٨ |

المصدر : سعيد بن معد مرطان ، مرجع سابق ، ص ٥ .

ومن هنا بدأت حكومة المملكة العربية السعودية في تخصيص بعض مشاريع البنية التحتية من خلال استخدام أسلوب BOT ، متمثلة في تجربة وزارة المعارف من أجل تمكين القطاع الخاص من إنشاء بعض المدارس ، وسداد تكاليف الإنشاء من خلال عقود طويلة الأجل ، وكذلك أخذت توجه بعض مؤسساتها العامة نحو الخصخصة كقطاع الاتصالات من برق وبريد وهاتف الذي أصبح شركة مساهمة تعرف بشركة الاتصالات السعودية ، كما أن مؤسسة الخطوط الجوية العربية السعودية ، وبعض الشركات الصناعية أعلنت فعلاً عن البدء في برنامج الخصخصة والتحول إلى شركات مساهمة^(٢٢) .

وتشير الإحصاءات إلى أن الدول النامية بوجه عام تنفق ما يقرب من ٢٠٠ مليار دولار سنوياً على البنية التحتية ، وتعتبر الحكومات في هذه الدول مسؤولة عن توفير ما لا يقل عن ٩٠ ٪ من هذا المبلغ . وتعتمد على التمويل الخارجي في توفير ١٢ ٪ تقريباً من تكاليف البنية التحتية . ومن المعلوم أن مشاريع البنية التحتية تتصف في الغالب بكونها مستهلكة للعملاء الأجنبية وبكونها غير منتجة لها بصورة مباشرة نظراً لصعوبة تصدير منتجاتها^(٢٣) . ومن ثم فإن تمويل مشاريع البنية التحتية بأسلوب BOT قد يقلل من الاقتراض الحكومي ويساعد على التخفيف من الدين العام ، وبالتالي يقلل من معدلات التضخم والبطالة ، خاصة إذا تم تشغيل عمالة محلية في هذه المشاريع^(٢٤) . إلا أنه ينبغي التنبيه على أن الحكومات إذا ما أرادت تمويل مشاريع البنية التحتية لديها بأسلوب BOT عليها أن تختار عند إجراءات التعاقد مع الشركة التي ستمنحها الامتياز ممثلين لها على درجة عالية من المهارة والمعرفة والقدرة على الدراسة والتحليل والمقارنة واستيعاب التفاصيل المالية والقانونية والدراية بخفايا

هذا الأسلوب لأنه من المحتمل أن ينطوي على بعض المخاطر والمعوقات^(٢٥) .

فعلى سبيل المثال قد تبالغ الشركة صاحبة الامتياز في زيادة تكاليف الخدمة المنتجة ، أو في تكاليف التمويل عما هو متاح في الحالات العادية فينعكس ذلك على أسعار الخدمة مما يمثل عبئاً إضافياً على المستهلكين^(٢٦) . ولذلك يرى أحد الباحثين في هذا الأسلوب أنه حينما يكون الجمهور هو المشتري النهائي لخدمات المشروع الممول والمنفذ بأسلوب BOT يجب على الحكومة أن تتأكد من أن الرسوم المفروضة على الخدمات عادلة وملائمة ، كما يجب عليها أن تكون مستعدة للتدخل في إدارة المشروع في حالة إخلال الشركة المنفذة بأي من التزاماتها لتضمن عدم انقطاع الخدمة عن الجمهور^(٢٧) . كما يرى البعض أن مشاريع البنية التحتية الاستراتيجية ينبغي على الحكومة عدم السماح بتملكها لشركات أجنبية لفترة طويلة نسبياً وفقاً لنظام أسلوب BOT لأن ذلك يفتح الباب أمام سيطرة رأس المال الأجنبي على الاقتصادات النامية من جديد ، ومن ثم يؤثر في سياساتها الداخلية والخارجية^(٢٨) . وأخيراً يمكن القول بأن أسلوب BOT يمكن الاستفادة منه في الدول المتقدمة والنامية على السواء ، فالدول المتقدمة وإن كانت مشاريع البنية التحتية لديها مكتملة إلا أنها قد تحتاج إلى تحديث وتطوير^(٢٩) ، ولذلك فإنها قد تسند هذه المهمة إلى القطاع الخاص لتلقي عن عاتقها الكثير من الأحمال والأعباء الإدارية والبيروقراطية ، وتحصل على خدمات عامة أفضل . والدول النامية تسعى جاهدة إلى إنجاز وإكمال مشاريع البنية التحتية لديها وتنفيذ خططها التنموية وبرامج إصلاحاتها الاقتصادية ولذلك وجدت هذه الدول في أسلوب BOT مصدراً لتمويل هذه المشاريع التي كانت تواجه الكثير من المصاعب في تمويلها^(٣٠) .

ثالثاً : آلية العمل بأسلوب BOT ، وبيان أهم نماذج عقوده ،
وتكييفه الفقهي :

إذا أرادت الحكومة إنشاء مشروع من مشاريع البنية التحتية ، وترغب في تنفيذه بأسلوب BOT ، تعلن في البداية عن مناقصة تحتوي على الإطار التشريعي والنظامي الذي سيعمل المشروع في نطاقه^(٣١) ، وعلى المعايير التي ترغب في تحقيقها ، والمتعلقة عادة بالوقت اللازم لتنفيذ المشروع ، وفترة الامتياز التي ستمنحها للشركة التي ستتعهد بتنفيذه ، وتكلفة الخدمة للجمهور^(٣٢) . وبناء على الإعلان عن هذه المناقصة يجتمع غالباً عدد من المستثمرين والقانونيين والمهندسين وأصحاب المقاولات العالمية والمحلية^(٣٣) ليكوّنوا اتحاداً مالياً Conosortium يتفقون فيه على نسبة كل منهم في رأس المال " حقوق الملكية أو أسهم المشروع " والتي تشكل عادة من ١٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ من إجمالي التمويل اللازم للمشروع ، ويحددون المصادر الخارجية " البنوك ومؤسسات التمويل " التي سيحصلون منها على القروض التي تغطي بقية التمويل والتي تتراوح نسبتها بين ٧٠ ٪ إلى ٨٥ ٪ من إجمالي التمويل . ثم يقومون بإعداد دراسة جدوى للتأكد من أن تدفقات إيراداته خلال فترة الامتياز كافية لتغطية تكاليفه ، وتحقيق أرباح مجزية لهم^(٣٤) . فإذا اتفقوا على تبني المشروع Sponsors ، يتقدمون بعرضهم وعطائهم للحكومة . فإذا كان هو العرض والعطاء الأفضل ، ووقع عليه اختيار الحكومة ، ووافقت على إرسائه عليهم ، يقوم الاتحاد المالي لهذه المجموعة بتأسيس شركة خاصة للمشروع تنتهي بانتهاء فترة امتيازها . وتتولى هذه الشركة تجميع مساهمات الأعضاء ، وطلب القروض اللازمة لتغطية إجمالي

تحويل المشروع . وتصبح هذه الشركة هي المسؤول عن سداد القروض وفوائدها للجهات المقرضة ، دون التعرض إلى الأصول المالية الخاصة بأعضاء الاتحاد المالي وبقية المساهمين^(٣٥) . كما تتولى هذه الشركة إجراءات التعاقد مع الحكومة لتنفيذ المشروع والتوقيع على الاتفاقات اللازمة التي توضح الحقوق والالتزامات لكل منهما . وتقوم الشركة أيضاً بإجراء كل التعاقدات الخارجية الأخرى اللازمة لتنفيذ المشروع كالتعاقد مع شركات المقاولات ، وموردي الآلات والأجهزة والمواد الأولية وغيرهم . وبعد إقامة المشروع تتولى الشركة عملية التشغيل بنفسها أو قد تتعاقد مع شركة مشغلة Operator لتتولى عملية التشغيل والصيانة ، وتستخدم الإيرادات المتحصلة خلال فترة التشغيل لتغطية تكاليف التشغيل والصيانة ودفع التزامات التمويل . والإيراد المتبقي بعد ذلك هو الإيراد الصافي أو الربح المحقق للشركة^(٣٦) . ومن حق الحكومة وكذلك الدائنين التأكد من أن عملية التشغيل والصيانة تتم وفقاً للمعايير المتفق عليها سلفاً . وبعد أن تنتهي فترة الامتياز الممنوحة للمشروع يتم تحويل ملكيته للحكومة . وقد ترى الحكومة أن من المناسب تجديد التعاقد مع الشركة نفسها لتستمر في التشغيل ، أو قد تعهد بالشغيل لطرف آخر من القطاع الخاص ، أو قد تتولى التشغيل بنفسها^(٣٧) .

وبعد هذا العرض المختصر عن آلية العمل بأسلوب الـ BOT ، أذكر فيما يلي نماذجاً لأهم عقود هذا الأسلوب :

١ - عقد البناء والتشغيل ثم التحويل (BOT) - Build - Operate - Transfer ويعتد من أشهر هذه النماذج وبه تنتمي أسلوب الـ BOT ، ويشتمل

هذا العقد على الطرفين المتعاقدين . الطرف الأول : الحكومة أو ممثلوها المختارين لإجراء التعاقد . الطرف الثاني : شركة المشروع . وبموجب هذا العقد يمنح الطرف الأول (الحكومة) امتيازاً للطرف الثاني (شركة المشروع) لفترة زمنية محددة^(٣٨) لتمويل وبناء واستثمار مشروع من مشاريع البنية التحتية (طريق أو جسر ، أو محطة توليد كهرباء أو تنقية مياه وغير ذلك) . وبعد الانتهاء من إقامة وبناء المشروع تتولى الشركة إدارته واستثماره وتشغيله وصيانته ، وتتقاضى الرسوم المفروضة على الجمهور المستفيدين من خدمات هذا المشروع والتي تم الاتفاق عليها سلفاً مع الحكومة كما تتولى تجميع الإيرادات المتحصلة خلال فترة الامتياز لتغطية تكاليف التشغيل والصيانة ، ودفع التزامات التمويل ومداد القروض وفوائدها ، والإيراد المتبقي بعد ذلك هو ما يكون الربح المناسب للشركة . وبعد انتهاء فترة الامتياز يتم تحويل إدارة واستثمار وتشغيل المشروع للطرف الأول (الحكومة) بدون مقابل^(٣٩) .

٢ - عقد البناء والتملك والتشغيل ثم الإعادة (BOOT) - Build

Own - Operate - Transfer ويشتمل هذا العقد أيضاً كسابقه على الطرفين المتعاقدين . الطرف الأول : الحكومة أو ممثلوها . الطرف الثاني : شركة المشروع . وبموجب هذا العقد يمنح الطرف الأول (الحكومة) حق التملك خلال فترة الامتياز للطرف الثاني وهي الشركة التي ستقوم بتمويل وبناء المشروع واستثماره وتشغيله وصيانته ، وتتقاضى الرسوم المفروضة على الجمهور المستفيدين من خدمات هذا المشروع ، والتي تم الاتفاق عليها سلفاً مع الحكومة . كما تتولى تجميع الإيرادات المتحصلة خلال فترة الامتياز لتغطية

تكاليف التشغيل والصيانة ، ودفع التزامات التمويل وسداد القروض وفوائدها والإيراد المتبقي بعد ذلك هو ما يكون الربح المناسب للشركة . وبعد انتهاء فترة الامتياز تنازل الشركة عن ملكية المشروع للطرف الأول (الحكومة) بدون مقابل^(٤٠) .

٣ - عقد البناء والتملك والتشغيل (BOO - Build - Own - Operate) وهو كالعقدين السابقين إلا أنه يختلف عنهما ، بأن الطرف الثاني في هذا العقد (شركة المشروع) لا تلتزم بعد انتهاء فترة الامتياز بتحويل أو إعادة إدارة أو ملكية المشروع للحكومة ، وإنما يقوم أعضاء الاتحاد المالي والمساهمون في ملكية المشروع (مؤسسو الشركة) ببيعه . لذلك لا ترحب الحكومات بنموذج هذا العقد إلا في بعض الحالات النادرة كان تنتهي حاجة الحكومة من الاستفادة من المشروع بعد انتهاء فترة الامتياز ، أو يكون المشروع قريباً من نهاية عمره الافتراضي^(٤١) .

٤ - عقد البناء والتأجير ثم التحويل (BLT - Build - Lease - Transfer) ويوجب هذا العقد يمنح الطرف الأول : (الحكومة) امتيازاً للطرف الثاني : (شركة المشروع) لإقامة وبناء مشروع من مشاريع البنية التحتية ، ويكون في الغالب مبنى حكومي كبناء مدرسة حكومية أو أي بناء خاص بإحدى القطاعات الحكومية . وبعد الانتهاء من إقامته وبناءه يقوم الطرف الأول : (الحكومة) باستجاره من الطرف الثاني طول فترة الامتياز . ومن الطبيعي أن يغطي مجموع قيمة الإيجار طول فترة الامتياز تكلفة إقامة وبناء المشروع ، إضافة إلى مقدار من الربح المناسب للشركة . وبعد انتهاء فترة الامتياز يتم تحويل المشروع للطرف الأول (الحكومة) بدون مقابل .

التكليف الفقهي :

بعد التعرف على أهم نماذج عقود الـ BOT أذكر التكليف الفقهي لهذا الأسلوب وذلك على النحو التالي :

أ - مشروعية مشاركة القطاع الخاص للدولة في إقامة وتمويل مشاريع البنية التحتية :

تقع مسئولية إقامة وتمويل مشاريع البنية التحتية - كما هو معلوم - على عاتق الدولة الإسلامية ، وخاصة إذا كانت هذه المشاريع لسد الثغور وذات نفع عام ، ولذلك يتم تمويلها من بيت مال المسلمين . وإذا لم تكف موارد بيت المال ، أو كانت هذه المشاريع ذات نفع خاص لمجموعة دون أخرى ، فإن القطاع الخاص يشارك الدولة في هذه المسئولية . وتوضح هذه الصورة في ما ذكره القاضي أبو يوسف رحمه الله في كتاب الخراج الذي أوصى فيه الخليفة العباسي هارون الرشيد باتباع بعض النصائح التي قدمها له ، والتي منها ما يتعلق بالنفقات العامة على مشاريع البنية التحتية التي يعم نفعها عامة المسلمين ، والمشاريع التي يخص نفعها طائفة معينة منهم . وأنه ينبغي على هذه الطائفة مشاركة الدولة في تمويلها أو القيام بها بمفردها . قال أبو يوسف : « وإذا احتاج أهل السواد إلى كرى أنهارهم البعظام التي تأخذ من دجلة والفرات كريت لهم وكانت النفقة من بيت المال ومن أهل الخراج ولا يحمل ذلك كله على أهل الخراج . وأما الأنهار التي يجرونها إلى أرضهم ومزارعهم وكرومهم ورطابهم وبساتينهم ومباقلهم وما أشبه ذلك فكريها عليهم خاصة ليس على بيت المال من ذلك شيء ، فأما الجثوق والمسنيات والبريدات^(٤٧) التي تكون في دجلة

والفرات وغيرهما من الأنهار العظام فإن النفقة على هذا كله من بيت المال لا يحمل على أهل الخراج من ذلك شيء لأن مصلحة هذا على الإمام خاصة لأنه أمر عام لجميع المسلمين .. «^(٤٣)» .

ونستفيد من هذه الوصية تبين أبو يوسف لمسئولية الدولة في إقامة وتمويل بعض مشاريع البنية التحتية بمفردها ، وكذلك مسئولية القطاع الخاص في إقامة وتمويل بعض هذه المشاريع بمفرده ، أو مشاركة القطاعين في إقامة وتمويل بعض هذه المشاريع وقيامهما معاً بهذه المسئولية . فإذا كان هناك بعض الأنهار التي تجري في أراضي بعض المزارعين ولكن دعت الحاجة إلى إصلاحها كانهضاض المياه مثلاً ولا يستطيع القطاع الخاص المستفيد منها تحمل تكلفة الإصلاح بمفرده نظراً لضخامة وكثرة تكاليفه فإنه يقع على الدولة تحمل جزء من تكلفة هذا المشروع ، ويتحمل القطاع الخاص المستفيد من المشروع الجزء المتبقي . وأما إذا كان النفع يعود لجميع المسلمين لا لطائفة معينة منهم ، وتوجد موارد مالية لدى الدولة لتحمل نفقات إقامة وتمويل مثل هذه المشاريع فهي التي تتولى هذه المسئولية بمفردها^(٤٤) يقول أبو يوسف : « .. فأما البشوق والمسنيات والبريدات ... فإن النفقة في هذا كله على بيت المال لا يحمل على أهل الخراج من ذلك شيء لأن مصلحة هذا على الإمام خاصة لأنه أمر عام لجميع المسلمين .. » ، وأما ما يقوم به بعض أصحاب المزارع من إجراء بعض الأنهار والجداول الصغيرة إلى أرضهم ومزارعهم مما يكون فائده عائدة عليهم ولا تتعداهم إلى غيرهم فإن تمويل مثل هذه المشاريع يكون على المستفيدين منه . يقول أبو يوسف : « .. وأما الأنهار التي يجرونها إلى أرضهم ومزارعهم وكرومهم

ورطابهم وبساتينهم ومباقلهم وما أشبه ذلك فكريها عليهم خاصة ليس على بيت المال من ذلك شيء .. «(٤٥)» .

ب - الحكم الشرعي على الصبغ التعاقدية لأسلوب الـ BOT :

بالتأمل في أهم نماذج عقود أسلوب الـ BOT ، عقد البناء والتشغيل ثم التحويل ، أو عقد البناء والتملك والتشغيل ثم الإعادة ، أو عقد البناء والتملك والتشغيل ثم البيع ، أو عقد البناء والتأجير ثم التحويل نجد أن هذه العقود تشتمل صبغتها التعاقدية على طرفين رئيسيين . الطرف الأول هو الحكومة صاحبة الطبيعة أو الأرض التي سيقام عليها مشروع من مشاريع البنية التحتية ، وهي صاحبة الحق في الامتياز الذي ستمنحه لمن سيقوم بتنفيذ المشروع . والطرف الثاني هو شركة المشروع المنفذة له والتي أنشئت من أجله ، وحصلت على حق الامتياز بسببه . فالتعاقد القائم بين الحكومة من جهة والشركة المنفذة للمشروع من جهة أخرى ، وبأي صورة من صور نماذج العقود المتقدمة لا بأس به . فللحكومة أن تمنح هذه الفرصة للشركة صاحبة العطاء الأفضل لإقامة مشروع من مشاريع البنية التحتية يتحقق منه نفع عام ومباح للجمهور ، ونفع خاص لمن يقوم بتنفيذه لفترة زمنية معينة ومحددة وهي فترة الامتياز ، ثم تعود ملكية المشروع بعد انتهائها للدولة . وللدولة أيضاً الحق في أن تشتري أو تستأجر منفعة المشروع من الشركة خلال فترة الامتياز ، أو أن تتنازل عن المشروع في بعض الحالات لمن قام بتنفيذه وكل ذلك مرتبط بتحقيق المصلحة والنفع العام المباح للجمهور . ولكن بالنظر في كيفية تأسيس شركة المشروع ومصادر تكوين رأس مالها ، والتمويل التي ستحصل عليه لتغطية عملية التنفيذ

نجد - كما سبق - أن مؤسسي مثل هذه الشركات من المستثمرين والقانونيين والمهندسين وأصحاب المقاولات العالمية والمحلية يكوّنون اتحاداً مالياً *Constium* يتفقون فيه على نسبة مساهمة كل منهم في رأس المال - حقوق الملكية أو أسهم المشروع - وهي تشكل عادة من ١٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ من إجمالي التمويل اللازم للمشروع . ويحصلون على بقية إجمالي التمويل التي تراوح نسبته من ٧٠ ٪ إلى ٨٥ ٪ عن طريق الاقتراض من البنوك ومؤسسات التمويل . ولا شك أن هذه المبالغ المقرضة تفرض عليها جهات التمويل المقرضة فوائد ربوية ، ومعلوم بأنها من قبيل ربا النسيفة الذي نزل القرآن الكريم بتحريمه فقال تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَئِنَّكُمْ رُءُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿ [البقرة :

٢٧٨ ، ٢٧٩] . وتوجد هناك بعض الصيغ الإسلامية المقترحة والتي يمكن بواسطتها حصول شركات مشاريع البنية التحتية على التمويل بدون اللجوء إلى الاقتراض بفوائد ربوية محرمة وهو ما سيذكره الباحث في المبحث الذي يلي هذا الجزء من الدراسة .

رابعاً : الصيغ الإسلامية المقترحة لتمويل وإقامة مشاريع البنية التحتية :

١ - التمويل من المصارف الإسلامية بطريق المشاركة :

يمكن لشركة المشروع الحصول على الجزء المتبقي لتغطية إجمالي التكاليف اللازمة لنفقات المشروع من المصارف الإسلامية . وتعتبر هذه المصارف مساهمة في رأس مال شركة المشروع بقدر نسبة مساهمتها في التمويل . وتقدر نسبة ربح المصارف الإسلامية على حسب الاتفاق المبرم بينها وبين شركة المشروع ، وفي حالة حدوث خسارة فإنها توزع على حسب نسبة رأس المال . ومما يشجع المصارف الإسلامية على المساهمة في مشاريع البنية التحتية أنها مشاريع قائمة على دراسات جدوى دقيقة ويتوقع أن تكون تدفقات الإيرادات منها خلال فترة الامتياز كافية لتغطية تكاليفها ، مع تحقيق أرباح مجزية خاصة إذا تعاقدت الحكومة مع شركة المشروع على شراء منتجاته خلال فترة الامتياز بأسعار محددة^(٤٦) .

ومن هنا فإن العقد الذي تستطيع بواسطته شركة المشروع الحصول على ما تحتاجه من التمويل اللازم من المصارف الإسلامية ينطوي على مساهمتها بجزء من رأس المال . وقيامها بأعمال الإدارة ، ومساهمة المصارف الإسلامية بالجزء المتبقي من إجمالي رأس المال . وبناء على ما تقدم فإنه يمكن تكييف هذا العقد على أنه يشتمل على شركة ومضاربة وهو عقد جائز . جاء في المغني : « أن يشترك مالان وبدن صاحب أحدهما فهذا يجمع شركة ومضاربة وهو صحيح فلو كان بين رجلين ثلاثة آلاف درهم لأحدهما ألف وللآخر ألفان فأذن

صاحب الألفين لصاحب الألف أن يتصرف فيها على أن يكون الربح بينهما نصفين صح ... «(٤٧)» .

فهنا تمويل من المصارف الإسلامية ، وعمل من شركة المشروع متمثل في عنصر الإدارة . وتمويل وهو نسبة حقوق الملكية أو أسهم المشروع لمتبني المشروع والذي يشكل عادة من ١٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ من إجمالي التمويل اللازم للمشروع ، وهذا جائز كما تقدم ، ولكن ينبغي أن يجعل لشركة المشروع زيادة في نسبة الربح نظير قيامها بأعمال الإدارة .

٢ - تأسيس شركة مساهمة للمشروع وطرح أسهمها للاكتتاب العام :

يمكن لمتبني المشروع وأعضاء الاتحاد المالي الحصول على ترخيص من الحكومة لتأسيس شركة مساهمة يكون الغرض من إنشائها تنفيذ المشروع المطلوب القيام به ، وتكون مدة الشركة هي نفس فترة الامتياز الممنوحة من الحكومة . ثم يقوم المؤسسون بطرح أسهم الشركة للاكتتاب العام للجمهور . وينبغي أن يكون الاكتتاب بكامل القيمة الاسمية للأسهم حتى تضمن الشركة الحصول على التمويل اللازم لتنفيذ المشروع^(٤٨) . كما ينبغي أن يشترط في عقد الشركة الابتدائي ونظامها الأساسي على المؤسسين والمساهمين قبول التنازل عن حصصهم وأسهمهم للحكومة بعد انتهاء مدة الشركة وفترة امتيازها ولا بأس في ذلك ما دام أن فترة الامتياز الممنوحة للشركة كافية لتغطية واسترداد رأس مال المؤسسين والمساهمين مع تحقيق أرباح مجزية لهم .

٣ - التمويل عن طريق إصدار وبيع سندات الخدمات :

تستطيع شركة المشروع الحصول على تغطية الجزء المتبقي من إجمالي التمويل اللازم للمشروع عن طريق إصدار وبيع سندات للجمهور بمثل كل سند منها كمية معروفة وموصوفة ومحددة تحديداً دقيقاً من الخدمة التي ستنتجها فلو كانت الشركة على سبيل المثال تنتج خدمات الهاتف الجوال أو المحمول ، تصدر سندات يحتوي كل منها على مائة وحدة من خدماته ، ويمكن أن تعرف وحدة خدمة هاتف الجوال التي تنتجها بأنها عبارة عن عشرة مكالمات محلية لمدة معينة أو ما يكافئها من المكالمات الدولية ، والسند قد يصدر في عام ٢٠٠٢ م ولكنه يبدأ استخدامه والانتفاع به في عام ٢٠٠٤ م على أن يكون ثمن الخدمة التي يحتويها السند أقل من ثمنها الذي تباع به في الوقت الحاضر بمقدار يشجع الجمهور على شرائه . وبذلك تحصل شركة المشروع على التمويل من تسويق هذه السندات وتستخدمه في إنشاء المشروع أو قد تستخدمه لأغراض في الأجل القصير مثل تمويل رأس المال العامل^(٩٠) . ويرى د. منذر قحف صاحب هذا المقترح أن الأسس الشرعية لسندات الخدمات تستند على مبادئ شرعيين :

أ - مبدأ تدوين أو توثيق الديون الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... ﴾
[البقرة : ٢٨٢] .

ب - عقد الإجارة في الفقه الإسلامي ، والذي يمكن بمقتضاه تأجير أو إباحة نفع لأصل ما ، أو لخدمة بشرية ما^(٩١) .

إلا أن الباحث يرى أن المعاملة بسندات الخدمات بالصورة المتقدمة يمكن
تكييفها على أنها عقد سلم . لأن ثمن السند ستحصل عليه الشركة التي ستنتج
الخدمة أو المنفعة عند تسويقها له حالاً ، والانتفاع بالخدمة التي يحتويها السند
مؤجلة إلى وقت محدد في المستقبل . وذكر جمهور الفقهاء أن السلم جائز في
المنافع أو الخدمات إذا كانت صالحة للثبوت في الذمة ، ويمكن تحديدها وضبطها
بالقدر والصفة . فقد ذكر المالكية جواز أن يكون رأس مال السلم من المنافع
إذا عجل قبض العين التي تستوفي منها المنفعة ولو تأخر استيفاء تلك المنافع إلى
ما بعد قبض السلم فيه جاء في الشرح الكبير : « وجاز السلم بمنفعة شيء معين
كسكنى دار وخدمة عبد وركوب دابة معينة ولو تأخر استيفاؤها عن قبض
المسلم فيه »^(٥١) . وذكر الشافعية جواز أن يكون رأس مال السلم منفعة جاء في
مغني المحتاج : « .. ويجوز كونه منفعة - أي رأس مال السلم - كما يجوز
جعلها ثمناً أو أجره أو صداقاً .. »^(٥٢) . وكذلك الحنابلة قالوا بجواز السلم في
المنافع ، جاء في كشف القناع : « فيجري السلم في المنافع كالأعيان »^(٥٣) .
والمنافع كما يجوز أن تكون رأس مال في السلم عند الجمهور ، فإنه يجوز أن
تكون مسلماً فيها لأنها تثبت في الذمة كالأعيان وذكر ذلك في مغني المحتاج
بقوله : « يصح السلم في المنافع كعليم القرآن لأنها تثبت في الذمة
كالأعيان »^(٥٤) . ويستفاد مما تقدم أن عقد السلم عام في كل الأموال الصالحة
للثبوت في الذمة والانضباط بالصفة والقابلة للتداول على سبيل المعاوضات
المالية ، وليس محصوراً فيما يمكن تقديره بالكيل أو الوزن ولا مقتصرأ على
الأموال التي كان يسلم فيها في القدم^(٥٥) .

خامساً : الخاتمة والتوصيات :

إن تمويل مشاريع البنية التحتية في الماضي كان من مسؤولية الدولة فهي التي تمتلك مشاريع المرافق الأساسية وتنفق على إقامتها وتتحول إدارتها وتشغيلها ، وكانت تمثل لها عبئاً مالياً كبيراً فتحمّل الديون الداخلية والخارجية لتوفير التمويل اللازم لها ، ونظراً لأهمية هذه المشاريع بحيث لا يمكن لأي نهضة اقتصادية أو اجتماعية في أي دولة أن تقوم بدونها ، سعت دول العالم وخاصة النامية منها إلى التخصيص ، أي مشاركة القطاع الخاص في تنفيذ مشاريع البنية التحتية وإدارتها وتشغيلها وبالتالي استطاعت أن تخفف من أعبائها المالية والإدارية ، وتفرغ للأعباء الأخرى الرئيسة والمهمة كالأمن والدفاع ونحوها .

من الأساليب الجديدة لمظاهر التخصيص ومنح القطاع الخاص امتيازات لتنفيذ مشاريع البنية التحتية أسلوب البناء والتشغيل ثم الإعادة BOT ويُمكن هذا الأسلوب القطاع الخاص من إقامة وتطوير وإدارة - مؤقتاً - تملك تلك المشاريع خلال فترة الامتياز الممنوحة لها ثم تتحول بعدها ملكيتها إلى الدولة ، ولهذا فإن أعباء تمويل هذه المشاريع قد انتقل من القطاع العام إلى القطاع الخاص .

يحق الاستثمار بأسلوب BOT أرباحاً مرتفعة للقطاع الخاص ، ولكن أعضاء الاتحاد المالي المؤسسين لشركة المشروع التي ستقوم بتنفيذ مشروع البنية التحتية المطلوب إقامته وتشيدته لا يساهمون في رأس مال هذه الشركة عادة إلاّ بنسبة تتراوح بين ١٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ من إجمالي التمويل اللازم للمشروع

ويلجأون إلى البنوك ومؤسسات التمويل للحصول على بقية التمويل الذي تتراوح نسبته بين ٧٠ ٪ إلى ٨٥ ٪ من رأس مال شركة المشروع وهو عبارة عن قروض ربوية بفوائد ، وهي من قبيل ربا النسيئة الذي نزل القرآن بتحريمه . يجوز للدولة أن تمنح القطاع الخاص الفرصة للمشاركة في إقامة وبناء بعض مشاريع البنية التحتية التي يتحقق منها نفع عام ومباح للجمهور على أن تكون الأولويات للمشاريع التي تتحقق منها المصالح الضرورية ثم الحاجة ثم التحسينية .

توجد صيغ تمويل إسلامية بديلة عن الاقتراض من المصارف والمؤسسات المالية بفوائد ربوية محرمة . ويوصي الباحث الدول الإسلامية التي تتعاقد مع شركات القطاع الخاص العالمية والمحلية لإقامة مشاريع للبنية التحتية لديها أن توجه هذه الشركات لاستخدام الصيغ الإسلامية للتمويل ومنها :

أ - الحصول على التمويل من المصارف الإسلامية بطريق المشاركة .

ب - تأسيس شركة مساهمة للمشروع وطرح أسهمها للاكتتاب العام من الجمهور بكامل رأس المال ، على أن يشترط في عقد الشركة الابتدائي ونظامها الأساسي على المؤسسين والمساهمين التنازل عن حصصهم وأسهمهم للحكومة بعد انتهاء مدة الشركة وفترة امتيازها .

ج - التمويل عن طريق إصدار وبيع سندات الخدمة التي ستنتجها شركة المشروع للجمهور بحيث يمثل كل سند فيها كمية معروفة وموصوفة ومحددة تحديداً دقيقاً للخدمة المنتجة . على أن يكون الانتفاع بهذه السندات في فترة

زمنية مستقبلية ومحددة أيضاً ، ويضمن أقل من الثمن الذي تباع به نفس كميات الخدمة المتاحة استخدامها على الفور . وهذه الصيغة من قبيل بيع السلم لأن ثمن سند الخدمة ستحصل عليه شركة المشروع عند تسويقه حالاً ، والانتفاع بالخدمة التي يحتويها السند مؤجلة إلى وقت محدد في المستقبل . وقد ذكر جمهور الفقهاء جواز السلم في المنافع أو الخدمات إذا كانت صالحة للثبوت في الذمة ، ويمكن تحديدها وضبطها بالقدر والصفة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحواشي والتعليقات

- (١) محمد عمر شابرا ، النظام الاقتصادي في الإسلام " دور الدولة " ، بيروت - لبنان ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ١٦ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ص ٥٧ .
- (٢) إبراهيم فزاد أحمد علي ، الإنفاق العام في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ، ص ٣٩ .
- (٣) عبد الله حاسن معبد الجابري ، مشاريع تكوين البنية الأساسية في الاقتصاد الإسلامي وآثارها ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، رسالة دكتوراه ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ص ١٨ ، ١٩ .
- (٤) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الجامع الصغير ، بيروت ، دار الفكر ، ط: الأولى ، ١٩٨١ م ، ج٢ ، ص ٥٨٦ .
- (٥) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، ج٣ ، ص ١١٨٨ .
- (٦) موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، روضة الناظر وجنة المناظر ، بيروت - لبنان ، دار الندوة الجديدة ، بدون ، ص ١٩ .
- (٧) عبد الله الجابري ، مشاريع تكوين البنية الأساسية في الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٩ ، ٣٠ .
- (٨) يقصد بالمصالح الضرورية : ما لا بُدّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تخرب مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهاجر ، وفي الآخرة فوات النجاة والرجوع بالخسران المبين . والمقاصد الحاجية هي : ما يُقْتَقَرُ إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة ، ولكن لا يبلغ مبلغ الفساد المتوقع في المصالح العامة . والمقاصد التحسينية هي : الحاجات التي لا تتحرج الحياة بتركها وإن كانت مما يُدخل الجمال والمتعة على الحياة الإنسانية . انظر :

- أبو إسحاق إبراهيم اللخمي ، المرافقات في أصول الأحكام ، القاهرة ، مطبعة المدنية ، ١٩٦٩ م ، ج٢ ، ص ٤ ، ٥ ، ٦ . وعبد الله الجابري ، مشاريع تكوين البنية الأساسية في الاقتصاد الإسلامي . مرجع سابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
- (٩) عمرو محي الدين ، التخلف والتنمية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٣٦ .
- (١٠) عبد القادر محمد عبد القادر عطية ، دراسات الجدوى التجارية والاقتصادية والاجتماعية مع مشاريع BOT ، الاسكندرية ، الدار الجامعية ، ط : الثانية ، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ م ، ص ٦٣١ .
- (١١) عبد الله الجابري ، مشاريع تكوين البنية الأساسية في الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .
- (١٢) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ٦٣١ .
- (١٣) سعيد بن سعد المرطان ، تجربة البنك الأهلي التجاري في تعبئة المدخرات لتمويل مشاريع البنية التحتية بصيغ إسلامية ، ندوة التعاون بين الحكومة والقطاع الأهلي في تمويل المشاريع الاقتصادية ، جدة ، جامعة الملك عبد العزيز ٢ - ٤ / ٧ / ١٤٢٠ هـ ، ص ٣ .
- (١٤) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ص ٦٣١ .
- (١٥) السيد إمام محمود حجازي ، المعايير المستحدثة في تقييم دراسات الجدوى للمشاريع الاقتصادية بصفة عامة ومشاريع البنية الأساسية بصفة خاصة ، القاهرة ، البنك الأهلي المصري ، مايو ١٩٩٧ م ، ص ١٤ .
- (١٦) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ص ٦٣٢ .
- (١٧) أحمد السعيد الزقرد ، التأثيرات القانونية والاقتصادية والسياسية للعولمة على مصر والعالم العربي (عقود BOT وآليات الدول العالمية) ، القاهرة ، المؤتمر السنوي السادس كلية الحقوق جامعة المنصورة ، ٢٦ - ٢٧ مارس ٢٠٠٢ هـ ، ص ٣ .

(١٨) خالد بن عبد الله الدغيشر ، أساليب البناء - التشغيل - الإعادة " BOT " :

سلاح المنافسة الجديد في صناعة البناء والتشييد ، المؤتمر الهندسي السعودي الخامس ،
مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٣ - ١٦ ذي القعدة ١٤١٩ هـ ، ص ٨٣ .

(١٩) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، الصفحات ٦٦٣ ، ٦٣٤ ، ٦٤٦ .

(٢٠) خالد الدغيشر ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٢١) عبد الرحيم عبد الحميد الساعاتي ، خصخصة إدارة وبناء وتشغيل البنية التحتية في

المملكة العربية السعودية ، ندوة التعاون بين الحكومة والقطاع الأهلي في تمويل

المشاريع الاقتصادية ، جدة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ٢ - ٤ / ٧ / ١٤٢٠ هـ

ص ٤٣ .

(٢٢) خالد الدغيشر ، مرجع سابق ، ص ٩٣ ، ٩٢ .

(٢٣) البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٤ ، مرجع سابق ، ص ١١٤ -

١١٥ .

(٢٤) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

(٢٥) خالد الدغيشر ، مرجع سابق ، ص ٨٧ ، ، وعبد الرحيم الساعاتي ، مرجع سابق ،

ص ١٤ .

(٢٦) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ص ٦٤٩ .

(٢٧) عبد الرحيم الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٢٨) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ص ٦٤٨ .

(٢٩) عبد الرحيم الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٣٠) خالد الدغيشر ، مرجع سابق ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣١) يتضمن هذا الإطار في الغالب التشريعات المتعلقة بالإعفاء الضريبي ، وقوانين

وأنظمة العمل والعمال ، والجمارك ، وحماية المستثمر الأجنبي ونحو ذلك . انظر :

عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ص ٦٣٦ .

(٣٢) ويتحدد ذلك بناء على دراسة الجدوى المبدئية التي تعدها الحكومة لتوضح الجوانب المختلفة للمشروع بالنسبة للراغبين في تنفيذه .

(٣٣) جرت العادة على أن تتكوّن معظم المساهمات في رأس مال وملكية هذه المشاريع من شركات المقاولات العالمية ، وشركات أخرى هندسية وصناعية وقانونية وشركات تأمين . إلا أن هذه المجموعة تدرك الدور الإيجابي الذي يلعبه تواجد الشركاء المحليين من أجل نجاح المشروع وتسهيل مهمة عملهم فتسعى إلى مشاركة المقاولين والمستثمرين والأيدي العاملة المحليين . انظر : خالد الدغثير ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(٣٤) عبد الرحيم الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٣٥) تحصل شركة المشروع على هذه القروض من قبل البنوك التجارية أو بيوت التمويل والمؤسسات المالية الدولية ، وقد تصل مدتها إلى خمسة عشر عاماً . وتعتمد الجهات المقرضة في سداد هذه القروض على القيمة المتوقعة لإيرادات المشروع . وليس لها أي مدخل إلى المجموعة المبنية للمشروع من أجل استرجاع قروضهم في حالة فشل المشروع . إلا أن مشاركة المجموعة المبنية للمشروع في حصة رأس المال (أسهم وحقوق الملكية) تعطي درجة من الطمأنينة للمقرضين في توقعاتهم لنجاح تنفيذ المشروع وتحقيقه لهوائد مجزية .. وعلى الرغم من أن تمويل المشاريع التي تنفذ بأسلوب BOT تكون عادة غير مضمونة كما تقدم وأنها تعتمد على القيمة المتوقعة لإيرادات المشروع ، أو على قيمة أصوله التي يمكن بيعها في حالة فشل المشروع و سداد التزاماته منها . إلا أن هناك من يرى بأنه في حالة تعاقد الحكومة مع شركة المشروع على شراء خدماته المنتجة خلال فترة العقد بأسعار محددة ، كشراء الطاقة الإنتاجية لمشروع توليد كهرباء ، أو تنقية مياه ، تصبح إيرادات المشروع في هذه الحالة أكثر تأكيداً ، وبالتالي يمكن القول بأن الإقراض المقدم لهذا المشروع إقراض بضمان محدود . انظر : خالد الدغثير ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

- عبد الرحيم الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

- عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ص ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

- (٣٦) عبد الرحيم الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .
- (٣٧) عبد القادر عطية ، مرجع سابق ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ .
- (٣٨) تتراوح فترة الامتياز من ١٥ إلى ٢٥ عاماً ، وتختلف باختلاف نوعية المشروع وحسب الشروط التي تطلبها الحكومة .
- (٣٩) عبد الرحيم الساعاتي ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
- (٤٠) خالد الدغيش ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .
- (٤١) المرجع السابق ، ص ٨٩ .
- (٤٢) البشوق جمع يتق وهو ما يترقه الماء في جانب النهر . والمسنات جمع مسناة وهو السند يُبنى في وجه الماء . والبريدات مفاتيح الماء .
- (٤٣) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، كتاب الخراج ، بيروت - لبنان ، دار المعرفة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ص ١١٠ .
- (٤٤) عبد الله الجابري ، مشاريع تكوين البنية الأساسية في الاقتصاد الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .
- (٤٥) القاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .
- (٤٦) وتستطيع المصارف الإسلامية أن تؤسس صناديق استثمار مغلقة وتخصصها للاستثمار في مشاريع البنية التحتية .
- (٤٧) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، المغني ، القاهرة ، هجر للطباعة والنشر ، ط: الثانية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ج٧ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
- (٤٨) عبد العزيز عزت الحياط ، الشركات في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط : الثانية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . ص ٩١ - ٩٣ .
- (49) MONZER KAHF " SERVICE BONDS FOR FINANCING PUBLIC UTILITIES " to be presented at the Seminar on Financing Government Enterprises from the Private Sector , King Abdulaziz University , Jeddah 2 - 4 - rajab 1420 h , pp. 17 - 22 .

(50) Op. Cit. PP. 17 - 22 .

(٥١) أحمد الدردير ، الشرح الكبير ، مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، بدون ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .

(٥٢) محمد الشربيني الخطيب ، مفني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، بيروت - لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، بدون ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(٥٣) منصور بن يونس البهوتي ، كشف القناع عن متن الإقناع ، مصر ، دار الفكر ، بدون ، جـ ٣ ، ص ٥٦٤ .

(٥٤) محمد الشربيني الخطيب ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ١١٤ .

(٥٥) مطهر سيف أحمد ، عقد السلم وعقد الاستمناح ومجالات تطبيقهما في الاقتصاد الإسلامي ، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، ص ٢٥ ، ص ٤٧ .

مراجع البحث

- ١ - أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم ، كتاب الخراج ، بيروت - لبنان ، دار المعرفة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٢ - أحمد ، مطهر سيف ، عقد السلم وعقد الاستصناع ومجالات تطبيقهما في الاقتصاد الإسلامي ، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٣ - البهوتي ، منصور بن يونس ، كشف القناع عن متن الإقناع ، مصر ، دار الفكر ، بدون .
- ٤ - الجابري ، عبد الله حاسن معبد ، مشاريع تكوين البنية الأساسية في الاقتصاد الإسلامي وآثارها .
- ٥ - حجازي ، السيد إمام محمود ، المعايير المستحدثة في تقييم دراسات الجدوى للمشاريع الاقتصادية بصفة عامة ومشاريع البنية الأساسية بصفة خاصة ، القاهرة ، البنك الأهلي المصري ، مايو ١٩٩٧ م .
- ٦ - الخطيب ، محمد الشريبي ، مفتي المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، بيروت - لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، بدون .
- ٧ - الحياط ، عبد العزيز عزت ، الشركات في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٨ - الدردير ، أحمد ، الشرح الكبير ، مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، بدون .
- ٩ - الدغثير ، خالد بن عبد الله ، أساليب البناء - التشغيل - الإعادة " BOT " سلاح المنافسة الجديد في صناعة البناء والتشييد ، المؤتمر الهندسي السعودي الخامس ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٣ - ١٦ ذي القعدة ١٤١٩ هـ .

- ١٠ - الزقرد ، أحمد السعيد ، التأثيرات القانونية والاقتصادية والسياسية للعملة على مصر والعالم العربي (عقود BOT وآليات الدول العالمية) ، القاهرة ، المؤتمر السنوي السادس ، كلية الحقوق جامعة المنصورة ، ٢٦ - ٢٧ مارس ٢٠٠٢ م .
- ١١ - الساعاتي ، عبد الرحيم عبد الحميد ، خصخصة إدارة وبناء وتشغيل البنية التحتية في المملكة العربية السعودية ، ندوة التعاون بين الحكومة والقطاع الأهلي في تمويل المشاريع الاقتصادية ، جدة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ٢ - ٤ / ٧ / ١٤٢٠ هـ .
- ١٢ - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الجامع الصغير ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م .
- ١٣ - شايرا ، محمد عمر ، النظام الاقتصادي في الإسلام " دور الدولة " ، بيروت - لبنان ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ١٦ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ١٤ - عطية ، عبد القادر محمد عبد القادر ، دراسات الجدوى التجارية والاقتصادية والاجتماعية مع مشاريع BOT ، الاسكندرية ، الدار الجامعية ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ م .
- ١٥ - علي ، إبراهيم فؤاد أحمد ، الإنفاق العالم في الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٦ - اللّخمي ، أبو إسحاق إبراهيم ، الموافقات في أصول الأحكام ، القاهرة مطبعة المدني ، ١٩٦٩ م .

١٧ - محي الدين ، التخلف والتنمية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ م .

١٨ - المرطان ، سعيد بن سعد ، تجربة البنك الأهلي التجاري في تعبئة المدخرات لتمويل مشاريع البنية التحتية بصيغ إسلامية ، ندوة التعاون بين الحكومة والقطاع الأهلي في تمويل المشاريع الاقتصادية ، جدة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ٢ - ٤ / ٧ / ١٤٢٠ هـ .

١٩ - المقدسي ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ، روضة الناظر وجنة المناظر ، بيروت - لبنان ، دار الندوة الجديدة ، بدون .

- المغني ، القاهرة ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ هـ -

١٩٩٢ م ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو .

٢٠ - النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

21 - MONZER KAHF " SERVICE BONDS FOR FINANCING PUBLIC UTILITIES " to be presented at the Seminar on Financing Government Enterprises from the Private Sector , King Abdulaziz University , Jeddah 2 - 4 - rajab 1420 h .

تسوية منازعات التجارة الدولية في منظمة التجارة العالمية

الخصائص - القواعد والإجراءات - التنفيذ

دكتور

جلال وفاء محمددين

أستاذ القانون التجاري - كلية الحقوق

جامعة الإسكندرية

مقدمة

تعتبر آلية تسوية المنازعات من أهم وأبرز الإنجازات التي أسفرت عنها جولة أوروغواي عام ١٩٩٤. صحيح إن هذه الآلية قد نشأت على غرار نظام تسوية المنازعات في ظل اتفاقيات الجات لعام ١٩٤٧، إلا أن بناء الآلية الجديدة قد تلاقى الكثير من العيوب التي كانت تعترض النظام السابق لتسوية منازعات التجارة الدولية، وذلك بما أدخله المؤتمرون في الاجتماع الوزاري الذي انعقد في مونتريال عام ١٩٨٨ من إصلاحات على ذلك النظام. ولعل من أهم الإنجازات التي تحققت في جولة أوروغواي إمكانية اللجوء إلى آلية تسوية المنازعات التي نشأت في رحاب منظمة التجارة العالمية (World Trade Organization (WTO) لكي تشمل موضوعات واتفاقيات جديدة كالمنازعات التي تنشأ بمناسبة تطبيق اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية (تريبس) The Agreement on Trade Related Aspects of Intellectual Property Rights (TRIPS) وكذلك اتفاقية الخدمات The Services Agreement إلى جانب الاتفاقيات الأخرى المشمولة والملحقة باتفاقية منظمة التجارة العالمية.

وتتميز الآلية المستحدثة لتسوية المنازعات في إطار منظمة التجارة العالمية بالتلقائية في إنشاء وتكوين فرق التحكيم Panels، علاوة على تحديد اختصاصاتها، وكذلك السرعة في إصدار القرارات والتوصيات من خلال القواعد الملزمة بتحديد المواعيد التي يتعين خلالها إنهاء التسوية. كما تتميز الآلية الجديدة بإنشاء هيئة استئنافية Appellate Body ترفع إليها الطعون في قرارات فرق التحكيم. وفوق ذلك كله،

استُحدث نظام التشاور Consultation كاسلوب يتيح للأطراف المتنازعين الفرصة للوصول إلى حلول سريعة ومرضية لمنازعاتهم. وتأكيداً لفاعلية آلية تسوية المنازعات في ظل منظمة التجارة العالمية WTO ، فقد نصت المذكرة المتعلقة بإجراءات تسوية المنازعات (مذكرة التفاهم) Dispute Settlement Understanding (DSU) والملحقة باتفاق منظمة التجارة العالمية على قواعد لإنفاذ وإعمال القرارات الصادرة من جهاز تسوية المنازعات Dispute Settlement Body (D S B) في القضايا التي يتم البت فيها .

ونقوم فيما يلي بإبراز الملامح والخصائص الجوهرية لآلية تسوية المنازعات في إطار WTO ، وكذلك القواعد والإجراءات التي وضعتها مذكرة التفاهم للفصل في المنازعات مع عرض لمشكلات تنفيذ القرارات والتوصيات في هذا الخصوص .

تقسيم :

وعليه ينقسم هذا البحث إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: خصائص آلية تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية.

المطلب الثاني: قواعد وإجراءات تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية.

المطلب الثالث: تنفيذ التوصيات والقرارات .

المطلب الأول

خصائص آلية تسوية المنازعات

في منظمة التجارة العالمية

أولاً - تغليب السمة القضائية على السمة الدبلوماسية:

اتفق المؤتمرون في جولة أوروغواي على الأهمية القصوى لتكريس الجهود من أجل إنشاء سبل بديلة لتسوية منازعات التجارة الدولية، ومع ذلك حصل خلاف - في بداية الأمر - حول الأسلوب والمنهج الذي يتعين اتباعه في هذا الخصوص^(١)، فلقد كانت بعض الدول وبالذات دول الاتحاد الأوروبي تفضل الطرق الدبلوماسية لتسوية منازعات التجارة الدولية بالنظر إلى أن هذه الطرق تتسم بالمرونة، وخاصة أن تلك المنازعات عادة ما يكون لها انعكاسات سياسية، لذا يكون من الأفضل تسويتها بطريق التشاور بين الدول والمفاوضات والمصالحات الدبلوماسية وليس عن طريق المحاكم أو هيئات التحكيم^(٢).

(١) وفي مقال للخلاف حول أسلوب ومنهج تسوية منازعات التجارة الدولية ذلك الخلاف بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، راجع:

John Linarelli, The Role of Dispute Settlement in World Trade Law: Some Lessons from the Kodak - Fuji Dispute, Volume 31 No. 2 Law and Policy in International Business pp. 263 - 273 (2000);

راجع كذلك:

William Davey, The WTO Dispute Settlement System, Volume 3 No. 1 Journal of International Economic Law, pp. 15 - 18 (March 2000).

(٢) أنظر لي معنى قريب:

Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round: Lawyers Triumph over Diplomats, Volume 29 No. 2 The International Lawyer pp. 389 - 409 (Summer 1995).

وبصفة خاصة في ص ٣٨٩ وما بعدها؛ راجع أيضا:

وبعبارة أخرى ، لما كان الأطراف المتنازعون دولاً ذات سيادة ، فإنه لا ينبغي فرض التسوية بتطبيق قواعد إلزامية جامدة ، بل الأفضل أن يتحقق هذا من خلال المفاوضات والمصالحات.

ومع ذلك ، أصرت الولايات المتحدة الأمريكية على أن أفضل السبل لتسوية منازعات التجارة الدولية لا يكون إلا باتباع الطرق القضائية والقانونية *Adjudicatory and Legalistic approach* من خلال تطبيق قواعد ملزمة للأطراف المتنازعين لخلافاتهم الناشئة عن تطبيق اتفاقيات الجات^(٣) . وانتصرت الولايات المتحدة لرأيها على أساس أن الحلول القضائية عادة ما تكون واضحة بالنظر إلى تطبيق قواعد ملزمة ومعروفة سلفاً ، وبحيث لا تختلف الحلول كثيراً من حالة إلى أخرى في المنازعات المتشابهة ، وبما يؤدي إلى تواتر أحكام وحلول قضائية بما

Judith H. Bello & Alan F. Holmer, U.S. Trade Law and Policy= Series No. 24: Dispute Resolution in the New World Trade Organization: Concerns and Net Benefits, Volume 28 No. 4 The International Lawyer (Winter 1994).

وأُنظر على وجه الخصوص في الالتماسات السياسية لمنازعات التجارة الدولية:

Vilaysoun Loungnarath & Céline Stehly, The General Dispute Settlement Mechanism in the North American Free Trade Agreement and the World Trade Organization System, Volume 34 No. 1 Journal of World Trade pp. 39 – 71 (February 2000);

وراجع أيضاً :

Georges A. Cavallier, A Call for Interim Relief at the WTO Level: Dispute Settlement and International Trade Diplomacy, Volume 22 No. 3 World Competition Law and Economics Review, pp. 103 – 139 (September 1999).

(٣) راجع بصفة خاصة :

Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round...

المقالة المشار إليها ص ٣٩٠ وما بعدها .

Georges A. Cavallier, A Call for Interim Relief at the WTO Level.....

المقالة السابقة وبصفة خاصة ص ١٠٤ وما بعدها . وراجع أيضاً :

Judith H. Bello & Alan F. Holmer, U.S. Trade Law and Policy Series No. 24: Dispute Resolution in the New World Trade Organization: Concerns and Net Benefits, Volume 28 No. 4 The International Lawyer, pp. 1095 – 1103 (Winter 1994).

يساهم في إرساء قواعد راسخة للجات وتوحيد المعايير التي يتم اتباعها في تسوية المنازعات بين الدول ، وكذلك التوصل إلى حلول عادلة تقضي على أي خلاف في التطبيق يمكن أن ينشأ بسبب التفاوت الاقتصادي بين الدول المتقدمة والدول النامية^(٤)، كما أن اتباع الأسلوب القضائي في تسوية المنازعات من شأنه ، ولا شك ، أن يعزز مبدأ المعاملة بالمثل والتجارة الحرة ، وبما قد يجنب دول العالم الدخول في حروب تجارية^(٥).

ولقد كانت النتيجة النهائية لمفاوضات جولة أوروغواي حاسمة في إسباغ الصبغتين القضائية والقانونية على آليات تسوية المنازعات ، وبما يمثل انتصاراً للولايات المتحدة الأمريكية^(٦)، ولقد

(٤) راجع :

Thomas L. Brewer and Stephen Young, WTO Disputes and Developing Countries, Volume 33 No. 5 Journal of World Trade, pp. 169 – 182 (1999).

وبصفة خاصة في ص ١٧٨ وما بعدها ، ويقرر مؤلف المقالة المذكورة أنه في الفترة من الأول من يناير عام ١٩٩٤ حتى اليوم الأخير من ديسمبر عام ١٩٩٨ (أي خلال الأربع سنوات الأولى لقيام منظمة التجارة العالمية بأعمالها) فقد تم تقديم مائة وخمسة وخمسين طلب للنشاور أمام منظمة التجارة العالمية منها طلبات للدول النامية تمثل ٦٠% من عدد هذه الطلبات ، راجع ص ١٦٩ من ذات المقالة المذكورة ، وكذلك جداول لبيان نوعية هذه المنازعات في ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ من ذات المقالة .

(٥) راجع في معنى قريب

Judith H. Bello & Alan F. Holmer, U.S. Trade Law and Policy Series No. 24: Dispute Resolution in the New World Trade Organization.....

المقالة المشار إليها سابقاً ، ص ١١٠٢ ، ١١٠٣ .

(٦) المقالة السابقة ، ص ١٠٩٩ ، راجع كذلك :

Rufus H. Yerxa & Demetrios J. Marantis, Assessing the New WTO Dispute System: A U.S. Perspective, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 795 – 809 (Fall 1998).

وراجع أيضاً :

Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round...

المقالة المشار إليها ، ص ٣٩١ .

تجلى ذلك في خطوات عديدة فكانت الخطوة الأولى هي تبني نظام تطوير نظام المنازعات عام ١٩٨٩ بإلزام الطرف الخاسر أو المسئول بالرد على طلب التشاور في خلال مواعيد قصيرة محددة ، وأن يكون للدولة المضرورة إلغاء طلب التشاور وأن تطلب بدلاً من ذلك تكوين فريق التحكيم The Panel في خلال مواعيد قصيرة ؛ كما أدخلت - كخطوة تالية - تعديلات على كيفية تكوين فريق التحكيم من خبراء مستقلين بدلاً من خبراء تابعيين لحكوماتهم بحيث تكون قراراتهم بعيدة عن الانحياز^(٧) . كما أدخلت قواعد هامة على طريقة مداوات اللجنة إذ تم تحديد الوقت الذي يتعين أن يستغرقه فريق التحكيم لاستكمال الإجراءات وبحيث لا يجب أن يتجاوز فريق التحكيم للبت بقرار في المنازعة مدة تسعة أشهر من وقت تقديم النزاع إليها . كما تقرر للأطراف المتنازعة الحق في طلب إجراء التحكيم الملزم ، وبما يعتبر إضافة نحو الاتجاه القضائي لتسوية منازعات التجارة الدولية . ورغم ذلك كله ، فإن نظام ١٩٨٩ كانت تشوبه نقائص عديدة منها : عدم وجود آلية واضحة لتنفيذ وإعمال القرارات الصادرة عن فريق التحكيم ، إمكانية إهدار الطرف الخاسر لقيمة القرار الصادر بعدم تنفيذه ، وعدم وجود آلية معينة لمراقبة تنفيذ قرارات فريق التحكيم^(٨) .

(٧) راجع :

Judith H. Bello and Alan F. Holmer, U.S. Trade Law and Policy Series No. 24: Dispute Resolution in the New World Trade Organization: Concerns and Benefits, Volume 28 No. 4 The International Lawyer pp. 1095 – 1104 (1994).

وبصفة خاصة في ص ١٠٩٨ .

(٨) المقالة السابقة ، ص ١٠٩٨ وما بعدها . وراجع بصفة خاصة :

Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round: Lawyer Triumph over Diplomats, Volume 29 No. The International Lawyer pp. 389 – 409 (1995).

وخاصة في ص ٣٩٦ وما بعدها .

ونحو مزيد من الوضوح في الاتجاه نحو قانونية وسائل تسوية المنازعات ، فقد اقترح المدير العام للجات في ديسمبر عام ١٩٩٤ مذكرة تفاهم حول تسوية منازعات التجارة في إطار اتفاقية الجات والذي تم توقيعه في مراكش في شهر إبريل عام ١٩٩١ والمعروف باسم :

"Understanding on Rules and Procedures Governing the Settlement of Disputes".

أي التفاهم حول قواعد وإجراءات تسوية المنازعات (مذكرة التفاهم) والذي تم إقراره في جولة أوروغواي عام ١٩٩٤^(٩)، ووفقاً لمذكرة التفاهم ، فقد تم إنشاء جهاز تسوية المنازعات Dispute Settlement Body (DSB) (الجهاز) وذلك بغرض إدارة القواعد والإجراءات للتفاهم وأيضاً لتقديم مساعي خدمات التوفيق والمصالحة والمساعي الحميدة^(١٠)، كما تنص المادة الثانية عشرة من مذكرة التفاهم

(٩) راجع :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 817- 849 (Fall 1998).

وبصفة خاصة في ص ٨١٨.

راجع كذلك:

John H. Jackson, Julius L. Katz, Hugo Pamen and Alan Wm. Wolf, Summary of Presentations, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 943-949 (Fall 1998).

وبصفة خاصة في ص ٩٤٥ ؛ كذلك:

Charles E. Roh, Jr., John Kingery, Greg Mastel and James D. Southwick, Presentation Summary and Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp 883-900 (Fall 1998).

وبصفة خاصة في ص ٩٩٥.

(١٠) راجع:

Trading into The Future, WTO: The World Trade Organization, (2nd edition, February, 1998).

وبصفة خاصة في ص ٣٩ ؛ وكذلك :

William J. Davey, The WTO Dispute Settlement System,

المقالة المشار إليها سابقاً ، وخاصة في ص ١٧ ؛ أيضا :

Mauricio Salas and John Jackson, Procedural Overview of =

على سلطة الجهاز في إنشاء فرق تحكيم Panels للنظر في المنازعات ،
وتبني قراراتها وكذلك القرارات التي تصدر في الاستئناف ، ومراقبة
تنفيذ القرارات والتوصيات والترخيص بإيقاف الامتيازات الممنوحة للدول
الخاسرة ، وغيرها من الالتزامات الأخرى التي تنص عليها اتفاقيات
الجات^(١١).

وعلى الرغم من أن مذكرة التفاهم قطعت شوطاً كبيراً نحو
إضفاء الطابع القانوني على وسائل وكيفية تسوية المنازعات على نحو ما
سوف يتضح لاحقاً من خلال هذا البحث ، إلا أن هذه المذكرة قد احتفظت
في نفس الوقت في جوانب ملموسة بالحلول الدبلوماسية^(١٢). ذلك أن
الاتفاقية قررت أسلوب التشاور Consultation لتسوية ما قد ينشأ من
منازعات بين الأطراف ، وبهدف التوصل إلى حلول

The WTO-EC-Banana Dispute, Volume 3 No. 1 Journal of= International Economic Law, pp 145-165 (2000).

ورصفة خاصة في ص ١٥١ ، و ١٥٧.

(١١) راجع :

Trading into The Future, WTO: The World Trade Organization...

المراجع المشار إليه سابقاً ، ص ٣٩ ، راجع كذلك:

الدكتور سمير محمد عبدالعزيز ، التجارة العالمية وجات ٩٤ (الناشر مركز الإسكندرية للكتاب

١٩٩٦) ص ٥٢٢ ، وأنظر بصفة عامة:

John H. Jackson, Symposium on The First Three Years of the WTO Dispute Settlement System, Introduction and Overview, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp 613-617 (Fall 1998).

ورصفة خاصة في ص ٦١٥ ؛ أنظر كذلك:

Timothy M. Reif and John R. Magnus, Symposium on the First Three Years of the WTO Dispute Settlement System, Co-Chair's Introduction, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 609-617 (Fall 1998).

ورصفة خاصة في ص ٦١٠

(١٢) راجع مقالة :

George A. Cavallier, A Call for Interim Relief at the WTO Level, Dispute Settlement and International Trade Diplomacy.....

المقالة المشار إليها سابقاً ص ١٠٤ وما بعدها .

مرضية Satisfactory Solutions^(١٣)، كما اعتمدت الاتفاقية أساليب
المساعي الحميدة Good Offices والتوفيق Conciliation والوساطة
Mediation^(١٤)، وهذه الأساليب تبذلها الأطراف المتنازعة باختيارها
وبالاتفاق فيما بينها ولا تلتزم هذه الأطراف بقبول تلك الأساليب حتى
حين عرضها من جانب المدير العام لمنظمة التجارة العالمية^(١٥).

ويبين مما تقدم أن أسلوب تسوية المنازعات في ظل اتفاقيات
الجات وإن كان تغلب عليه العمة القضائية، إلا أن هناك مكاناً للوسائل
الدبلوماسية وأبرزها التشاور، وبما يعطي مرونة كبيرة للدول المتنازعة
في النهج الذي تتبعه ولا يخل بالإلزامية للقرارات المتخذة في حالة التشاور
واللجوء إلى الآلية القضائية للتسوية.

ثانياً - السمات الجوهرية لآلية تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية:

١- اتساع نطاق آلية تسوية المنازعات

تقضي مذكرة التفاهم أن قواعد وإجراءات تسوية المنازعات
يمكن إعمالها بين الأعضاء بالنسبة لحقوق والالتزامات الأطراف بموجب

(١٣) راجع مقالة:

Gary N. Horlick, The Consultation Phase of WTO Dispute
Resolution: A Private Practitioner's View, Volume 32 No. 3 The
International Lawyer, pp. 685-693 (Fall 1998).

(١٤) المادة الخامسة من مذكرة التفاهم، وراجع:

الدكتور سمير محمد عبدالعزيز، التجارة العالمية وجات ٩٤، المشار إليه سابقاً، ص ٥٢٧ وما
بعدها.

(١٥) راجع مقالة: الدكتور محمد حسام لطفي "تفدي الحماية القانونية وتسوية المنازعات طبقاً
لاتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق للملكية الفكرية (تريس)" من منشورات المنظمة
العالمية للملكية الفكرية WIPO-GII/TP/DUB/98/21 (١٩٩٧)، وبصفة خاصة في ص ٨
من المقالة المذكورة.

أحكام اتفاق منظمة التجارة العالمية ، وكذلك بموجب الاتفاقيات الأخرى الملحقه به بما فيها الملكية الفكرية وتجارة الخدمات وتجارة البضائع واتفاقيات التجارة متعددة الأطراف وغيرها^(١٦)، وعليه ، تعتبر مذكرة التفاهم خطوة هامة نحو عولمة وتوحيد أسلوب تسوية المنازعات بالنسبة لجميع اتفاقيات وموضوعات الجات^(١٧) .

المادة ١/١ من مذكرة التفاهم . كما تنص المادة ٢/١ من هذه المذكرة على أن "تطبق أحكام وإجراءات هذا التفاهم وهنا بآية قواعد وإجراءات خاصة أو إضافية بشأن تسوية المنازعات ترد في الاتفاقات المشمولة المحددة في الملحق ٢ لهذا التفاهم . وفي حال وجود اختلاف بين قواعد وإجراءات هذا التفاهم والقواعد الخاصة أو الإضافية المدرجة في الملحق ٢ ، تكون الأولوية للقواعد والإجراءات الخاصة والإضافية . وفي حالة المنازعات التي تتطلب قواعد وإجراءات بموجب أكثر من اتفاق مشمول ، وإذا تضاربت القواعد والإجراءات الخاصة أو للاتفاقات محل النظر ، وإذا أخفق طرفا النزاع في الاتفاق على قواعد وإجراءات خلال عشرين يوماً من تشكيل فريق تحكيم على رئيس جهاز تسوية المنازعات المنصوص عليه في الفقرة ١ من المادة ٢ (والمشلو إليه في هذا الاتفاق باسم الجهاز) أن يحدد ، بالتشاور مع طرفي النزاع ، القواعد والإجراءات الخاصة التي ينبغي اتباعها وذلك بعد عشرة أيام من تلقي طلباً من أحد الطرفين وينبغي أن يسترشد الرئيس بالبلد الذي يقضي بأن تستخدم القواعد والإجراءات الخاصة أو الإضافية حيثما أمكن وأن القواعد والإجراءات المنصوص عليها في هذا التفاهم تستخدم الحد الضروري لتجنب النزاع" . وبذلك فإن قواعد وإجراءات تسوية المنازعات وفقاً لاتفاقيات التفاهم ترد على سبيل المثال على منازعات الملكية الفكرية ، منازعات الخدمات ، منازعات الاستثمار ، منازعات البيئة
... وراجع:

Paul Edward Geller, Intellectual Property in the Global Marketplace: Impact of "TRIPS Dispute Settlement? Volume 29 No. 1 The International Lawyer, pp. 99-115 (Spring 1995).
Vanessa P. Sciarra, The World Trade Organization: Services, Investment, and Dispute Resolution, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp 923-931 (Fall 1998).
Steve Charnovitz, Environment and Health under WTO Dispute Settlement, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 901-921 (Fall 1998).
Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round...

المقالة المشار إليها سابقاً ، ص ٣٩٥ وما بعدها .

(١٧) في معنى قريب:

Paul Edward Geller, Intellectual Property in the Global Marketplace....

المقالة المشار إليه ، ص ١٠٣ وما بعدها .

٢- استثنائية آلية تسوية المنازعات:

تنص المادة ٢٣ من مذكرة التفاهم صراحة على التزام الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية بالالتزام والتقيّد بقواعد مذكرة التفاهم كأساس لتسوية المنازعات عندما تسعى الدول الأعضاء إلى تصحيح أي انتهاك للالتزامات بموجب الاتفاقية أو إلغاء أو تعطيل أي من الميزات المقررة بموجبها لإحدى الدول الأعضاء أو في سبيل بلوغ أي من الأهداف الأخرى للاتفاقيات الملحقة باتفاق منظمة التجارة العالمية^(١٨)، وبعبارة أخرى، فإنه لا يجوز البت في حصول أي انتهاك لاتفاقيات الجات أو إلغاء أو تعطيل أي ميزات مقررة بموجبها أو عرقلة أي من أهدافها إلا من خلال اللجوء إلى تسوية النزاع طبقاً لقواعد وإجراءات مذكرة التفاهم^(١٩)، وينبغي على ذلك، إن حرية الأطراف في تسوية المنازعات أو الاتفاق الثنائي - غير المرخص به - غير مسموح به كأصل عام في اتفاقيات الجات، ومع هذا؛ فإن مذكرة التفاهم لا تحظر بشكل تام اختيار وسائل بديلة ولا تحد بصفة كاملة من حرية الأطراف في تسوية المنازعات بطريقة غير قرار فرق التحكيم Panel decision، إذ يجوز للأطراف حل منازعتهم من خلال اتفاق متبادل مرخص به، كما يجوز للأطراف عمل المشاورات وبذل المساعي الحميدة والتوفيق والمصالحة، كما يجوز للأطراف المتنازعين اللجوء إلى التحكيم بشأن بعض المنازعات التي يتم تحديدها بوضوح

(١٨) المادة ١/٢٣ من مذكرة التفاهم.

(١٩) المادة ٢/٢٣ من مذكرة التفاهم. وراجع بصفة عامة:

Paul Rosenthal, Scope for National Regulations – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 679-683 (Fall 1998). Robert E. Hudec, GAAT / WTO Constraints on National Regulation: Requiem for an "Aim and Effects" Test, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 619 – 649 (Fall 1998).

كوسيلة بديلة عن التقديم إلى فرق التحكيم وبشرط إخطار جميع الأعضاء في منظمة التجارة العالمية بأي اتفاق للأطراف المتنازعين على اللجوء إلى التحكيم وذلك قبل فترة كافية من البدء الفعلي في التحكيم ، كما لا يجوز لأية دولة أخرى عضو في منظمة التجارة العالمية أن تشترك في ذات التحكيم إلا بعد موافقة الأطراف الذين وافقوا على اللجوء إلى التحكيم^(٢٠) ، وترسل قرارات التحكيم إلى جهاز تسوية المنازعة وإلى الجهات الأخرى المعنية لكي يتمكن أي عضو أن يثير المسألة أو المسائل التي يراها ذات صلة بقرارات التحكيم^(٢١) . والحقيقة أنه لو لم يتم النص صراحة في مذكرة التفاهم على حق الأطراف المتنازعين اللجوء إلى التحكيم لامتنع ذلك عليهم ذلك ، لما لنظام الجات من خصيصية استثنائية في عملية تسوية المنازعات .

وترتكز فكرة الاستثنائية التي يتصف بها نظام تسوية المنازعات في اتفاقية الجات على اعتبارين جوهريين: الاعتبار الأول مبني على أساس الحد من الهدر في الإجراءات فيما لو كان هناك أكثر من وسيلة أخرى لتسوية المنازعات إلى جانب آلية التسوية التي أتاحتها مذكرة التفاهم ، والاعتبار الثاني مبناه توحيد آلية تسوية المنازعات بين جميع الدول الأعضاء لمنع أي شقاق أو اختلاف من حيث الجوهر لا سيما في

(٢٠) المادة ٢/٢٥ من مذكرة التفاهم ، والمادة ٢/٢٣ من ذات المذكرة .

(٢١) المادة ٣/٢٥ من مذكرة التفاهم . وراجع :

Andrew W. Shoyer and Heather G. Forton, Performance of The System II: Panel Adjudication – Comments, Volume 32 No. 3. The International Lawyer, pp. 737-745 (Fall 1998).

برصفة خاصة في ص ٧٣٨ وما بعدها .

ومع ذلك أنظر

Rutseil Silvestre J. Martha, World Trade Disputes and the Exhaustion of Local Remedies Rule, Volume 30 No. 4 Journal of World Trade, pp. 107-130 (1996).

برصفة خاصة ص ١٢٨ وما بعدها .

حالات الاختلاف والتباين بين هذه الدول من حيث القوة الاقتصادية^(٢٢)، والخلاصة ، أنه على الرغم من جواز اللجوء في أحوال استثنائية إلى تسوية المنازعات بوسائل بديلة بعيداً عن فرق التحكيم ، على أن هذه الوسائل البديلة محدودة من حيث الشكل والمضمون ، وبما يرتبه ذلك من اعتبار الآلية التي قررتها مذكورة التفاهم هي الأصل في أية تسوية للمنازعات بين الدول الأعضاء^(٢٣).

(٢٢) راجع:

Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round..

المقالة المشار إليها ، ص ٤٠٩.

ومثال ذلك أن الدول النامية ، ولأول مرة ، ونظراً للطبيعة القضائية لتسوية المنازعات في ظل منظمة التجارة العالمية ، أصبحت تستخدم وطريقة منتظمة ومطردة آلية تسوية المنازعات في ظل هذه المنظمة ، حيث اشتركت وحتى عام ١٩٩٨ ثلاثة وعشرون دولة لامية في تلك التسويات، راجع:

C. Christopher Parlin, WTO Dispute Settlement, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 863-870 (1998).

وبصفة خاصة في ص ٨٦٧.

(٢٣) وفي ذلك تنص المادة ٢/٣ من مذكرة التفاهم على أنه "يجب على كل عضو قبل رفع قضية ما أن ينظر بحكمة في جدوى المقاضاة وفق هذه الإجراءات ، وهدف آلية تسوية المنازعات هو ضمان التوصل إلى حل إيجابي للراع ، والأفضل ، طبعاً، هو التوصل إلى حل مقبول لطري الواع ومتوافق مع الاتفاقات المشمولة ، وعند عدم التوصل إلى حل منطبق عليه يكون هدف آلية تسوية المنازعات عادة هو ضمان سحب الإجراءات المعنية إذا ما وجد أنها تتعارض مع أحكام أي من الاتفاقات المشمولة ، ولا يميز اللجوء إلى تقديم التعويض إلا إذا تعلق سحب التعويض فوراً على أن يكون التعويض إجراء مؤقتاً في النظار سحب الإجراءات الذي يتعارض مع اتفاق مشمول ، والسبيل الآخر الذي يوفره هذا التفاهم للعضو المطالب بتطبيق إجراءات تسوية المنازعات هو إمكانية تعليق تطبيق النزاعات أو غيرها من الالتزامات بموجب الاتفاقات المشمولة على أساس تمييزي تجاه العضو الآخر ، رهناً بترخيص الجهاز باتخاذ هذه الإجراءات" ، كما تقضي المادة ٩/٣ من مذكرة التفاهم بأنه "لا تخل أحكام هذا التفاهم بحقوق الأعضاء في التماس تفسير رسمي لأحكام اتفاق مشمول ما من خلال قرار بموجب اتفاق منظمة التجارة العالمية أو اتفاق مشمول هو في ذاته اتفاق تجاري جماعي عديد الأطراف" .

راجع بصفة خاصة:

Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round...

المقالة المشار إليها ، ص ٤٠٠ وما بعدها .

٣. فعالية آلية تسوية المنازعات:

حرص الأعضاء في منظمة التجارة العالمية WTO على التأكيد على فعالية آلية تسوية المنازعات من خلال النص على قواعد معينة تحول دون تعقيد الإجراءات أو الحيلولة دون تكوين فرق التحكيم التي تتولى الفصل في النزاع^(٢٤). فمن ناحية أولى ، تنص مذكرة التفاهم صراحة على ضرورة تكوين فرق التحكيم بمجرد أن يطلب الطرف الشاكي ذلك ، إذ تنص المادة السادسة من مذكرة التفاهم على أن:

"١- يشكل الفريق إذا طلب الطرف الشاكي ذلك ، في موعد لا يتجاوز اجتماع الجهاز الذي يلي الاجتماع الذي يظهر فيه الطلب لأول مرة كبد من بنود جدول أعمال الجهاز ، إلا إذا قرر الجهاز في ذلك الاجتماع بتوافق الآراء عدم تشكيل فريق" ، وعليه ، يتعين أن يتم تكوين فريق التحكيم بمجرد طلب العضو الشاكي ، ودون أن يتوقف ذلك على أي أمر آخر . صحيح أن هذا النص يشير إلى أن من سلطات جهاز تسوية المنازعات (Dispute Settlement Body (DSB التابع لمنظمة التجارة العالمية أن يقرر في الاجتماع عدم تشكيل اللجنة بتوافق الآراء على هذا ، إلا أن هذا الأمر محض فرض نظري بحت إذ يتعين لحصول هذا التوافق على رفض الطلب وجود إجماع سلبي من جميع الدول الأعضاء بما فيهم الدولة العضو الشاكية ، وبما يفترض أن هذه الدولة لن تنضم إلى كافة

(٢٤) راجع بصفة خاصة

Alan Wm. Wolff, Reflections on WTO Dispute Settlement, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp 951-958 (1998).

وبصفة خاصة في ص ٩٥٧. أيضا :

c. Christopher Parlin, WTO Dispute Settlement: Are Sufficient Resources Being Devoted to Enable the System to Function Effectively? Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 863-870 (Fall 1998).

الدول الأخرى في رفض الطلب الذي قدمته هي وبما يمنع في واقع الحال حصول أي رفض للطلب ، اللهم إلا إذا تراجعت الدولة الشاكية نفسها عن شكواها^(٢٥) ،

لذلك ، لا يعوق تكوين اللجنة أي عائق آخر ، الأمر الذي يجعل تكوين فريق التحكيم تلقائياً ، وبما يؤكد الطابع القضائي لتسوية منازعات التجارة الدولية في ظل اتفاقيات الجات .

ومن ناحية ثانية ، فإن مذكرة التفاهم تحث على إنشاء فرق التحكيم على نحو عاجل . ولكي يتم ذلك ، فإن أمانة المنظمة تحتفظ بقائمة إرشادية للأشخاص الذين تتوفر لهم المؤهلات اللازمة للاشتراك في فرق التحكيم سواء كانوا من الأشخاص التابعين لحكومات معينة أو الأشخاص غير الحكوميين ، ويجري اختيار فرق التحكيم من هذه القائمة حسب الاقتضاء^(٢٦) .

كما حددت مذكرة التفاهم المدة التي يتعين خلالها تشكيل فرق التحكيم ، إذ يتكون فريق التحكيم من ثلاثة أشخاص ما لم يتفق طرفا

(٢٥) في معنى قريب:

Trading into the Future: WTO, The World Trade Organization...

المرجع المشار إليه ، ص ٣٩ .

وراجع أيضاً ،

John Jackson, Symposium on the First Three Years of The WTO Dispute Settlement System, Introduction and Overview, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 613-617 (Fall 1998).

وبصفة خاصة ص ٦١٥ .

(٢٦) المادة ١/٨ من مذكرة التفاهم ، وكذلك المادة ٤/٨ من المذكرة المذكورة . وفي مشكلة

اختيار المحكمين ، راجع:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions

المقالة المشار إليها سابقاً ، ص ٨٢٠ .

النزاع خلال عشرة أيام من إنشاء فريق التحكيم ، على تكوينه من خمسة أشخاص ، ويجب إعلام الأعضاء في المنظمة بتكوين الفريق دون إبطاء^(٢٧) ، وإذا لم يمكن التوصل إلى اتفاق على أعضاء الفريق خلال عشرين يوما من تاريخ إنشائه يقوم المدير العام ، بناء على طلب أي من الطرفين ، وبالتشاور مع رئيس الجهاز ورئيس المجلس أو اللجنة المعنية بتشكيل الفريق بتعيين من يعتبرهم الأنسب وفق القواعد والإجراءات الخاصة أو الإضافية ذات الصلة للاتفاق المشمول أو الاتفاقات المشمولة المطروحة في النزاع ، وذلك بعد التشاور مع طرفي النزاع ، ويخطر رئيس الجهاز الأعضاء بتكوين فريق التحكيم بهذه الطريقة في موعد لا يتجاوز عشرة أيام بعد تسلم الرئيس للطلب^(٢٨) .

٤. تلقائية تبني قرارات فريق التحكيم :

تنص المادة ٤/١٦ على أن يعتمد جهاز تسوية المنازعات تقرير فريق التحكيم في اجتماع يعقده في خلال ستين يوما بعد تعميم التقرير على الأعضاء ، ويكون تبني هذا التقرير تلقائيا ، إلا إذا قام أحد أطراف النزاع بإخطار الجهاز رسميا بقراره تقديم استئناف ، أو إذا قرر الجهاز نفسه بالإجماع السلبى (بما في ذلك الدولة العضو التي صدر القرار لصالحها) عدم تبني القرار^(٢٩) . وهذا حكم هام لم تقرره الاتفاقيات الدولية

(٢٧) المادة ٨/٨ من مذكرة التفاهم . وراجع في بعض المسائل الأخرى المتعلقة بفريق التحكيم كمسألة عدم تقديم طلب تعيين المحكمين في جلستين متعاقبتين للجهاز ، راجع في هذه المسألة وغوها :

Terence P. Stewart and Mara M. Burr, The WTO Panel Process: An Evaluation of the First Three Years, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 709-735 (1998).

وبصفة خاصة في ص ٧١٦ ، و ص ٧٢٢ .

(٢٨) المادة ٨/٨ من مذكرة التفاهم .

(٢٩) المادة ٤/١٦ من مذكرة التفاهم .

السابقة على جولة أورجواي ، والذي من شأنه تأمين تنفيذ القرار لصالح الطرف الرابع دون عرقلة أو إبطاء^(٣٠).

٥٠ إنشاء هيئة استئنافية:

أوجبت المادة ١٧ من مذكرة التفاهم أن يقوم جهاز تسوية المنازعات بإنشاء هيئة دائمة للنظر في القضايا المستأنفة التي سبق أن بت فيها فريق التحكيم بقرار ، ولا ريب أن هذا الأمر من شأنه تعميق المفهوم نحو الاتجاه إلى تغليب السمة القانونية والقضائية على السمة الدبلوماسية لآلية تسوية المنازعات^(٣١) ، وتتكون هيئة الاستئناف من سبعة أشخاص يعملون بالتناوب ، بحيث يخصص ثلاثة منهم لكل قضية مسن القضايا^(٣٢) ، ويقتصر الاستئناف على المسائل القانونية الواردة في تقرير الفريق وعلى التفسيرات القانونية التي توصل إليها^(٣٣) ، وكما سنرى

(٣٠) وفي معنى قريب ، راجع:

John Jackson, Symposium on the First Three Years of The WTO Dispute Settlement System; Introduction and Overview, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 613-617 (1998).

وصلة خاصة في ص ٦١٥ .

Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round...

المقالة المشار إليها ، خاصة في ص ٤٠٢ وما بعدها ، راجع أيضا:

Judith H. Bello & Alan F. Holmer, U.S. Trade Law and Policy Series No. 21: GATT Dispute Settlement Agreement: Internationalization or Elimination of Section 301? Volume 26 The International Lawyer p. 795 (1992).

(٣١) في معنى قريب ، راجع :

John H. Jackson, Julius L. Katz, Hugo Paemen and Alan Wm. Wolf, Roundtable and Looking to The Future: Summary of Presentations, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 943-949 (1998).

وصلة خاصة في ص ٩٤٧ .

(٣٢) المادة ١٧/١ من مذكرة التفاهم ،

(٣٣) وتتم المادة ١٧/٦ من مذكرة التفاهم على أن:

Appellate proceedings are "limited to issues of law covered in the panel report and legal interpretations developed by the panel".

لاحقاً ، فإن مذكرة التفاهم حددت فترة قصيرة لإتمام إجراءات الاستئناف وبحيث لا تتجاوز - كقاعدة عامة - ستين يوماً من تاريخ تقديم أحد طرفي النزاع إخطاره بقرار الاستئناف إلى التاريخ الذي تنعم فيه هيئة الاستئناف بتقريرها^(٣٤).

٦. التسرعة في اتخاذ القرارات:

لم تتضمن الاتفاقيات الدولية السابقة على جولة أوروغواي قواعد محددة للجدول الزمني Time Table الذي يتعين اتباعه لتسوية المنازعات، وبما كان يؤدي إليه ذلك من إطالة أمد الفصل فيها إلى أبعد الحدود^(٣٥). أما في ظل القواعد التي قررتها منظمة التجارة العالمية ، فإنه لا ينبغي أن تزيد الفترة التي يتم فيها إصدار قرار التسوية عن سنة واحدة ، وعلى ألا تزيد هذه الفترة عن خمسة عشر شهراً في حالة استئناف هذا القرار من جانب إحدى الدول المتنازعة^(٣٦). وهذه المدة هي

= راجع في تفسير وشرح هذا النص:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency.....

المقالة المشار إليها ، وبصفة خاصة في ص ٨٢٨ وما بعدها .

(٣٤) المادة ٥/١٧ من مذكرة التفاهم ،

(٣٥) في نفس المعنى ، راجع :

Trading into The Future, WTO- The World Trade Organization..

الرجوع المشار إليه سابقاً ، ص ٣٨ .

(٣٦) المربع السابق ، ص ٣٨ وما بعدها . ومغال التسرعة التي تتسم بها آلية تسوية المنازعات أن المادة ٥/١٧ من مذكرة التفاهم قررت أنه ينبغي إقامة الاستئناف في خلال ستين يوماً على الأكثر من تاريخ تقديم أحد أطراف النزاع إخطاراً بقراره الاستئناف إلى التاريخ الذي تنعم فيه هيئة الاستئناف بتقريرها . وإذا قررت هيئة الاستئناف عدم التمكن من وضع تقريرها خلال ستين يوماً ، فعليها أن تخطر جهاز تسوية المنازعات كتابة بالأسباب الداعية إلى التأخير مع تقديم الفترة المطلوبة لتقديم التقرير ، ولا يجوز في أي الأحوال أن تزيد مدة الإجراءات عن تسعين يوماً . راجع :

Richard L. Bernal, Debra P. Steger and Andrew L. Stoler, Key Procedural Issues: Resources - Comments, Volume 32 No. 3=

الحد الأعلى ، وبحيث يمكن أن تكون هذه المدة أقصر بكثير ، وحسب طبيعة المنازعة^(٣٧) .

٧. الشفافية Transparency :

تتميز آليات تسوية المنازعات تحت مظلة منظمة التجارة العالمية عن نظام الجات لعام ١٩٤٧ بما يعرف بالشفافية ، وتعزز الشفافية عدالة ووضوح الإجراءات للأطراف المتنازعين^(٣٨) .

وتتجلى هذه الشفافية - في ظل نظام منظمة التجارة العالمية - منذ بداية النزاع وفي جميع مراحله وحتى الفصل فيه وتنفيذ قرار التسوية^(٣٩) .

فمن ناحية أولى ، يكون للأطراف المتنازعين الحق في الإطلاع على الوثائق والأوراق خلال جميع مراحل التسوية^(٤٠) ، فيجب أن تكون

The International Lawyer, pp. 871-881 (Fall 1998).

=
رصفة خاصة في ص ٨٧٦ .

(٣٧) راجع :

Trading into The Future, WTO

الرجوع المشار إليه سابقا ، ص ٣٨ وما بعدها .

(٣٨) أنظر :

Alan Wm. Wolf, Reflections on WTO Dispute Settlement, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp 951-958 (1998).

رصفة خاصة ، ص ٩٥٤ وما بعدها .

(٣٩) راجع رصفة خاصة:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 817-849 (Fall 1998).

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency

المقالة المشار إليها سابقا ، ص ٨١٨ وما بعدها .

Warren H. Maruyama, A New Pillar of The WTO: Sound Science, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 651- 677 (1998). =

طلبات التشاور مكتوبة ويجب إشعارها إلى الجهاز D S B وذلك تطبيقاً للمادة ٤/٤ من مذكرة التفاهم ، وتكون طلبات التشاور متداولة وفي متناول جميع الأعضاء للعلم بها ، وذلك عن طريق قاعدة بيانات عبر الإنترنت والتي تتضمن ملخصاً للنزاع وما ينسب إلى أحد الأطراف من خرق للالتزامات طبقاً للاتفاقية ، وبما يسمح لجميع الأعضاء بالإطلاع على جوانب النزاع ، وهذا الأمر عكس ما كان سائداً في ظل اتفاقيات الجات لعام ١٩٤٧ حيث أنه في هذا النظام الأخير لم يكن لغير الدول الأطراف في النزاع الإطلاع على طلب التشاور ، إلا إذا رخص بذلك أطراف المنازعة^(٤١)، ولكن يلاحظ أنه على الرغم من تعميم طلب التشاور على الأعضاء في المنظمة ، إلا أن عملية التشاور ذاتها تتم في إطار من السرية ، بمعنى أن الوثائق المتبادلة بين طرفي النزاع أثناء إجراء التشاور لا تكون قابلة للتوزيع على باقي الأعضاء في المنظمة ، ومثال ذلك الوثائق التي تتضمن أسئلة يوجهها أحد الطرفين إلى الطرف الآخر وتلك التي تتضمن الإجابة عن هذه الأسئلة وأية مذكرات متبادلة بين طرفي النزاع^(٤٢)، وهذا ، لا شك ، أسلوب مناسب لأن التشاور يستهدف حصر النزاع - في مراحله الأولى - في إطار الأطراف المتنازعين أنفسهم قبل عرضه على فريق التحكيم، ذلك أن نشر وتعميم الوثائق المتبادلة بين طرفي النزاع - في المراحل الأولى للنزاع - قد

= رصقة خاصة لي ص ٦٦٦ .

(٤١) المقالة السابقة ، ص ٨١٨-٨١٩. راجع كذلك:

Terence P. Stewart and Mara M. Burr, The WTO Panel Process: An Evaluation of The First Three Years, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 709-735 (1998).

رصقة خاصة لي ص ٧٣٣.

(٤٢) Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions.....

المقالة المشار إليها ، ص ٨١٩ وما بعدها ،

يكون له أثر سلبي من حيث تقويض التشاور كأساس لتسوية النزاع ، إذ قد تضرم عملية النشر نيران النزاع أكثر من تهدئته .

ومن ناحية ثانية ، وفي إطار الشفافية ، فإنه يجب إخطار الجهاز والمجالس واللجان التابعة لمنظمة التجارة العالمية بأي حلول أو تسويات يصل إليها الأطراف المتنازعون من خلال المشاورات حتى يتمكن أي عضو من أن يثير ما لديه من ملاحظات أو اعتراضات خاصة بها في هذه المجالس أو اللجان (المادة ٦/٣ من مذكرة التفاهم) ؛ ويتعين في كل الأحوال أن تكون الحلول التي توصل إليها الأطراف المتنازعون متوافقة مع قواعد التشاور المنصوص عليها في الاتفاقية وملاحقها ، ولا يجوز أن تعطل أو تلغي الحلول التي يتوصل إليها الأطراف المتنازعون خلال المشاورات بأي شكل أي مصالح تقررهما الاتفاقية وملاحقها لأي عضو آخر ، وألا تعوق هذه الحلول أي من أهداف الاتفاقية (المادة ٥/٣ من مذكرة التفاهم) ^(٤٣) .

ومن ناحية ثالثة ، فإنه في حالة عدم نجاح التشاور بين الأطراف المتنازعين والبدء في تكوين فريق التحكيم، فإن مقتضيات الشفافية التي أرستها الاتفاقية توجب توزيع وتعميم طلب التسوية لإنشاء فريق التحكيم، كما يجب على رئيس الجهاز أن يخطر جميع الأعضاء في المنظمة بتكوين وإنشاء فريق التحكيم ^(٤٤) . ولكن لا يتم الإعلان للأطراف المتنازعين أو لأي من الأعضاء عن هويات أعضاء فريق التحكيم . وينتقد البعض هذا الحكم الأخير لإخلاله بالشفافية ^(٤٥) ، وهذا على أساس

(٤٣) المقالة السابقة ، ص ٨١٩ وما بعدها .

(٤٤) المقالة السابقة ، ص ٨٢٠ .

(٤٥) المقالة السابقة ، ص ٨٢١ .

أن المادة ٢/٨ من مذكرة التفاهم تستوجب اختيار محكمين مستقلين Independent Arbitrators، ولا تتحقق الشفافية - طبقاً لهذا النص - بالشكل الكامل إلا بالإعلان عن أسماء أعضاء فريق التحكيم عند إنشائه حتى يمكن للأطراف المتنازعين التحقق من هذه الاستقلالية^(٤٦).

ومن ناحية رابعة ، أحرزت اتفاقية منظمة التجارة العالمية تقدماً على اتفاقيات الجات لعام ١٩٤٧. ففي ظل هذه الاتفاقية الأخيرة ، لم يكن من المتاح أو المسموح به تعميم المذكرات التي يقدمها الأطراف المتنازعون على باقي الأعضاء؛ فهذه المذكرات تقدم إلى السكرتارية لكي تقوم بدورها لتحويلها إلى فريق التحكيم. أما مذكرة التفاهم DSU ، فهي ظل منظمة التجارة العالمية ، فقد تضمنت حكماً مغايراً ، إذ تنص المادة ٢/١٨ من مذكرة التفاهم بأنه لا يوجد في هذه المذكرة ما يمنع أحد أطراف النزاع من الإفصاح عن أي معلومات قدمها هو إلى الفريق بتعميم يوجه إلى باقي الأعضاء في المنظمة أو الإفصاح بذلك إلى الجمهور The Public^(٤٧). ومع هذا ، يجب على باقي الأعضاء أن تعامل على سبيل السرية المعلومات التي يقدمها عضو آخر إلى الفريق أو إلى جهاز الاستئناف في حالة ما إذا رأى هذا العضو أن تلك المعلومات يتعين أن تحاط بالسرية^(٤٨)، وعليه ، يكون من حق أي عضو (الدولة

(٤٦) المقالة السابقة ، ص ٨٢١.

(٤٧) المقالة السابقة ، ص ٨٢١ ؛ أيضاً :

Terence P. Stewart and Mara M. Burr, The WTO Panel Process: An Evaluation of the First Three Years

المقالة المشار إليها ، ص ٧٢٣.

Whitney Debevoise, Access to Documents..... (٤٨)

المقالة المشار إليها ، ص ٨٢١ ، وما بعدها ، وقارن :

Andrew W. Shoyer and Heather G. Forton, Performance of the System.....

المقالة المشار إليها ، ص ٧٤١.

الطرف في النزاع) الإعلان للجمهور عن تقديم النزاع إلى الفريق ، على أن هذا الإعلان يخضع لقيد عدم الإفصاح عن أي معلومات يرى أي عضو آخر أنها سرية.

كما تتطلب مذكرة التفاهم أن يقدم أي طرف في النزاع- بناء على طلب أي عضو آخر في المنظمة- ملخصاً مكتوباً للمعلومات التي أبداها في دفاعه والتي لا يمكن الكشف عنها للجمهور^(٤٩).

ومن ناحية خامسة ، تظهر الشفافية خلال مرحلة الاستئناف، فتتص المادة ١٦ / ٤ من مذكرة التفاهم على أن يقوم الجهاز باعتماد تقرير فريق التحكيم في أحد اجتماعاته خلال ستين يوماً بعد تعميم التقرير على الأعضاء ، ما لم يخطر أحد الأطراف المتنازعين الجهاز بتقديم استئناف أو يقرر الفريق بإجماع الآراء عدم اعتماد التقرير، وإذا أخطر أحد الأطراف الجهاز بإقامة الاستئناف ، كان على الجهاز ألا ينظر في اعتماد تقرير الفريق إلا بعد استكمال الاستئناف. وبناء على هذا ، فإن نشر وتعميم تقرير فريق التحكيم يساعد باقي الأعضاء في المنظمة على تقييم ومراجعة التقرير بينما الاستئناف ما يزال معروضاً^(٥٠).

ومن ناحية سادسة ، تتأكد الشفافية عند إعمال وتنفيذ قرار الفريق، وذلك من خلال مراقبة الجهاز لذلك DSB Surveillance ، إذ يجوز لأي عضو في المنظمة أن يثير مسألة تنفيذ القرار بعد اعتماده من فريق التحكيم ، إذ تستلزم مذكرة التفاهم DSU من الدولة العضو المعنية

(٤٩) Whitney Debevoise, Access to Documents

المقالة المشار إليها ، ص ٨٢٢ وما بعدها

(٥٠) المقالة السابقة ، ص ٨٢٧ - ٨٢٩ .

(الطرف في المنازعة) أن تقوم بتزويد الجهاز DSB بتقرير موقف مكتوب Written Status Report عن مدى التزامها بتنفيذ وإعمال القرار . ويتم توزيع التقرير المذكور على جميع الدول الأعضاء في المنظمة^(٥١) . ويرى البعض ضرورة توزيع هذا التقرير على الأعضاء قبل اجتماع الجهاز في سبيل تحقيق مزيد من الشفافية^(٥٢) .

(٥١) المقالة السابقة ، ص ٨٢٩ وما بعدها ، راجع أيضاً .

Peter Clark and Peter Morrison, Key Procedural Issues: Transperncy – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 851 – 861 (1998).

وبصفة خاصة في ص ٨٥٨

Whitney Debevoise, Access to Documents (٥٢)

المقالة المشار إليها ، ص ٨٣٠

المطلب الثاني

قواعد وإجراءات تسوية المنازعات

في منظمة التجارة العالمية

أولاً - القواعد العامة

١- إنشاء جهاز تسوية المنازعات

أنشأت مذكرة التفاهم جهازاً لتسوية المنازعات التي تثار بمناسبة تطبيق اتفاقيات التجارة متعددة الأطراف الملحق باتفاق منظمة التجارة العالمية، وهذا الجهاز يعرف بجهاز تسوية المنازعة (الجهاز) Dispute Settlement Body (DSB)، والجهاز هو السلطة الوحيدة في منظمة التجارة العالمية التي تتولى إنشاء فرق تحكيم تقوم بتسوية المنازعات^(٥٣)، كما يكون للجهاز سلطة البت في قبول أو رفض النتائج التي توصل إليها فريق التحكيم؛ ويتم اتخاذ القرار في المجلس بالإجماع السلبي ويتوافق جميع آراء الأعضاء، ويكون ذلك بعدم اعترض أي من الأعضاء على القرار المقترح اتخاذه^(٥٤)، وبعبارة أخرى، فإن تبني

(٥٣) المادة ١/٢ من مذكرة التفاهم، المذكور عند حسام لطفي، تنفيذ الحماية القانونية وتسوية المنازعات طبقاً لاتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية "تريس"، المشار إليه، ص ٣ وما بعدها، راجع كذلك في الفقه الأجنبي:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency

المقالة المشار إليها، ص ٨٢٠. ولي إنشاء فريق التحكيم وتكوينه، راجع: Andrew W. Shoyer and Heather G. Forton, Performance of the System II: Panel Adjudication – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp 737-745 (Fall 1998).

وبصفة خاصة في ص ٧٣٨ وما بعدها.

Timothy M. Reif and John Magnus, Symposium on the First= (٥٤)

القرار في ظل اتفاقية منظمة التجارة العالمية يكاد يكون تلقائياً ، إذ أن الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى عرقلة اعتماده يكون بحصول إجماع من جميع الدول الأعضاء في الجهاز على عدم الموافقة عليه ، أي بصدر رفض من جميع الدول الأعضاء بما فيهم الدولة العضو الشاكية . ومعنى ذلك ، أن لو دولة واحدة فقط لم تنضم إلى الإجماع على الرفض ، فإن القرار يتجنب اعتماده . كما يقوم المجلس باعتماد القرارات الصادرة عن الهيئة الاستئنافية ، ومراقبة أعمال وتنفيذ هذه القرارات أو الأحكام Implementation of Decisions^(٥٥) ، وللجهاز أيضاً أن يتولى تنفيذ القرارات العقابية في حالة عدم انصياع أحد الأعضاء للقرار الصادر^(٥٦) .

وتؤكد المادة ١/٢١ من مذكرة التفاهم أهمية الامتثال دون إبطاء لتوصيات وقرارات جهاز تسوية المنازعات باعتبار أن ذلك أمر أساسي

Three Years of the WTO Dispute Settlement System—Co—
Chairs' Introduction, Volume 32 No. 3 The International Lawyer
pp. 609-617 (1998)..

رصفة خاصة لي ص ٦١٥ .

(٥٥) راجع :

Timothy M. Reif and Marjorie Floresta, Revenge of the Push-
Me, Pull-You: The Implementation Process Under The WTO
Dispute Settlement Understanding, Volume 32 No. 3 The
International Lawyer, pp. 755-787 (1998).

رصفة خاصة لي ص ٧٥٧ - ٧٥٩ .

وفي نفس المعنى : الدكتور أبو العلا أبو العلا النمر ، الحماية الوطنية للملكية الفكرية - في ظل
اتفاقية الجوابب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية جات ١٩٩٤ (دار النهضة العربية
- القاهرة - بدون سنة النشر) ، ص ٩٦ .

(٥٦) الفقرتين (٢) ، (٦) من المادة الثانية والعشرين من مذكرة التفاهم ، وفي مزيد من التفصيل ،
راجع :

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, Revenge of The Push-
Me, Pull-You: The Implementation Process Under The WTO
Dispute Settlement Understanding

المقالة السابقة ، ص ٧٥٩ وما بعدها .

لضمان الحلول الفعالة للمنازعات لمصلحة جميع الأعضاء^(٥٧) . كما ينبغي على الدولة العضو المعنية أن تعلم الجهاز في الاجتماع الذي يعقده في غضون ثلاثين يوما بعد تاريخ اعتماد تقرير فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف بنواياها فيما يتصل بتنفيذ توصيات وقرارات جهاز تسوية المنازعات^{٥٨} . وإذا تعذر من الناحية العملية الامتثال فورا للتوصيات والقرارات ، أتيحت للدولة العضو المعنية فترة معقولة من الوقت لكي تفعل ذلك^(٥٨) . وتكون هذه الفترة المعقولة إما تلك الفترة التي تقترحها الدولة العضو المعنية بشرط أن يقرها الجهاز ؛ فإذا لم يتم إقرارها، فتكون الفترة التي يتفق عليها أطراف النزاع خلال خمسة وأربعين يوما بعد اعتماد التوصيات والقرارات ؛ فإذا لم يحصل اتفاق على ذلك ، فتكون الفترة التي يتم تحديدها بواسطة التحكيم الملزم خلال تسعين يوما من تاريخ اعتماد التوصيات والقرارات على أنه ينبغي أن يكون أحد المبادئ الجوهرية التوجيهية للحكم هو ضرورة عدم تجاوز الفترة الزمنية المعقولة من أجل تنفيذ توصيات فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف خمسة عشر شهرا من تاريخ اعتماد تقرير الفريق أو هيئة الاستئناف ويجوز تقصير هذه الفترة أو إطالتها حسب الظروف^(٥٩) .

وفي إطار مراقبة الجهاز لتنفيذ القرارات والتوصيات ، فإنه يجوز

(٥٧) المقالة السابقة ، ص ٧٥٧ .

(٥٨) المادة ٣/٢١ من مذكرة التفاهم ، راجع كذلك:

Timothy Reif and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You*

المقالة السابقة ، ص ٧٥٨ . راجع أيضا :

Whitney Debevoise, *Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions*

المقالة المشار إليها ، خاصة في ص ٨٣٠ وما بعدها .

(٥٩) المادة ٣/٢١ (ج) من مذكرة التفاهم .

لأي عضو أن يثير مسألة تنفيذها متى شاء بعد اعتمادها . وتدرج مسألة تنفيذ التوصيات والقرارات على جدول أعمال اجتماع الجهاز بعد ستة أشهر من تاريخ تحديد الفترة الزمنية المعقولة وفقاً للمادة ٣/٢١ ، وتبقى على جدول الأعمال حتى يتم حسم المسألة ، ما لم يقرر الجهاز خلاف ذلك^(١٠) . وعلى الدولة العضو المعنية أن تقوم بتزويد الجهاز بتقرير كتابي عن الحالة الراهنة مع عرض أي تقدم تم إحرازه لتنفيذ التوصية والقرارات ، وذلك قبل عشرة أيام على الأقل من اجتماع الجهاز^(١١) . ويجب على الجهاز ، في الحالات التي تكون فيها الدولة رافعة القضية من الدول النامية ، وعند النظر فيما يمكن اتخاذه من إجراءات مناسبة ، ألا يأخذ في الاعتبار المضمون التجاري للإجراءات موضوع الشكوى فحسب ، لكن أيضاً أثارها على اقتصاديات الدول النامية الأخرى الأعضاء المعنية^(١٢) .

وتقوم أمانة الجهاز بتولي مسؤولية مساعدة فرق التحكيم بوجه خاص في الجوانب القانونية والتاريخية والإجرائية للأمور المعروضة ، وتقديم العون الكتابي والفني^(١٣) . كما تقوم أمانة الجهاز بمساعدة

(١٠) المادة ٦/٢١ من مذكرة التفاهم .

(١١) المادة ٦/٢١ من مذكرة التفاهم . وراجع كذلك :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency

المقالة المشار إليها ، ص ٨٣٠

(١٢) المادة ٨/٢١ من مذكرة التفاهم .

(١٣) المادة ١/٢٧ من مذكرة التفاهم . وفي وظيفة القسم القانوني داخل الأمانة وكيفية عمله ،

راجع :

Dr. Richard L. Bernal, Debra P. Stager And Andrew Stoler, Key Procedural Issues: Resources – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 871-881 (1998).

وبصفة خاصة في ص ٨٧٤ ، وما بعدها .

الأعضاء فيما يتصل بتسوية المنازعات بناء على طلب الأعضاء ، بما في ذلك تقديم المشورة والمساعدة الإضافية في مجال تسوية المنازعات للأعضاء من الدول النامية ، وذلك عن طريق خبير قانوني مؤهل من قسم التعاون الفني في منظمة التجارة العالمية يطلب من جانب أي دولة من هذه الدول النامية ، ويقوم هذا الخبير القانوني بمساعدة الدولة النامية العضو بطريقة تضمن استمرار حياد الأمانة^(٦٤) ، كما تتولى الأمانة عقد الدورات التدريبية للمهتمين من الأعضاء في مجال إجراءات وممارسات تسوية المنازعات لزيادة معارف الخبراء من الأعضاء في هذا المجال^(٦٥) .

(٦٤) المادة ٢٧/٢ من مذكرة التفاهم . ويرى البعض أنه "وليس من شك أن النصيحة السقي سيقدمها الخبير القانوني لسكرتارية المنظمة ستكون محدودة ومقيدة بإطار لا يمكن الدولة النامية من الحصول على خبرة قانونية كافية في مثل هذه الحالات إذ أن تقييد تقديم المشورة بأخصاريات الحماد سيحول حتماً دون تقديم مشورة تؤدي إلى كسب الدعوى ضد الدولة المتقدمة" ولذلك "يحب إنشاء وحدة مستقلة للمساعدة القانونية خارج نطاق سكرتارية المنظمة تضم عدداً من الخبراء القانونيين ولا بد من التحقق أن هذه الوحدة ستحقق ذللاً كافياً لمصلحة دولة نامية تدعى أو يدعى عليها في منازعة سواء تكونت هذه الوحدة من مستشارين معينين أو من محامين لهم مكاتبتهم الخاصة وهذا لا يكون لأعضاء هذه الوحدة حرج في ممارستهم لواجبهم في تقديم المشورة للدولة النامية الطرف في النزاع بما يكفل فوزها في النزاع المطروح على اللجان إذا كانت صاحبة حق ، وقد ييسر ذلك إقامة صندوق خاص للاستعانة بمكاتب المحامين للتوسع في تقديم هذه الاستشارات" . راجع في هذا الرأي: الدكتور محمد أبو العينين ، تقييم نظام تسوية المنازعات لمنظمة التجارة العالمية من منظور الدول النامية ، بحث منشور في مجلة التحكيم السقي تصدر عن المركز اليمني للتوفيق والتحكيم ، العدد رقم (٤) مليون ٢٠٠٠ ، ص ١٧-٢٢ . وبصفة خاصة في كل من ص ١٩ ، ص ٢٠ .

(٦٥) المادة ٣/٢٧ من مذكرة التفاهم . وراجع بصفة عامة في مهام السكرتارية وميزانيتها وتكوينها الميكاني:

Trading into the Future, WTO – The World Trade Organization...

الرجع المشار إليه ، ص ٦٦-٦٧ . وفي المشكلات التي تعرض أمانة المنظمة ، ووظائفها ،

راجع:

C. Christopher Parlin, WTO Dispute Settlement: Are Sufficient Resources Being Devoted to Enable The System to Function Effectively? Volume 32 No 3 The International Lawyer pp. 863-870 (1998).

يتم تطبيق قواعد وإجراءات مذكورة التفاهم على المنازعات التي تحصل وفق أحكام التشاور وتسوية المنازعات الواردة في الاتفاقات المدرجة في الملحق رقم (١) وهي اتفاقية منظمة التجارة العالمية ، الاتفاقات التجارية متعددة الأطراف (الاتفاقات متعددة الأطراف بشأن التجارة في السلع ، الاتفاق العام بشأن التجارة في الخدمات ، الاتفاق بشأن جوانب التجارة المتصلة بحقوق الملكية الفكرية) (٦١) .

كما يكون تطبيق أحكام وإجراءات مذكورة التفاهم رهناً بأية قواعد وإجراءات خاصة أو إضافية بشأن تسوية المنازعات التي ترد في الاتفاقات التي يغطيها الملحق رقم (٢) من مذكورة التفاهم (٦٢) . وفي حالة وجود اختلاف بين قواعد وإجراءات مذكورة التفاهم والقواعد الخاصة أو الإضافية المدرجة في الملحق رقم (٢) ، تكون الأولوية للقواعد والإجراءات الإضافية ، وفي حالة المنازعات التي تتطلب قواعد وإجراءات بموجب أكثر من اتفاق مشمول ، أو إذا تعارضت القواعد والإجراءات الخاصة للاتفاقات محل النزاع ، أو إذا أخفق طرفا النزاع في الاتفاق على القواعد والإجراءات خلال عشرين يوماً من تكوين فريق التحكيم ، كان على رئيس جهاز تسوية المنازعات أن يحدد بالتشاور مع طرفي النزاع القواعد والإجراءات الخاصة التي ينبغي إتباعها وذلك بعد عشرة أيام من تلقي طلب من أحد الطرفين ، وينبغي أن يسترشد الرئيس بالمبدأ الذي يقضي بأن تستخدم القواعد والإجراءات الخاصة أو الإضافية

=وصفة خاصة في ص ٨٦٤ ، وما بعدها .

(٦٦) المادة ١/١ من مذكورة التفاهم .

(٦٧) المادة ٢/١ من مذكورة التفاهم .

حيثما أمكن وأن القواعد والإجراءات المنصوص عليها في هذا التفاهم يتم إعمالها إلى الحد الضروري لتجنب النزاع^(٦٨) .

ولما كان الهدف من توصيات وقرارات الجهاز هو تحقيق تسوية مرضية للأمر والمنازعات المعروضة أمامه ، فإن الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية تؤكد ضرورة تقيدها بمبادئ إدارة المنازعات المطبقة بموجب المادتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من اتفاقيات الجات لعام ١٩٤٧ وبالقواعد والإجراءات المعدلة^(٦٩) . ولما كان نظام تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية يتصف بالمركزية بما له من قدرة على توفير الأمن والقدرة على التنبؤ في نظام التجارة متعدد الأطراف ، فإن الدول الأعضاء تؤكد على أن التوصيات والقرارات التي يصدرها الجهاز لا تضيف إلى الحقوق والالتزامات المنصوص عليها في الاتفاقيات المشمولة ولا تنتقص منها ، كما أن هذا النظام يحافظ على حقوق الدول الأعضاء والتزاماتها المترتبة بموجب الاتفاقيات المشمولة ويوضح الأحكام القائمة في تلك الاتفاقيات وفق القواعد المستقرة في تفسير القانون الدولي العام^(٧٠) .

كما يهدف نظام تسوية المنازعات إلى التسوية الفورية للحالات التي يرى فيها أحد الأعضاء إجراءً صادراً عن عضو آخر يضر بالمصالح العائدة له بصورة مباشرة أو غير مباشرة بموجب الاتفاقيات

(٦٨) المادة ٢/١ من مذكرة التفاهم .

(٦٩) المادة ١/٣ من مذكرة التفاهم .

(٧٠) المادة ٢/٣ من مذكرة التفاهم . وفي التعليق على هذه الفقرة من المادة الثالثة ، راجع :

Serge Frechette, C. Michael Hathaway, and Victor Do Prado, Performance of the System III: Appellate Body – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 747-753 (1998).

وصفة خاصة في ص ٧٤٧ .

المشمولة، وهذه هي إحدى الوسائل الأساسية لتحقيق حسن سير عمل منظمة التجارة العالمية وللإبقاء على توازن سليم بين حقوق الدول الأعضاء والتزاماتها^(٧١) .

ويجب أن تتوافق جميع حلول المسائل التي تطرح رسمياً استناداً إلى الأحكام المتعلقة بالتشاور وتسوية المنازعات في الاتفاقات المشمولة، بما فيها قرارات التحكيم، مع تلك الاتفاقات، كما لا ينبغي أن تلغى أو تعطل المصالح العائدة لأي عضو بموجب تلك الاتفاقات أو تعوق بلوغ أي هدف من أهدافها^(٧٢) . ويجب إخطار الجهاز واللجان ذات الصلة في منظمة التجارة العالمية بأية حلول يتم التوصل إليها باتفاق الطرفين بشأن أي أمور تطرح رسمياً استناداً إلى أحكام التشاور وتسوية المنازعات، ولأية دولة عضو في المنظمة أن تثير أية مسألة تتصل بها في هذه المجالس واللجان^(٧٣) .

ويجب على كل عضو قبل رفع قضية ما أن ينظر بحكمة في جدوى المقاضاة وفق هذه الإجراءات، وتهدف آلية تسوية المنازعات إلى ضمان التوصل إلى حل إيجابي للنزاع، ومقبول لطرفي النزاع ومتوافق مع الاتفاقات المشمولة، وإذا لم يتم التوصل إلى حل مرضٍ يتفق عليه طرفا النزاع، فإن هدف آلية تسوية المنازعات يكون عادة هو ضمان سحب الإجراءات المعنية إذا ما وجد أنها تتعارض مع أحكام أي من

(٧١) المادة ٣/٣ من مذكرة التفاهم .

(٧٢) المادة ٥/٣ من مذكرة التفاهم، وراجع كذلك:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency

المقالة المشار إليها، خاصة في ص ٨١٩.

(٧٣) المادة ٦/٣ من مذكرة التفاهم، راجع: المقالة السابقة، ص ٨١٩.

الاتفاقات المشمولة^(٧٤) ، ولا يجوز اللجوء إلى تقديم التعويض إلا تعذر سحب التدبير فوراً على أن يكون التعويض إجراء مؤقتاً في انتظار سحب الإجراء الذي يتعارض مع اتفاق مشمول ، كما يكون للدولة العضو التي تسعى إلى تطبيق إجراءات تسوية المنازعات أن تطالب بتطبيق التنازلات أو غيرها من الالتزامات بموجب الاتفاقات المشمولة على أساس تمييزي تجاه العضو الآخر وأن يكون ذلك رهناً بترخيص الجهاز باتخاذ هذه الإجراءات^(٧٥) . وفي حالة مخالفة أي من الالتزامات الواردة في أي من الاتفاقات المشمولة ، فإن هذا الوضع يفترض أن هناك خرقاً وتعطيلاً لقواعد الاتفاقيات المشمولة بما يؤدي إليه ذلك من آثار سلبية على الأعضاء الآخرين ، كما يتعين على الدولة العضو المخالف أن تبدي نفاقها وترد على المخالفات المنسوبة إليها^(٧٦) .

ومن المبادئ الجوهرية التي أرستها الاتفاقية أن طلب التوفيق أو استخدام إجراءات تسوية المنازعات لا يعني في حد ذاته وجود خصومة ، كما لا يجوز اعتباره خصومة ، لذا فإنه يجب على جميع الدول الأعضاء ، في حالة نشوب نزاع ، أن تلجأ إلى إجراءات تسوية المنازعات بمنتهى حسن النية بهدف التوصل إلى حل لأي نزاع ، كما أنه من المفهوم أيضاً أنه لا يجوز الربط بين الشكاوي والشكاوي المضادة المتعلقة بأمور مختلفة^(٧٧) .

ولا يتم تطبيق قواعد التسوية الواردة بمذكرة التفاهم إلا فيما

(٧٤) المادة ٧/٣ من مذكرة التفاهم ، وراجع المقالة السابقة ، ص ٨٢٩ - ٨٣٠ .

(٧٥) المادة ٧/٣ من مذكرة التفاهم .

(٧٦) المادة ٨/٣ من مذكرة التفاهم .

(٧٧) المادة ١٠/٣ من مذكرة التفاهم .

يخص الطلبات الجديدة لإجراء مشاورات بموجب الأحكام الخاصة بالمشاورات في الاتفاقات المشمولة التي تقدم عند نفاذ اتفاق منظمة التجارة العالمية أو بعده، أما المنازعات التي قدمت طلبات المشاورات بشأنها بموجب اتفاقية جات عام ١٩٤٧ أو بموجب أي اتفاق آخر سابق للاتفاقات المشمولة قبل بدء نفاذ اتفاقية منظمة التجارة العالمية فيستمر العمل بشأنها بالقواعد والإجراءات ذات الصلة بتسوية المنازعات التي كانت نافذة قبل بدء نفاذ اتفاقية منظمة التجارة العالمية^(٧٨) .

وبالنسبة للدول النامية ، فقد نصت المادة ١٠/٤ من مذكرة التفاهم على أنه ينبغي على الأعضاء خلال المشاورات أن تولي اهتماماً خاصاً للمشاكل والمصالح الخاصة بهذه الدول ، كما كررت المادة ٢/٢١ من مذكرة التفاهم ذات الحكم . كما تضمنت المادة ٢٤ من مذكرة التفاهم قواعد خاصة بالنسبة للدول الأعضاء الأقل نمواً ، إذ تنص المادة ١/٢٤ من هذه المذكرة على أنه "في جميع مراحل تحديد أسباب وإجراءات تسوية نزاع يشمل عضواً من أقل البلدان نمواً ، تولي رعاية خاصة للأعضاء من أقل البلدان نمواً ، ويمارس الأعضاء في هذا الصدد ما يجب من ضبط النفس عند إثارة أمور بموجب هذه الإجراءات تشمل عضواً من أقل البلدان نمواً ، وعندما يتبين حدوث إلغاء أو تعطيل نتيجة لتدبير اتخذته عضو من أقل البلدان نمواً ، يتعين على الطرف الشاكي ضبط النفس عند طلب التعويض أو التماس الترخيص بتعليق التنازلات أو غيرها من الالتزامات عملاً بهذه الإجراءات"^(٧٩) ، كما تنص المادة

(٧٨) المادة ١١/٣ من مذكرة التفاهم .

(٧٩) راجع بصفة خاصة .

Thomas L. Brewer and Stephen Young, WTO Disputes and Developing Countries, Volume 33 No. 5 Journal of World Trade pp. 169 – 182 (1999).

٢٤ / ٢ من مذكرة التفاهم على أنه "في حالات تسوية المنازعات التي تشمل عضواً من أقل البلدان نمواً أو في الحالات التي لا يمكن التوصل فيها إلى حل مرضٍ من خلال المشاورات ، فيعرض المدير العام ، أو رئيس جهاز تسوية المنازعات ، بناءً على طلب من عضو من أقل البلدان نمواً مساعيه الحميدة أو التحكيم أو الوساطة لمساعدة الأطراف على تسوية النزاع ، قبل طلب تشكيل فريق تحكيم ، ويجوز لأي من المدير العام أو رئيس جهاز تسوية المنازعات عند تقديم هذه المساعدة ، التشاور مع أي مصدر يعتبره أحدهما مناسباً"^(٨٠) .

ثانياً - التشاور Consultation :

أ - طلب التشاور:

تضمنت مذكرة التفاهم حثاً للدول الأعضاء على اللجوء إلى التشاور كأحد الأساليب السلمية لتسوية المنازعة وهذا ما نصت عليه المادة ١/٤ من المذكرة بقولها "يؤكد الأعضاء تصميمهم على تعزيز وتحسين فعالية إجراءات التشاور التي يتم اتباعها" ، وذلك بهدف التوصل إلى حل مرضٍ Satisfactory Solution ، أو تسوية مرضية Satisfactory Adjustment^(٨١) ، والحقيقة إن مرحلة التشاور تبدو مجدية كأسلوب للتسوية إذ أن الإحصاءات تدل على أن حوالي ٢٠% من طلبات التشاور أدت إلى الوصول إلى تسوية بين المتنازعين بطريقة أو

(٨٠) راجع : الدكتور محمد حسام لطفي ، تنفيذ الحماية القانونية وتسوية المنازعات طبقاً لاتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية ، البحث المشار إليه ، خاصة في ص ٥ .

(٨١) راجع بصفة خاصة :

William J. Dave and Amlia Porges, Performance of The System I: Consultations & Deterrence - Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 695 - 707 (1998).

بأخرى^(٨٢)، وإمعاناً في تفعيل دور المشاورات ، فلقد نصت المادة ١١/٤ من مذكرة التفاهم على حق الدول الأعضاء في الانضمام إلى طلب التشاور المقدم من دولة عضو ما في شأن نزاع معين . وعليه ، فإذا كان لدولة عضو - من غير الأعضاء المتشاورين - مصلحة تجارية جوهرية في مشاورات معقودة فعلاً طبقاً للمادة ١/٢٢ من اتفاقية الجات لعام ١٩٩٤ أو المادة ١/٢٢ من الاتفاق العام بشأن التجارة أو الأحكام المقابلة في الاتفاقات المشمولة الأخرى ، فإنه يجوز لهذه الدولة العضو أن تخطر الأعضاء المتشاورين والجهاز في خلال عشرة أيام من تاريخ تعميم طلب عقد المشاورات برغبتها في الانضمام إلى المشاورات^(٨٣) . ويتم ضم هذه الدولة العضو إلى المشاورات إذا وافق العضو الموجه إليه هذه المشاورات **The respondent member** . على أن طلب الدولة العضو الانضمام يجب أن يقدم على أساس سليم **Well founded** ووجود مصلحة جوهرية لها في الانضمام ؛ وفي هذه الحالة يقوم الطرفان بإعلام الجهاز بذلك^(٨٤) . أما في حالة رفض الانضمام إلى المشاورات ، فإن الطرف مقدم طلب الانضمام يصبح حراً في تقديم طلب عقد مشاورات بموجب المادة ١/٢٢ من اتفاقية الجات لعام ١٩٩٤ أو المادة ١/٢٢ أو ١/٢٣ من الاتفاق العام بشأن التجارة في الخدمات أو الأحكام

(٨٢) للمقالة السابقة ، ص ٦٩٦ .

(٨٣) المادة ١١/٤ من مذكرة التفاهم ، وراجع بصفة خاصة :

Gray N. Horlick, *The Consultation Phase of WTO Dispute Resolution: A Private Practitioner's View*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp. 685 – 693 (1998).

وبصفة خاصة في ص ٦٨٩ وما بعدها .

(٨٤) المادة ١١/٤ من مذكرة التفاهم . راجع :

William J. Davey & Amelia Porges, *Performance of The System: I: Consultations & Deterrence*

المقالة المشار إليها ، ص ص ٦٩٥ - ٦٩٧ .

المقابلة في الاتفاقات الأخرى المشمولة. ويتضح من ذلك أن الدولة الموجه إليها طلب المشاورات أصلاً *The respondent member* لها كامل السيطرة على قرار الانضمام من أعضاء آخرين ، فلها أن تقبله أو ترفضه وبما قد يفضي في الواقع إلى إساءة استخدام هذا الحق من جانب بعض الدول^(٨٥).

ب - واجب التشاور : *The Duty to Consult*

إذا كان التشاور حق للدولة العضو الطالبة فهو أيضاً التزام وواجب على الدولة الموجه إليها طلب التشاور . ويستند ذلك إلى نص المادة ٢/٤ من مذكرة التفاهم الذي يقضي بأن "يتعهد كل عضو بالنظر بعين العطف إلى أية طلبات يقدمها طرف آخر فيما يتعلق بإجراءات متخذة في أراضي ذلك العضو بشأن تطبيق أي اتفاق مشمول وأن يوفر الفرصة الكافية للتشاور بشأنها" ، ويتأسس واجب التشاور على فكرة وظيفية هي إعطاء تنبيه إلى الدولة العضو المدعى عليها بأن الدولة طالبة التشاور ستقوم باتخاذ إجراءات طلب التسوية عن طريق فريق التحكيم في خلال فترة معينة إذا لم تفلح المشاورات في الوصول إلى تسوية مناسبة . ومع ذلك فليس هناك التزام على فريق التحكيم بالاحكام في المسألة إلا إذا تم استنفاد الوسائل السلمية لتسوية النزاع^(٨٦).

ولقد قرر فريق التحكيم في سابقة هامة هي النزاع بين البرازيل والفلبين ، وإذ رفضت البرازيل - باعتبارها المدعى عليها - طلب التشاور المقدم من الفلبين ، أن كل من الفقرتين ٢ ، ٦ من المادة الرابعة

(٨٥) المقالة السابقة ، ص ٦٩٧.

(٨٦) المقالة السابقة ، ص ٧٠٣.

من مذكرة التفاهم تقضيان بوجود واجب على عاتق الدولة المدعى عليها بالتشاور مع الدولة العضو التي طلبت ذلك^(٨٧)، كما أن الفقرة الخامسة من المادة الرابعة من مذكرة التفاهم تنص كذلك على أنه "يجب على الأعضاء أن تسعى خلال سير المفاوضات وفق أحكام اتفاق مشمول إلى تسوية مرضية للمسألة قبل اللجوء إلى أي إجراء آخر ينص عليه هذا التفاهم"^(٨٨).

جـ - كيف يحصل التشاور؟

يجب على الدولة العضو طالبة التشاور أن تقوم بإخطار الجهاز والمجالس واللجان ذات الصلة بطلبها المشاورات. ويجب تقديم طلب عقد المشاورات كتابة وتدرج فيه الأسباب الداعية للطلب بما فيها تحديد الإجراءات المعترض عليها مع ذكر وعرض الأساس القانوني

(٨٧) راجع قضية :

Brazil – Measures Affecting Desiccated Coconut, WT/ D S 22/R, 278 (October 17, 1996).

وقد جاء في هذا الحكم ما نصه :

"The Philippine's request (for a ruling on Brazil's refusal to consult) concerns a matter which this Panel views with the utmost seriousness. Compliance with the fundamental obligation of WTO Members to enter into consultations where a request is made under the DSU is vital to the operation of the dispute settlement system. Article 4.2 of the DSU... (and DSU Article 4.6) make clear that Members' duty to consult is absolute, and is not susceptible to the prior imposition of any terms and conditions by a Member".

وراجع لي الصليق على الحكم :

William Dave and Amelia Porges, Performance of the System I: Consultations & Deterrence

المقالة المشار إليها ص ٧٠٢.

(٨٨) ويرى البعض أن المشاورات تعتبر خطوة مبدئية هامة لإلهاء الراع ، حيث ألما تتيح للعضوين المتنازعين الفرصة لإعادة التهيؤ للخطوة التالية للتسوية . راجع:

Gary N. Horlick, The Consultation Phase of WTO Dispute Resolution: A Private Practitioner's View

المقالة المشار إليها ، ص ٦٨٥.

وتقتضي المادة ٦/٤ من مذكرة التفاهم بأن تكون المفاوضات سرية Confidential ، وهذا يعني أن جميع الوثائق المستخدمة خلال أو أثناء عملية التشاور ، كالأسئلة والإجابات المتبادلة بين طرفي التشاور ، لا تصبح جزءاً من الوثائق الرسمية لمنظمة التجارة العالمية ولا يحصل تعميم لها على الدول الأعضاء غير الأطراف في عملية التشاور (٩٠) . ولا ريب أن السرية من هذا المنظور تناسب طبيعة مرحلة التشاور التي يخوضها الطرفان المتنازعان والتي يكون الهدف الأساسي لها هو السماح للطرفين بتوضيح المسائل المتصلة بموضوع النزاع ومحاولة حلها بغير طريق إنشاء فريق التحكيم ، ذلك أن نشر وثائق التشاور من شأنه تقويض الأهداف التي تقوم عليها اتفاقية منظمة التجارة العالمية التي تستهدف في المقام الأول التوصل إلى حلول سلمية سريعة بين العضوين المتنازعين (٩١) . وينبغي في كل الأحوال ألا تخل المفاوضات التي تجري خلال عملية التشاور بأي حق لأية دولة عضو في إجراءات لاحقة (٩٢) .

والأصل أن تجري عملية التشاور طبقاً لما يراه الأعضاء المتشاورون مناسباً وملئماً to the convenience of the members (٩٣) .

(٨٩) المادة ٤/٤ من مذكرة التفاهم . راجع كذلك:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Transparency

المقالة المشار إليها ص ٨١٨ .

(٩٠) المقالة السابقة ص ٨١٨ - ٨١٩ .

(٩١) في معنى قريب : المقالة السابقة ، ص ٨١٩ .

(٩٢) المادة ٦/٤ من مذكرة التفاهم .

(٩٣) راجع :

ومع ملاحظة ما نقضي به المادة ٣/٤ من مذكرة التفاهم من أنه إذا قدم طلب التشاور إعمالاً لاتفاق مشمول ، كان على العضو الذي يقدم إليه الطلب ، ما لم يتم الاتفاق على عكس ذلك ، أن يجيب على طلب التشاور في خلال عشرة أيام من تاريخ تسلمه وأن يدخل بحسن نية *in good faith* في مشاورات في فترة لا تتجاوز ثلاثين يوماً بعد تسلم الطلب، بهدف التوصل إلى حل مرض للطرفين المتنازعين . أما إذا لم يرسل العضو رده في غضون عشرة أيام من تسلمه الطلب ، أو إذا لم يدخل في المشاورات ضمن فترة لا تتجاوز ثلاثين يوماً بعد تسلم الطلب ، كان من حق العضو الذي طلب عقد المشاورات أن ينتقل مباشرة إلى طلب إنشاء فريق التحكيم^(٩٤).

وإذا توصل الأعضاء - من خلال التشاور - إلى حلول مرضية ، فإنه ينبغي عليهم القيام بإخطار الجهاز DSB والمجالس واللجان ذات الصلة بهذه الحلول أو بأي اتفاق بين الطرفين بشأن أي مسائل تطرح رسمياً استناداً إلى أحكام التشاور وتسوية المنازعات ، كما يكون لأي عضو أن يثير أي أمر يتصل بها في هذه المجالس واللجان^(٩٥) .

أما إذا أخفقت المشاورات في تحقيق تسوية نزاع ما بين العضوين المتنازعين خلال ميتين يوماً بعد تاريخ تسلم طلب إجراء التشاور، فإنه يجوز للعضو الشاكي أن يطلب إنشاء فريق تحكيم ، كما يجوز للطرف الشاكي أن يطلب فريق تحكيم خلال فترة الستين يوماً إذا ما اعتبر

Gary N .Horlick , The Consultation phase of WTO Dispute - Resolution.....

المقالة المشار إليها ، ص ٦٨٩ .

(٩٤) المادة ٣/٤ من مذكرة التفاهم .

(٩٥) المادة ٤/٤ من مذكرة التفاهم .

العضوان أن المشاورات فشلت في تسوية النزاع، كما يجوز للأعضاء في الحالات المستعجلة، بما فيها تلك الحالات المتعلقة بالسلع سريعة التلف **Perishable goods**، أن تدخل في مشاورات في خلال ما لا يزيد عن عشرة أيام من تاريخ تسلم الطلب، وإذا فشلت المشاورات في تسوية النزاع خلال فترة عشرين يوما بعد تسلم الطلب، جاز للدولة العضو الشاكي أن تطلب إنشاء فريق التحكيم^(٩٦)، وفي الحالات المستعجلة، بما فيها تلك الحالات المتعلقة بالسلع سريعة التلف، ينبغي على طرفي النزاع وفريق التحكيم وجهاز الاستئناف بذل كل جهد ممكن من أجل التعجيل بالإجراءات إلى أقصى حد ممكن^(٩٧).

د - كيف يجري التشاور من الناحية العملية؟

يستغرق التشاور المعتاد **Typical Consultation** من ساعتين إلى ثلاث ساعات، وتُعقد جلسة التشاور في إحدى غرف منظمة التجارة العالمية في بعثتها بجنيف^(٩٨)، ويجري التشاور باللغة الإنجليزية، دون وجود مترجمين، وبدون معاونة أي من أدوات الطباعة أو الاختزال أو غير ذلك^(٩٩)، ويحضر جلسة التشاور ممثلين **Delegates** عن الحكومات

(٩٦) المادة ٧/٤، ٨/٤ من مذكرة التفاهم.

(٩٧) المادة ٩/٤ من مذكرة التفاهم.

(٩٨) راجع:

William Davey and Amelia Porges, Performance of the System I: Consultations & Deterrence

المقالة المشار إليها، ص ٧٠٤. والحقيقة أن المشاورات عادة ما تُعقد في جنيف، وهذا هو الغالب، ولكن ليس هناك ما يمنع من انعقادها في بلد يتوسط العضوين المتنازعين، أنظر:

Gray Horlick, The Consultation Phase of WTO

المقالة المشار إليها، ص ٦٨٩.

William Davey & Amelia Porges, Performance of the System I: Consultations & Deterrence.....

المقالة المشار إليها، ص ٧٠٤.

الأطراف في النزاع ، ويكون التمثيل حسب أهمية النزاع^(١٠٠) ، كما يحضر الجلسة ممثلون عن الدول الأعضاء الذين ينضمون إلى التشاور طبقاً للمادة ٤/١١ من مذكرة التفاهم ، وفيما عدا ذلك تكون المشاورات خاصة ومغلقة ولا يحضرها أعضاء آخرون^(١٠١) .

وتتركز المشاورات على الأسئلة المكتوبة، وعادة ما يكون الهدف من هذه الأسئلة الحصول على حقائق *factual information* ، كما قد يتم توجيه الأسئلة بغرض الحصول على نسخ من القوانين المتعلقة بموضوع النزاع للدول المتشاوره أو غيرها من اللوائح أو الوثائق ، بل قد يمتد الأمر إلى التطرق إلى النظريات والمسائل القانونية^(١٠٢) . على أن المشاورات قد لا تجري بصورة سليمة في بعض الأحوال وذلك عندما يحاول العضو الشاكي تقديم أسئلة مطولة معقدة لا يستهدف منها استجلاء الحقائق بقدر ما يستهدف إدانة العضو الآخر في التشاور ، مما يجعل الطرف المشكو في حقه يتهرب من الإجابات أو يقدم إجابات مبتسرة أو قاصرة^(١٠٣) . ولكن في حالات كثيرة تجرى المشاورات في جو هادئ

(١٠٠) للمقالة السابقة ، ص ٧٠٤ .

(١٠١) راجع :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions

المقالة المشار إليها ص ٨٣٣ وما بعدها .

(١٠٢) راجع :

William J. Davey and Amelia Porges, Performance of the System I: Consultations & Deterrence

المقالة المشار إليها ، ص ٧٠٤ وما بعدها . أيضا ، في نفس المعنى :

Gary Horlick, The Consultation Phase of WTO Dispute Resolution

المقالة السابق الإشارة إليها ، ص ٦٩١ .

(١٠٣) William J. Davey and Amelia Porges, Performance of the System

المقالة السابقة ، ص ٧٠٥ .

بتمكين للعضو الشاكي من تقديم أسئلته وإتاحة الفرصة للعضو المشكو في حقه من الإجابة حتى بالنسبة للمسائل القانونية ، وخاصة إذا كان البادي والراجع أن النزاع سيؤول إلى فريق تحكيم فيما بعد^(١٠٤) .

ويظهر العمل أن هناك عدداً غير قليل من المنازعات يتم حسمها في مرحلة التشاور وخاصة إذا تم إزالة سوء التفاهم حول بعض الوقائع التي تمس جوهر النزاع ، وحتى بالنسبة للمنازعات التي فشل الأعضاء في تسويتها بطريق التشاور وتم إحالتها إلى فريق التحكيم ، فإن المشاورات كان لها - رغم ذلك - أثر لا ينكر في تبادل المعلومات التي تؤدي إلى قصر النزاع على الأمور الخلاقية الهامة والجنية ، وإلى سهولة عرض النزاع أمام فريق التحكيم مما يكون له أثر واضح وإيجابي في الإسراع بالتسوية^(١٠٥) .

ويوضح النزاع بين الهند والولايات المتحدة الأمريكية أهمية الإجابة عن التساؤلات التي يوجهها عضو إلى عضو آخر أثناء التشاور . ففي قضية India Mail-Box قدمت الولايات المتحدة خلال مرحلة التشاور أسئلة مكتوبة إلى الهند طلبت فيها تحديد معلومات معينة عما إذا كان هناك نظام إداري محدد Mailbox لاستقبال طلبات الحصول على براءات الاختراع عن الأدوية وفقاً للنظام الذي أرسته اتفاقية تريبس؟ ولقد رفضت الهند الإجابة عن هذا التساؤل^(١٠٦) ، وعدت تقديم

(١٠٤) المقالة السابقة ، ص ٧٠٥ .

(١٠٥) المقالة السابقة ، ص ٧٠٥ وما بعدها ، راجع أيضاً :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body.....

المقالة المشار إليها ، ص ٨٣٣ - ٨٣٤ .

(١٠٦) راجع نزاع :

India - Patent Protection for Pharmaceutical and Agricultural=

النزاع إلى فريق التحكيم، أقامت الهند دفاعها على أنها تولى تنفيذ التزاماتها طبقاً لاتفاقية تريبس لاستقبال طلبات براءات الأنوية بطريق نماذج إرشادية إدارية غير منشور عنها Unpublished administrative guidance. ردت الولايات المتحدة على هذه الحجة على سند من القول بأنه حتى على فرض وجود مثل هذا النظام في الهند ، فإن ذلك في حد ذاته غير متوافق مع أحكام اتفاقية تريبس على أساس أن عدم النشر عن هذا النظام الإداري يمثل خرقاً لأحكام هذه الاتفاقية الأخيرة. وصدر الحكم من فريق التحكيم لصالح الولايات المتحدة (١٠٧).

ثالثاً - المساعي الحميدة ، التوفيق ، الوساطة ، والتحكيم :

المساعي الحميدة ، التوفيق والوساطة والتحكيم هي من الأساليب لتسوية منازعات التجارة الدولية وغيرها من المنازعات الدولية بصفة

Chemical Products, WT/ DS 50/ AB/ R 94 (December 19, 1997).^{١٠٧}

(١٠٧) ولقد جاء في حيثيات حكم الاستئناف في هذا الراجع ما نصه:

"All parties engaged in dispute settlement under the DSU must be fully forthcoming from the very beginning both as to the claims involved in a dispute and as to the facts relating to those claims. Claims must be stated clearly. Facts must be disclosed freely. This must be so in consultations as well as in the more formal setting of panel proceedings. In fact, the demands of due process that are implicit in the DSU make this especially necessary during consultations. For the claims that are made and the facts that are established during consultations do much to shape the substance and the scope of subsequent panel proceedings. If, in the aftermath of consultations, any party believes that all the pertinent facts relating to a claim are, for any reason, not before the panel, then that party should ask the panel in that case to engage in additional fact-finding".

وراجع في التطبيق على هذا الراجع وأبعاده :

Rufus H. Yerxa and Demetrios J. Marantis, Assessing the New WTO Dispute System

المقالة المشار إليها ، ص ٧٩٩ وما بعدها ،

والمساعي الحميدة Good offices هي وسيلة بمقتضاها يقوم شخص أو هيئة بالتوسط بين الأطراف المتنازعين من أجل استمرار عملية التفاوض التي يمكن أن تؤدي إلى حل النزاع^(١٠٩) ، أما التوفيق Conciliation فهو عبارة عن اتفاق بين الأطراف المتنازعين على تقديم تنازلات متبادلة تؤدي إلى حل المشكلات القائمة بينهم^(١١٠) .

والوساطة Mediation وسيلة يتم بمقتضاها تدخل شخص من الغير كوسيط أثناء مفاوضات إنهاء المنازعة^(١١١) .

وتنص المادة ١/٥ من مذكرة التفاهم على أن "المساعي الحميدة والتوفيق والوساطة تتخذ طوعية إذا وافق على ذلك طرفا النزاع" ، وعليه ، فإن اللجوء إلى هذه الوسائل أمر إرادي واختياري لأطراف النزاع ، صحيح أن المادة ٦/٥ من مذكرة التفاهم تنص على أنه يجوز

(١٠٨) راجع بصفة عامة :

E. Nwogu, The Legal Problems of Foreign Investment in Developing Countries (1965).

أيضاً :

J. Briely, The Law of Nations (1963).

في ص ٣٧٣ وما بعدها .

(١٠٩) أنظر :

E. Nwogu, The Legal Problems of Foreign Investment.....

خاصة في ص ٢٢٩ وما بعدها .

(١١٠) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

J. Briely, The Law of Nations

(١١١)

الرجوع المشار إليه ، ص ٣٧٣ .

وراجع كذلك :

Steve Charnovitz, Environment and Health under WTO Dispute Settlement

المقالة المشار إليها ، خاصة ص ٩١٧ .

للمدير العام للمنظمة -بحكم وظيفته- أن يعرض هذه الوسائل السلمية بهدف مساعدة الأعضاء على تسوية منازعاتهم ، إلا أن ذلك لا يعني أن الأعضاء الممتازين عليهم الاتصياح مع عرض المدير العام للمنظمة^(١١٢).

ولا يخضع اللجوء إلى هذه الوسائل السلمية ، أي المساعي الحميدة أو الوساطة أو التوفيق لأي قيود أو مواعيد، إذ يجوز لأي طرف في نزاع ما أن يطلب اللجوء إليها في أي وقت ، كما يجوز البدء فيها في أي وقت وإنهاؤها في أي حال يكون عليه النزاع^(١١٣) ، ولا يخل إنهاء هذه الوسائل بحق الطرف الشاكي في اتخاذ إجراءات طلب إنشاء فريق التحكيم^(١١٤) ، بل إنه يجوز مواصلة إجراءات المساعي الحميدة أو التوفيق أو الوساطة في نفس الوقت الذي تجرى فيه إجراءات الفريق إذا وافق طرفا النزاع على ذلك^(١١٥).

على أن الأمر يختلف في حالة البدء في التفاوض، إذ تقرر المادة ٤/٥ من مذكرة التفاهم بأنه عند الشروع في المساعي الحميدة أو الوساطة في غضون ستين يوماً بعد تاريخ تسلم طلب عقد مشاورات ، فينبغي على الطرف الشاكي أن يتيح فترة ستين يوماً بعد تاريخ تسلم طلب عقد المشاورات قبل أن يطلب إنشاء فريق تحكيم ، ويجوز للطرف الشاكي أن يطلب إنشاء فريق التحكيم خلال ستين يوماً إذا اتفق طرفا

(١١٢) راجع : الدكتور محمد حسام لطفي ، تنفيذ الحماية القانونية وتسوية المنازعات البحث المشار إليه ، ص ٨.

(١١٣) المادة ٢/٥ ، ٣/٥ من مذكرة التفاهم .

(١١٤) المادة ٣/٥ من مذكرة التفاهم .

(١١٥) المادة ٥/٥ من مذكرة التفاهم .

النزاع على أن فشل المساعي الحميدة أو التوفيق أو الوساطة في تسوية النزاع^(١١٦)، وبعبارة أخرى، إذا أراد الطرف الشاكي التقدم بطلب إنشاء فريق التحكيم قبل مرور المدة المذكورة كان عليه الحصول على موافقة العضو المشكو في حقه على فشل هذه الوسائل السلمية لتسوية النزاع.

أما التحكيم Arbitration فهو وسيلة اتفاقية بديلة An alternative means لتسوية منازعات التجارة الدولية^(١١٧). ولقد أتاحت المادة ١/٢٥ من مذكرة التفاهم التحكيم كأسلوب سريع من شأنه تيسير التوصل إلى حل لبعض المنازعات للمعامل التي يحددها الأطراف المتنازعون بوضوح وذلك وفقا للقواعد والإجراءات التي يثبّق عليها

(١١٦) المادة ٤/٥ من مذكرة التفاهم.

(١١٧) راجع في التحكيم كوسيلة بديلة لتسوية منازعات التجارة الدولية:

Albert Van Den Berg, *The New York Arbitration Convention* (1981); Asante, *Stability of Contractual Relations in the Transnational Investment Process*, Volume 28 *International and Comparative Law Quarterly* p. 401 (1979);

Thomas E. Carbonneau, *Arbitral Adjudication: A Comparative Assessment of its Remedial and Substance Status in Transnational Commerce*, Volume 19 *Texas International Law Journal* p. 32 (1984).

De Vries, *International Commercial Arbitration: A Contractual Substitute for National Courts*, Volume 57 *Tulane Law Review* p. 42 (1982).

ولي الفقه العربي، راجع: الدكتور أبو زيد رضوان، الأسس العامة في التحكيم التجاري الدولي (دار الفكر العربي ١٩٨٩)؛ الدكتور ثروت حبيب، دراسة في قانون التجارة الدولية (١٩٧٥) وبصفة خاصة ص ١٠٥ وما بعدها، ص ١٨٩ وما بعدها؛

الدكتور محسن شفيق، التحكيم التجاري الدولي - دراسة في قانون التجارة الدولية (١٩٧٣ - ١٩٧٤ مذكرات لطلبة دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص - جامعة القاهرة)؛ الدكتور محمود سهر الشوقوي، التطورات الحديثة في قانون التحكيم المصري - بحث مقدم إلى مؤتمر التحكيم - بيروت (مايو ١٩٩٩) - منشور في المجلة اللبنانية للتحكيم العربي والدولي - العدد التاسع - ص ص ٥ - ١٤؛ الدكتور مختار أحمد بريوي، التحكيم التجاري الدولي، دراسة خاصة للقانون المصري الجديد بشأن التحكيم في المواد المدنية والتجارية (دار النهضة العربية

١٩٩٥)

وعليه ، فالمتصود بالتحكيم وفقاً للمادة ٢٥ من مذكرة التفاهم التحكيم الاتفاقي الذي يرتضي الأطراف رسم قواعده وإجراءاته ؛ أما اللجوء إلى تكوين فرق التحكيم The Panel فهو وسيلة أخرى تم تنظيمها وفقاً لاتفاقية منظمة التجارة العالمية ولا يملك الأطراف حرية كبيرة بشأنها إذ هي آلية رسمت قواعدها وإجراءاتها مذكرة التفاهم ذاتها ، وهي الآلية التي سوف نناقشها لاحقاً في هذا المطلب .

وتقضي المادة ٢/٢٥ من مذكرة التفاهم بأنه باستثناء أي نص آخر في هذا التفاهم ، يكون اللجوء إلى التحكيم رهناً بموافقة طرفي النزاع اللذين ينبغي أن يتفقا على الإجراءات التي يرغبان في إتباعها . كما يجب على الطرفين المتنازعين إخطار جميع الأعضاء في المنظمة بأي اتفاقات على اللجوء إلى التحكيم وذلك قبل البدء الفعلي في إجراءات التحكيم بفترة كافية^(١١٩) . وتحظر المادة ٣/٢٥ على الأعضاء من غير الطرفين المتنازعين أن تصبح أطرافاً في عملية التحكيم بغير موافقة هذين الطرفين اللذين ارتضيا تسوية المنازعة تحكيمياً ، ويتعين أن يتفق الطرفان المتنازعان على الالتزام بقرار التحكيم^(١٢٠) . كما ترسل قرارات التحكيم إلى الجهاز D S B وإلى مجلس المنظمة واللجان المعنية بها حتى يتمكن أي عضو من أن يثير ما لديه من اعتراضات أو مسائل أخرى

(١١٨) راجع ، الدكتور محمد حسام لطفي ، تنفيذ الحماية القانونية وتسوية المنازعات ،

البحث المشار إليه ، ص ٢٩ وما بعدها .

(١١٩) المادة ٢/٢٥ من مذكرة التفاهم .

(١٢٠) المادة ٣/٢٥ من مذكرة التفاهم .

ذات صلة بهذا القرار التحكيمي^(١٢١)، كما يطبق على هذا التحكيم ، مع ما يقتضيه الحال من تعديل ، الأحكام المتعلقة بمراقبة تنفيذ التوصيات والقرارات والتعويض وتعليق التنازلات المنصوص عليها في المادتين ٢١ و ٢٢ من مذكرة التفاهم^(١٢٢) .

رابعاً - فريق التحكيم The Panel:

أتاحت مذكرة التفاهم DSU للدول الأعضاء تقديم منازعاتهم إلى فرق تحكيم يتم تكوينها وفق آليات وإجراءات محددة ، وطبقاً لاختصاصات واضحة ، مع ضمانات تؤمن للمتنازعين السرية والحياد ، كما يكون للأعضاء المتنازعين تقديم استئناف في حالة عدم الرضاء عن قرار فريق التحكيم . وفيما يلي نعالج أهم المسائل المرتبطة بفريق التحكيم الذي يقرر المنازعة في ظل منظمة التجارة العالمية .

أ - إنشاء فريق التحكيم :

يتم تشكيل فريق التحكيم The Establishment of a Panel بناء على طلب الدولة العضو الشاكي^(١٢٣) ، وينبغي أن يقدم هذا الطلب كتابة^(١٢٤) ، كما يجب أن يبين الطلب ما إذا كانت قد عقيت مشاورات قبل تقديم هذا الطلب^(١٢٥) ، ويتعين أن يوضح في الطلب موضوع النزاع

(١٢١) المادة ٣/٢٥ من مذكرة التفاهم .

(١٢٢) المادة ٤/٢٥ من مذكرة التفاهم .

(١٢٣) المادة ١/٦ من مذكرة التفاهم . راجع :

Terence P. Stewart and Mara M. Burr, The WTO Panel Process: An Evaluation of the First Three Years.....

المقالة المشار إليها ، خاصة في ص ٧٣٠ .

(١٢٤) المقالة السابقة ، ص ٧٣٠ .

(١٢٥) المقالة السابقة ، ص ٧٣٠ .

مع ملخص موجز للأساس القانوني للشكوى لكي يكون كافياً لعرض المسألة بوضوح^(١٢٦) . وفي الحالات التي يطلب فيها العضو مقدم الطلب إنشاء فريق تحكيم باختصاصات تختلف عن الاختصاصات المعتادة ، فيجب أن يشتمل الطلب على الاختصاصات المقترحة^(١٢٧) . ويصدر القرار بتشكيل فريق التحكيم في اجتماع للجهاز يدعى إليه لهذا الغرض خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ الطلب مع ترك مهلة إخطار سابقة عليه مدتها عشرة أيام على الأقل^(١٢٨) ، كما يلتزم الجهاز بإصدار قراره بتشكيل فريق التحكيم في موعد لا يتجاوز اجتماع الجهاز الذي يلي الاجتماع الذي يظهر فيه الطلب لأول مرة كبند من بنود جدول أعمال الجهاز ، إلا إذا قرر الجهاز في ذلك الاجتماع بتوافق الآراء عدم تشكيل هذا الفريق^(١٢٩) .

ب - تكوين فريق التحكيم : The Constitution of a Panel

نصت المادة الثامنة من مذكرة التفاهم على القواعد والإجراءات التي تحكم تكوين فريق التحكيم ، فيجب أن يتكون فريق التحكيم من أفراد حكوميين و / أو غير حكوميين مؤهلين بما فيهم الأشخاص الذين سبق

(١٢٦) المقالة السابقة ، ص ٧٣٠.

(١٢٧) المقالة السابقة ، ص ٧٣٠ - ٧٣١.

(١٢٨) الدكتور محمد حمام لطفي ، تنفيذ الحماية القانونية وتسوية المنازعات طبقاً لاتفاقية الجواب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية "تريس" ٥٥٥٥٥٥ البحث المشار إليه ، ص ١٠ .

(١٢٩) المادة ١/٦ من مذكرة التفاهم . ويلاحظ أن طلبات تشكيل فرق التحكيم يتم توزيعها وتعميمها على الدول الأعضاء ، ويتم إدراجها على جدول أعمال الجهاز ، ومن الناحية العملية ، فإن طلبات تشكيل فرق التحكيم يتم نشوهد في النشرات التجارية Trade Press ، كما تظهر في مجلة منظمة التجارة العالمية - قسم تسوية المنازعات في الإنترنت . راجع:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions

المقالة المشار إليها ، ص ٨٢٠.

أن كانوا أعضاء في فرق تحكيم أو عرضوا قضية أمامها أو ممن عملوا كممثلين لدولة عضو ما أو لطرف متعاقد في اتفاقية جات عام ١٩٤٧ أو ممثلين في المجلس أو اللجنة لاتفاق مشمول أو لاتفاق سابق عليها أو هؤلاء الذين عملوا في أمانة المنظمة أو تدريس قانون التجارة الدولية أو سياساتها أو نشروا في ميدانها ، أو عملوا كممثلين قياديين في ميدان السياسات التجارية لدى إحدى الدول الأعضاء^(١٣٠) .

وتحتفظ الأمانة بقائمة إرشادية للأشخاص الحكوميين وغير الحكوميين الذين تتوفر لديهم مؤهلات أعضاء الفريق **Panelists** . ويتم انتقاء أعضاء فريق التحكيم من هذه القائمة عند الحاجة ، ويتعين أن تشمل هذه القائمة أسماء أعضاء فرق التحكيم غير الحكوميين التي وضعت في نوفمبر عام ١٩٨٤ . وبغيرها من اللوائح والقوائم الإرشادية الموضوعية بموجب أي من الاتفاقات المشمولة ، كما تحتفظ الأمانة بأسماء الأشخاص المدرجين على هذه اللوائح والقوائم الإرشادية عند نفاذ اتفاقية منظمة التجارة العالمية . ويكون للدول الأعضاء أن تتنحصر بصفة دورية أسماء أفراد حكوميين لتدرج على هذه القائمة الإرشادية ، مع توفير معلومات محددة عن درايتهم بالتجارة الدولية ويقطاعات الاتفاقات المشمولة وموضوعاتها . ويتم إضافة هذه الأسماء إلى القائمة بعد موافقة الجهاز عليها ، وينبغي أن توفر القائمة ، عن كل فرد مدرج عليها ، معلومات عن مجالات عمله وخبرته الدقيقة في قطاعات الاتفاقات المشمولة وموضوعاتها^(١٣١) . وتأكيداً لحيدة فريق التحكيم فقد حظرت مذكرة التفاهم أن يعين في فريق التحكيم المعني بنزاع معين مواطنون

(١٣٠) المادة ١/٨ من مذكرة التفاهم . المقالة السابقة ، ص ص ٨٢٠ - ٨٢١ .

(١٣١) المادة ٤/٨ من مذكرة التفاهم .

من أعضاء تكون حكوماتهم أطرافاً في هذا النزاع أو من الغير وفقاً للمادة ١٠/٢ من مذكرة التفاهم ، إلا إذا حصل اتفاق بين طرفي النزاع على غير ذلك^(١٣٢).

وتعرض الأمانة على طرفي النزاع أسماء الأشخاص المرشحين لعضوية الفريق . ولا يجوز لطرفي النزاع الاعتراض على هذا الترشيح إلا لأسباب ملحة **Compelling reasons** ^(١٣٣) . أما إذا لم يكن من الممكن التوصل إلى اتفاق لأسماء أعضاء الفريق خلال عشرين يوماً من إنشائه ، كان على المدير العام، بناء على طلب من أي من الطرفين، وبعد التشاور مع رئيس الجهاز ورئيس المجلس أو اللجنة المعنية، أن يقوم بتشكيل الفريق وذلك بتعيين من يعتبرهم الأنسب وفق القواعد والإجراءات الخاصة أو الإضافية ذات الصلة للاتفاق المشمول أو الاتفاقات المشمولة للمطروحة في النزاع وذلك بعد التشاور مع طرفي النزاع . ويقوم رئيس الجهاز بإخطار الأعضاء بتكوين فريق التحكيم بهذه الطريقة في موعد لا يتجاوز عشرة أيام من تاريخ تسلم رئيس الجهاز للطلب^(١٣٤) . كما منحت مذكرة التفاهم الدول النامية معاملة

(١٣٢) المادة ٣/٨ من مذكرة التفاهم . راجع مقالة:

Terence P. Stewart and Mara Burr, The WTO Panel Process

المقالة المشار إليها سابقاً ، ص ٧١٦ . وما يؤدي إلى استبعاد - في غالبية القضايا - ترشيح محكمين أو أعضاء فريق من دول مثل الولايات المتحدة ، دول الاتحاد الأوروبي وكندا لأن هذه الدول عادة ما تكون أطرافاً في المنازعات .

(١٣٣) المادة ٦/٨ من مذكرة التفاهم . ويجب أن يكون المرشحين من ذوي الكفاءة العالية الذين

تعدد تجاربهم وخبراتهم . راجع:

Steve Charnovitz, Environment and Health under WTO Dispute Settlement

المقالة المشار إليها ، ص ٩١٧ وما بعدها .

(١٣٤) المادة ٧/٨ من مذكرة التفاهم . راجع في ذلك أيضاً :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions

خاصة عند تشكيل فريق التحكيم وذلك في الحالة التي يكون فيها النزاع المطروح بين دولة عضو من البلدان النامية وعضو من البلدان المتقدمة، إذ أجازت أن يكون أحد الأعضاء على الأقل من البلدان النامية إذا طلب العضو من البلدان النامية ذلك^(١٣٥)، ويتكوّن فريق التحكيم من عدد وتري أي عدد فردي، إذ تنص المادة ٨/٥ من مذكرة التفاهم على أن يتكوّن أعضاء الفريق من ثلاثة أشخاص ما لم يتفق طرفا النزاع خلال عشرة أيام من إنشاء فريق التحكيم على أن يتكوّن من خمسة أشخاص، ويجب إعلام الأعضاء بتكوين الفريق دون إبطاء. وفي كل الأحوال، ينبغي أن يراعى عند اختيار فريق التحكيم ما يكفل حيديتهم واستقلالهم وتوفّر تنوع كاف في معارفهم واتساع وعمق في مجال خبراتهم^(١٣٦)، كما أن الدول الأعضاء، وإن كانت تتعهد كمبدأ عام بالسماح لموظفيها بالعمل كأعضاء في فريق التحكيم، إلا أنه يتعين على الأشخاص المختارين أعضاء في فريق التحكيم أن يمارسوا أعمالهم بصفتهم الشخصية وليس كممثلين لحكوماتهم أو ممثلين لأية منظمة من المنظمات، لهذا يتعين على الدول الأعضاء في المنظمة أن تمتنع عن إصدار التعليمات إلى أعضاء فرق التحكيم أو محاولة التأثير عليهم كأفراد فيما يتصل بالأمور المطروحة على أي فريق من فرق التحكيم^(١٣٧)، وتأكيداً للحيدة الواجبة، فإن التكاليف المالية لأعضاء فرق التحكيم بما فيها نفقات السفر والإقامة تغطي من ميزانية منظمة التجارة العالمية طبقاً للمعايير التي يعتمدها المجلس العام بناء على توصية من

= المقالة المشار إليها، ص ٨٢٠ وما بعدها.

(١٣٥) المادة ٨/١٠ من مذكرة التفاهم.

(١٣٦) المادة ٨/٢ من مذكرة التفاهم.

(١٣٧) الفقرتان الثامنة والتاسعة من المادة الثامنة من مذكرة التفاهم.

ج- إجراءات فريق التحكيم :

تنص المادة ١/١٢ من مذكرة التفاهم على أن تقوم فرق التحكيم بإتباع إجراءات العمل المدرجة في الملحق رقم ٣ ، إلا إذا قرر الفريق- بعد التشاور مع طرفي النزاع - اتباع قواعد أخرى^(١٣٩) ، وفي كل الأحوال ، ينبغي أن يحرص فريق التحكيم على توفير أكبر قدر من المرونة في الإجراءات المتبعة ضماناً لجودة التقارير ودون إخلال بالسرعة الواجبة للفصل في النزاع^(١٤٠) .

وحرصاً على تسوية النزاع في أسرع وقت ممكن ، فقد أوجبت مذكرة التفاهم أن يقوم أعضاء فريق التحكيم - بعد التشاور مع طرفي النزاع - إن أمكن خلال أسبوع بعد تشكيله والاتفاق على اختصاصاته - بإعداد الجدول الزمني لمسير القضية المعروضة^(١٤١) ؛ ومع مراعاة أنه في الحالات المستعجلة بما فيها تلك المتعلقة بالسلع سريعة التلف ينبغي على طرفي النزاع وفريق التحكيم وجهاز الاستئناف بذل كل الجهد

(١٣٨) المادة ١١/٨ من مذكرة التفاهم . وراجع في إمكانية اختصار الاقتصاد نفقات أعضاء فرق

التحكيم بطريق التداوب أو اختيار أعضاء البعثات للدول الأعضاء في جنيف ، مقالة :

Terence P. Stewart and Mara Burr, The WTO Process

المقالة السابقة ، ص ٧١٦ وما بعدها .

ويرى البعض أن البدلات التي تغطي نفقات أعضاء فريق التحكيم The Panelists ضعيفة للغاية ولا تساري الجهد والعمل المبذل ، فمثلاً يحصل عضو فريق التحكيم على أربعمائة دولار في اليوم الواحد لتغطية جميع نفقاته . راجع :

Charles E. Roh, John Kingery, Greg Mastel and James Southwick, Presentation Summary and Comments

المقالة المشار إليها ، ص ٨٨٧ .

(١٣٩) المادة ١/١٢ من مذكرة التفاهم .

(١٤٠) المادة ٢/١٢ من مذكرة التفاهم .

(١٤١) المادة ٣/١٢ من مذكرة التفاهم .

الممكن التعجيل بالإجراءات^(١٤٢)، كما يتعين على فريق التحكيم - عند تحديد الجدول الزمني لسير قضية معينة - أن يحدد للأطراف المتنازعين مواعيد نهائية لتقديم مذكراتهم المكتوبة^(١٤٣) ، مع إعطائهم وقتاً كافياً لإعداد تلك المذكرات ، وينبغي على هؤلاء الأطراف عندئذ الالتزام الكامل بهذه المواعيد^(١٤٤) .

ويتعين على كل طرف من الأطراف المتنازعين أن يودع مذكراته المكتوبة لدى الأمانة التي تتولى ، بدورها ، إحالتها فوراً إلى فريق التحكيم وإلى الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى في النزاع^(١٤٥) . والمبدأ أن يقوم الطرف الشاكي بتقديم مذكرته الأولى قبل الطرف الآخر المشكو في حقه ، إلا إذا قرر فريق التحكيم عند تحديد الجدول الزمني للقضية ويعد التشاور مع أطراف النزاع على قيامهم بتقديم مذكراتهم الأولى في نفس الوقت^(١٤٦) . وإذا كانت هناك ترتيبات تسلمية لإيداع المذكرات الأولى ، فإن فريق التحكيم يحدد فترة زمنية قاطعة لتسلم مذكرات العضو المشكو في حقه . وتقدم بعدئذ جميع المذكرات المكتوبة في وقت واحد^(١٤٧) .

وإذا فشل طرفا النزاع في التوصل إلى حل مرضٍ لهما ، كان على فريق التحكيم أن يقدم خلاصة نتائجه ونتيجة أعماله في تقرير مكتوب إلى الجهاز . ويجب أن يشمل هذا التقرير - في هذه الحالة -

(١٤٢) المادة ٩/٤ من مذكرة التفاهم .

(١٤٣) المادة ٤/١٢ من مذكرة التفاهم .

(١٤٤) المادة ٥/١٢ من مذكرة التفاهم .

(١٤٥) المادة ٦/١٢ من مذكرة التفاهم .

(١٤٦) المادة ٦/١٢ من مذكرة التفاهم .

(١٤٧) المادة ٦/١٢ من مذكرة التفاهم .

على بيان بالوقائع وبانطباق الأحكام ذات الصلة والمبررات الأساسية لكل نتيجة من النتائج وتوصيات فريق التحكيم . وعند التوصل إلى تسوية للأمر بين أطراف النزاع ، فإن التقرير يقتصر على وصف مختصر للقضية والإعلان عن التوصل إلى تسوية للأمر بين طرفي النزاع^(١٤٨) .

كما حددت مذكرة التفاهم الإجراءات لفريق التحكيم في حالة تعدد الشكاوي بالنسبة لذات الموضوع . إذ أجازت - في الحالات التي يطلب فيها أكثر من عضو تشكيل فريق تحكيم بخصوص أمر واحد- أن يتم تشكيل فريق تحكيم واحد لدراسة جميع هذه الشكاوي مع مراعاة حقوق جميع الأعضاء المعنية^(١٤٩) . ويقوم فريق التحكيم الموحد بتقديم دراسته ويقدم خلاصة أعماله والنتائج إلى الجهاز بشكل يضمن عدم الإخلال بالحقوق التي كان يتمتع بها أطراف النزاع جميعاً فيما لو كانت نزاعاتهم قد حصل نظرها بمعرفة فرق تحكيم عديدة مستقلة ومنفصلة^(١٥٠) . وينبغي إتاحة المذكرات المكتوبة التي يقدمها أي من

(١٤٨) المادة ٧/١٢ من مذكرة التفاهم .

(١٤٩) المادة ١/٩ من مذكرة التفاهم .

(١٥٠) المادة ٢/٩ من مذكرة التفاهم . ومثال ذلك قضية EC - Bananas والتي تضمنت

حسنة أطراف شاكين هم : هندوراس ، جواتيمالا ، المكسيك ، الإكوادور والولايات المتحدة الأمريكية . ولما كان هؤلاء الأطراف الخمسة قد تقدموا بطلب واحد لتشكيل فريق تحكيم ، فقد قام جهاز تسوية المنازعات بتشكيل فريق واحد طبقاً لهذا الطلب . ولقد طلبت EC (المجموعة الأوروبية) طبقاً للمادة ٢/٩ من مذكرة التفاهم - أن يقوم فريق التحكيم بتنظيم بحثه وتقديم استنتاجاته إلى جهاز تسوية المنازعات ، بطريقة أو بشكل يفصح عن أن الحقوق التي كان يمكن أن يتمتع بها EC إما لو تم فحص النزاع بمعرفة أربع فرق تحكيم حتى لا يتم تعطيل حقوقه . ولقد وافق التحكيم على طلب EC وقرر إقامة أربع طلبات منفصلة . ولأن جواتيمالا وهندوراس كانتا قد أقامتا الطلب الأول مشتركين فإن تقريراً واحداً يصدر بخصوص طلبيهما . وعلى الرغم من أن الأطراف الشاكين اعترفوا بحق EC في تقارير منفصلة في ظل المادة التاسعة من مذكرة التفاهم ، فإنهم اختلفوا في اعتبار أن إصدار تقارير منفصلة أمر ضروري لحماية الحقوق التي كان يمكن أن يتمتع بها لو كانت هناك إجراءات منفصلة . كما ادعت EC أنه لما كان الأطراف الشاكين على اختلاف كبير في مواقفهم القانونية ، ولأن الولايات المتحدة لم =

الأطراف الأخرى في الشكوى ، ولكل من الأطراف الحق في الحضور عند تقديم وجهات نظر الأعضاء الشاكين الآخرين أمام الفريق^(١٥١) . وإذا تم تشكيل أكثر من فريق تحكيم للنظر في الشكاوي المتصلة بذات الموضوع ، فإنه ينبغي في هذه الحالات -ويقدر الإمكان- أن يكون نفس الأشخاص أعضاء في كل فرق التحكيم المنفصلة التي تنظر الموضوع في هذه الشكاوي ، وأن تتفق مواعيد جلسات النظر فيها^(١٥٢) .

كما أكدت مذكرة التفاهم على الإجراءات التي يتعين اتباعها للمحافظة على حقوق الغير من الأعضاء الذين لا يعتبرون طرفا في النزاع ، إذ نصت المادة ١٠/١ من مذكرة التفاهم على أن يأخذ فريق التحكيم في اعتباره بطريقة كاملة مصالح طرفي النزاع وبمصلح أي من الأعضاء الآخرين وفق اتفاق مشمول ذي صلة بالنزاع^(١٥٣) ، وإذا توفرت لأي عضو من غير أطراف النزاع مصلحة جوهرية Substantial interest في أي أمر معروض على فريق التحكيم ، فإنه يجب أن يتاح لهذا العضو - إذا ما أخطر الجهاز بمصلحته الجوهرية- فرصة لإبداء ما يراه وأن يتكلم في الموضوع وأن يقدم مذكرات مكتوبة بصدده . كما يتعين إعطاء نسخة من هذه المذكرات إلى أطراف النزاع ،

«تكن لها مصلحة قانونية في الواقع ، فإن الحصول على تقارير منفصلة كان يبدو أمرا ضروريا . ومع ذلك يبدو أن مسألة إصدار تقارير منفصلة حين يتعدد الشاكون بصدد موضوع واحد لا مرور لما لا يؤدي إليه من ضياع الوقت والجهد بسبب إصدار عدة تقارير لنفس تقرير الفريق .
راجع:

Terence P. Stewart and Mara Burr, The WTO Panel Process.....

المقالة المشار إليها ، ص ٧٢٩ وما بعدها .

(١٥١) المادة ٩/٢ من مذكرة التفاهم .

(١٥٢) المادة ٩/٣ من مذكرة التفاهم .

(١٥٣) في نفس المعنى: الدكتور محمد حسام لطفي ، تنفيذ الحماية القانونية المقالة المشار

إليها سابقا ، ص ١٣ .

ويجب على فريق التحكيم أن يشير إليها في تقريره (١٥٤)، كما يتعين أن تتاح لهذا العضو المذكرات المقدمة من أطراف النزاع وذلك في الجلسة الأولى لفريق التحكيم (١٥٥)، كما يجوز لأي عضو من غير أطراف النزاع أن يلجأ إلى الإجراءات العادية لتسوية النزاع وفق مذكرة التفاهم إذا رأى هذا العضو أن أي تغيير ما محل إجراءات في فريق التحكيم من شأنه أن يلغي أو يعطل مصلحة مقررته له بموجب أي من الاتفاقات المشمولة؛ وفي هذه الحالة يتم إحالة النزاع الإضافي إلى فريق التحكيم الأصلي الذي ينظر المنازعة بين الطرفين (١٥٦) .

ويكون لكل فريق تحكيم الحق في طلب الحصول على المعلومات والمشورة الفنية من أي فرد أو هيئة كما يرى ذلك مناسباً، ولكن في هذه الحالة- يجب على الفريق أن يقوم بإعلام الدولة العضو مسبقاً بذلك إذا كان هذا الفرد أو الهيئة التي يرجى الحصول منها على المعلومات أو المشورة ضمن ولاية هذا العضو (١٥٧)، ويجب على الدولة العضو إذا ما أعلمت بذلك الأمر أن تستجيب كلياً وبدون أي إبطاء لهذا الطلب، ولا يجوز إفشاء المعلومات السرية إلا بترخيص رسمي من الشخص أو الهيئة أو سلطات الدولة العضو الذي قدم تلك المعلومات (١٥٨)، ويكون لفريق التحكيم أن يلتزم المعلومات من أي مصدر آخر ذي صلة، وله أيضاً أن يأخذ رأي الخبراء في بعض جوانب الموضوع محل المنازعة المطروح أمامه . كما يكون لفريق التحكيم، في المنازعات المتعلقة

(١٥٤) المادة ٢/١٠ من مذكرة التفاهم .

(١٥٥) المادة ٣/١٠ من مذكرة التفاهم .

(١٥٦) المادة ٤/١٠ من مذكرة التفاهم .

(١٥٧) المادة ١/١٣ من مذكرة التفاهم .

(١٥٨) المادة ١/١٣ من مذكرة التفاهم .

بالأمور العلمية أو الفنية التي يثيرها أحد أطراف النزاع ، أن يطلب تقريراً استشارياً مكتوباً يقدمه مجموعه من الخبراء الاستشاريين وفق القواعد والإجراءات الواردة في الملحق رقم (٤) (١٥٩).

وتكون مداولات فريق التحكيم سرية Confidential (١٦٠) ، كما يضع فريق التحكيم تقريره في ضوء المعلومات والبيانات المقدمة إليه، ودون حضور أطراف النزاع (١٦١) ، ويتم إدراج الآراء التي يعبر عنها أعضاء الفريق في التقرير التحكيمي دون ذكر لأسماء هؤلاء الأعضاء (١٦٢) ،

د. وظيفة واختصاصات فريق التحكيم:

المهمة الأساسية لفريق التحكيم هي مساعدة جهاز تسوية المنازعات على الاضطلاع بمسؤولياته بموجب مذكرة التفاهم والاتفاقات المشمولة بها ، وفي سبيل هذه المهمة ، فإنه يجب على فريق التحكيم أن يضع تقييماً موضوعياً للأمور المطروحة عليه ، بما في ذلك وقائع النزاع ومدى انطباق الاتفاقات المشمولة عليه ، وكذلك التوصل إلى أي نتائج أخرى من شأنها مساعدة للجهاز على تقديم التوصيات أو اقتراح الحلول طبقاً للاتفاقات المشمولة ، وفي جميع الحالات ، ينبغي على فريق التحكيم أن يقوم بالتشاور مع طرفي النزاع وأن يوفر لهما الفرصة

(١٥٩) المادة ٢/١٣ من مذكرة التفاهم.

(١٦٠) المادة ١/١٤ من مذكرة التفاهم. راجع:

Whitney Debevoise, Access to Documents

المقالة السابق الإشارة إليها ، ص ٨٤١.

(١٦١) المادة ٢/١٤ من مذكرة التفاهم.

(١٦٢) المادة ٣/١٤ من مذكرة التفاهم.

الكافية للتوصل إلى حل مرضٍ للطرفين^(١٦٣).

ويكون لفريق التحكيم، ما لم يتفق طرفا النزاع على خلاف ذلك خلال عشرين يوماً من تشكيله، أن يفحص - على ضوء الأحكام ذات الصلة في الاتفاق المشمول الذي يستند إليه طرفا النزاع - الموضوع الذي قُدمه الطرف الشاكي إلى جهاز تسوية النزاع، وأن يتوصل إلى نتائج من شأنها مساعدة الجهاز على تقديم التوصيات أو اقتراح الأحكام المنصوص في الاتفاق المشمول^(١٦٤)، كما يكون على فريق التحكيم أن يناقش الأحكام ذات الصلة في أي اتفاق أو اتفاقات يذكرها طرفا النزاع^(١٦٥)، كما يجوز تفويض رئيس جهاز تسوية المنازعات - عند تشكيل فريق التحكيم - أن يضع الاختصاصات المنوطة بالفريق، وذلك بعد التشاور مع طرفي النزاع، ويتم تعميم الاختصاصات التي توضع بهذه الطريقة على جميع الأعضاء، وإذا تم الاتفاق على اختصاصات أخرى للفريق غير تلك الاختصاصات المعتادة له، كان لأي عضو أن يثير أي مسألة أو اعتراض يتعلق بهذا الخصوص لدى الجهاز^(١٦٦).

هـ - تقرير فريق التحكيم :

كما ذكرنا آنفاً، فإن وظيفة فريق التحكيم هي مساعدة جهاز تسوية المنازعات على القيام بمسؤولياته؛ وعليه، يكفي أن يقدم الفريق

(١٦٣) المادة ١١ من مذكرة التفاهم، راجع كذلك:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions.....

للمقالة المشار إليها، ص ٨٢٤.

(١٦٤) المادة ١/٧ من مذكرة التفاهم.

(١٦٥) المادة ٢/٧ من مذكرة التفاهم.

(١٦٦) المادة ٣/٧ من مذكرة التفاهم.

تقييما موضوعيا للنزاع ووقائعه ومدى انطباق واحد من الاتفاقات المشمولة ، وذلك بعد التشاور مع طرفي النزاع. فإذا تم التوصل إلى تسوية الأمر بين الطرفين، اقتصر التقرير الذي يقدمه الفريق إلى الجهاز على وصف مختصر للنزاع والإعلان عن التوصل إلى الحل^(١٦٧). أما إذا لم يتوصل الفريق إلى تسوية ما مرضية للطرفين ، وجب على الفريق أن يقدم تقريراً مكتوباً للنتائج التي خلص إليها ومبررات هذه النتائج والتوصيات التي يراها مناسبة^(١٦٨) ،

ويضع فريق التحكيم تقريره على مراحل تبدأ بإعداد مسودة بعد النظر في دفاع الطرفين ثم ترسل هذه المسودة إلى طرفي النزاع لإبداء تعليقاتهما خلال فترة معينة يحددها الفريق^(١٦٩)، وعند انتهاء المدة المحددة لتسلم التعليقات من طرفي النزاع يصدر الفريق تقريراً مؤقتاً interim report يقدم للطرفين. ويشتمل هذا التقرير على الأجزاء الوصفية مثل الوقائع والحجج ، كما يشتمل على استنتاجات الفريق والنتائج التي توصل إليها على السواء ويجوز لأي من الأطراف ، ضمن مدة يحددها الفريق ، أن يتقدم بطلب كتابي يلتمس فيه من الفريق إعادة النظر في جوانب معينة من التقرير المؤقت قبل تعميم التقرير النهائي على الأعضاء. وبناء على هذا الطلب ، يعقد الفريق اجتماعاً إضافياً مع الطرفين المتنازعين بشأن المعائل الواردة في الطلب المكتوب. وإذا لم ترد أي تعليقات من أحد الطرفين خلال الفترة المحددة للتعليقات ، يعتبر

(١٦٧) المادة ١١ من مذكرة الضام ، وكذلك المادة ٧/١٢ من ذات المذكرة .

(١٦٨) المادة ٧/١٢ من مذكرة الضام .

(١٦٩) المادة ١/١٥ من مذكرة الضام . راجع أيضاً: الدكتور محمد حسام لطفي ، تنهيد الحماية القانونية ، ، ، ، البحث المشار إليه ، ص ١٧. كذلك:

Trading into the Future, WTO

· المرجع المشار إليه ، ص ٤٠.

التقرير المؤقت بمثابة تقرير نهائي ويتم تعميمه دون إبطاء على الأعضاء^(١٧٠)، وتشمل نتائج التقرير النهائي للفريق Final panel report مناقشة الحجج والأسانيد المقدمة في مرحلة المراجعة المؤقتة وذلك في حدود الفترة الزمنية المحددة في المادة ٨/١٢ من مذكرة التفاهم^(١٧١).

وبعد صدور القرار النهائي من الفريق ، فإنه ينبغي اعتماده من جهاز تسوية المنازعة ، ولا ينظر الجهاز في اعتماد التقرير Adoption of panel report قبل مرور عشرين يوما على تعميمه على الأعضاء وذلك لتوفير الوقت الكافي للأعضاء لدراسة تقرير التحكيم^(١٧٢)، ويكون للأعضاء أن يقدموا ما قد يكون لديهم من اعتراضات على تقرير الفريق مؤيدة بأسباب مكتوبة شارحة ، ويتم تعميم هذه الاعتراضات قبل ما لا يقل عن عشرة أيام من اجتماع الجهاز الذي سينظر خلاله التقرير^(١٧٣)، ويكون لأطراف النزاع الحق في الاشتراك الكامل في الدراسة التي يقوم بها الجهاز لتقرير الفريق ، ويتعين تسجيل وجهات نظر الأطراف المتنازعين بشكل كامل^(١٧٤). ويعتمد الجهاز تقرير الفريق في أحد

(١٧٠) المادة ٢/١٥ من مذكرة التفاهم.

راجع:

Trading into the Future, WTO.....

المرجع السابق ، ص ٤٠. أيضا :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body.....

المقالة المشار إليها ، ص ٨٢٦.

(١٧١) المادة ٣/١٥ من مذكرة التفاهم.

(١٧٢) المادة ١/١٦ من مذكرة التفاهم. راجع:

Whitney Debevoise, Access to Documents.....

المقالة المشار إليها ، ص ٨٢٦.

(١٧٣) المادة ٢/١٦ من مذكرة التفاهم. المقالة السابقة ، ص ٨٢٦.

(١٧٤) المادة ٣/١٦ من مذكرة التفاهم.

اجتماعاته خلال ستين يوما بعد تاريخ تعميم التقرير على الأعضاء ، ما لم يخطر أحد الأطراف الجهاز بقراره تقديم استئناف ، أو إذا قرر الفريق بتوافق الآراء عدم اعتماد التقرير^(١٧٥) ، وإذا أخطر أحد الأطراف الجهاز بقراره تقديم استئناف ، فلا ينظر الجهاز في اعتماد تقرير الفريق إلا بعد البت في الاستئناف ، وفي كل الأحوال ، لا تخل إجراءات اعتماد التقرير بحق أي عضو في التعبير عن آرائه بشأن تقرير فريق التحكيم^(١٧٦) .

و - مدة عمل فريق التحكيم :

وضعت مذكرة التفاهم مواعيد قصيرة ومحددة لإنجاز المهام المنوطة بفريق التحكيم ، وبحيث لا تتجاوز مدة عمل الفريق حدا زمنيا يحسب من تاريخ الاتفاق على تشكيله وتحديد اختصاصاته وحتى إصدار تقريره النهائي ، والقاعدة العامة هي أنه يجب ألا تتجاوز المدة التي يجري فيها الفريق دراسته ، محسوبة من تاريخ الاتفاق على تشكيله وتحديد اختصاصاته إلى تاريخ تقريره النهائي لطرفي النزاع ، فترة ستة أشهر ؛ ما عدا الحالات المستعجلة بما فيها تلك الحالات المتعلقة بالسلع سريعة التلف فتكون الفترة هي ثلاثة أشهر على الأكثر^(١٧٧) ، والحقيقة إن تقصير مدة عمل الفريق على هذا النحو يستهدف بالدرجة الأولى زيادة كفاءة الإجراءات^(١٧٨) .

(١٧٥) المادة ٤/١٦ من مذكرة التفاهم ، راجع :

Trading into the Future, WTO

الرجوع للمشار إليه سابقا ، ص ٤٠ .

(١٧٦) المادة ٤/١٦ من مذكرة التفاهم ،

(١٧٧) المادة ٨/١٢ من مذكرة التفاهم ، راجع :

Trading into the Future, WTO

الرجوع للمشار إليه سابقا ، ص ٤١ .

(١٧٨) راجع بيان للمنازعات التي تم تقديم التقارير فيها خلال المواعيد المنصوص عليها :

أما إذا رأى فريق التحكيم أنه لا يستطيع إصدار تقريره خلال ستة أشهر أو خلال ثلاثة أشهر في حالات الاستعجال ، وجب عليه إعلام جهاز تسوية المنازعات كتابة بأسباب التأخير ، كما وجب عليه تقدير المدة المطلوبة لإصدار التقرير . وفي كل الأحوال ، لا يجوز أن يتجاوز الحد الزمني الأقصى بين إنشاء فريق التحكيم وتعميم التقرير على الأعضاء فترة تسعة أشهر^(١٧٩) .

ومع ذلك يجوز لفريق التحكيم - بناء على طلب الطرف الشاكي - أن يعلق عمله في أي وقت لمدة لا تزيد عن اثني عشر شهر وفي هذه الحالة تمدد الفترات المحددة أصلاً لتعميم التقرير وبما يعادل فترة التعليق . وعلى أي الأحوال ، تنتضي سلطة فريق التحكيم إذا تجاوزت الفترة التي يتم فيها تعليق عمله عن اثني عشر شهر^(١٨٠) .

**Terence P. Stewart and Mara M. Burr, The WTO Panel Process: -
An Evaluation of the First Three Years**

المقالة المشار إليها ، ص ٧١٩ وما بعدها ،

(١٧٩) للمادة ٩/١٢ من مذكرة التفاهم . ومع ملاحظة أن المادة ١٠/١٢ من المذكرة تنص على أنه "يجوز في سياق المشاورات المتعلقة بإجراء متخذ من عضو من البلدان النامية ، أن يتفق الطرفان على تمديد الفترات المحددة في الفقرات ٧ و ٨ من المادة ٤ وإذا لم يتمكن الطرفان المشاوران ، بنهاية الفترة المعينة ، من الاتفاق على انتهاء المفاوضات قام رئيس الجهاز بالبت ، بعد التشاور مع الطرفين ، في تمديد الفترة أو عدم تمديدتها وفي حالة التمديد ، يحدد هو المسددة . وعند النظر في شكوى ضد عضو من البلدان النامية ، يوفر العضو ، إضافة إلى هذا ، الوقت الكافي للعضو من البلدان النامية لإعداد دفاعه وتقديمه ، ولا يتأثر أحكام الفقرة ١ من المادة ٢٠ والفقرة ٤ من المادة ٢١ بأي إجراء عملا بهذه الفقرة" . كما تنص المادة ١١/١٢ على أنه "عندما يكون أحد أطراف النزاع أو أكثر عضوا من البلدان النامية ، يشير تقرير الفريق صراحة إلى الشكل الذي جرت فيه مراعاة الأحكام ذات الصلة بالمعاملة التفاضلية والأكثف رعاية للأعضاء من البلدان النامية التي تشكل جزءا من الاتفاقات المشمولة التي آثارها العضو من البلدان النامية خلال إجراءات تسوية النزاع" .

(١٨٠) للمادة ١٢/١٢ من مذكرة التفاهم . راجع :

**Richard Bernal, Debra P. Stiger, and Andrew L. Stoler, Key
Procedural Issues: Resources - Comments, Volume 32 No. 3
The International Lawyer pp. 871 - 881 (1998).** =

أ - تكوين هيئة الاستئناف الدائمة :

بموجب نص المادة ١٧/١ من مذكرة التفاهم أنشأ جهاز تسوية

المنازعات هيئة دائمة للاستئناف A permanent Appellate Body

والمهمة الأساسية لهيئة الاستئناف هي النظر في القرارات المستأنفة من فرق التحكيم^(١٨١)، ويقتصر اختصاص هيئة الاستئناف على النظر في المسائل القانونية الواردة في تقرير الفريق وعلى التفسيرات القانونية التي توصل إليها، ويكون لهيئة الاستئناف أن تقو أو تعدل أو تنقض (تلغي) قرار فريق التحكيم أو النتائج التي توصل إليها^(١٨٢)، ويتعين أن تذكر في قرار هيئة الاستئناف جميع الآراء التي تم ذكرها أو عبر عنها أعضاء هذه الهيئة ولكن دون ذكر الأسماء^(١٨٣).

= وصلة خاصة في ص ٨٧٥. أيضا :

Trading into the Future, WTO

المراجع المشار إليه ، ص ٤٠.

(١٨١) راجع :

Andrew W. Shoyer and Heather G. Forton, Performance of the System II: Panel Adjudication – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 737 – (1998).

وصلة خاصة في ص ٧٣٩. ويذهب البعض أن إتاحة الاستئناف في إطار اتفاقية منظمة التجارة العالمية من شأنه الإبطاء في التوصل إلى قرار نهائي لتسوية المنازعات ؛ راجع :

Serge Frechette, C. Michael Hathway and Victor Do Prado, Performance of the System III: Appellate Body – Comments, Volume 38 No. 3 The International Lawyer pp. 747 – 753 (1998).

وصلة خاصة في ص ٧٥٠.

(١٨٢) المادة ١٧/٦ من مذكرة التفاهم. راجع :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions

المقالة المشار إليها ، ص ٨٢٨.

(١٨٣) المادة ١٧/١١ من مذكرة التفاهم، ومن المنازعات الحديثة التي أثيرت فيها مسائل متعلقة=

وتتكون هيئة الاستئناف من سبعة أشخاص يخصص ثلاثة منهم لكل قضية من القضايا ويعمل أعضاء هيئة الاستئناف بالتناوب طبقا لما تحدده إجراءات العمل بهذه الهيئة. كما يعين جهاز تسوية المنازعات أعضاء هيئة الاستئناف لفترة أربع سنوات ، كما يجوز إعادة تعيين أي منهم لفترة أخرى لمرة واحدة. ومع ذلك فإن مدة خدمة ثلاثة من الأشخاص السبعة الذين يعينون فور نفاذ اتفاق منظمة التجارة العالمية تنتهي بمرور عامين على تعيينهم ويختار هؤلاء بالقرعة وعلى أن يتم شغل العضو المعين للمدة المتبقية من مدة سلفه (١٨٤).

ويشترط في من يعين في هيئة الاستئناف أن يكون من الأشخاص المشهود لهم بالمكانة الرفيعة والخبرة الراسخة في مجال القانون والتجارة الدولية وموضوع الاتفاقات المشمولة بصفة عامة. كما يجب ألا يكون

سواء القانون أمام هيئة الاستئناف تلك المنازعة بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية حول مدة حماية براءات الاختراع **Term of patent protection** ، ففي هذه المنازعة تعلق الأمر بتفسير بعض مواد قانون البراءات الكندي ومدى توافقها مع نص المادة ٣٣ والمادة ٧٠ من اتفاقية تريس. فقد كان فريق التحكيم قرر أن مدة براءة الاختراع المنصوص عليها في القانون الكندي مخالفة ومتعارضة مع التزامات كندا طبقا للمادتين ٣٣ و ٧٠ من الاتفاقية تريس. والمسألة محل النزاع هي ما نصت عليه المادة ٤٥ من القانون الكندي والذي يمنح البراءات قبل ١٩٨٩/١٠/١ مدة حماية سبعة عشر عاما من تاريخ الحصول على البراءة ، أما البراءات التي يتم الحصول عليها بعد هذا التاريخ فتمتع بحماية مدتها عشرين عاما من وقت التقدم بطلب البراءة. وبذلك أقام القانون الكندي تفرقة بغير سند بين طائفتين من براءات الاختراع من حيث مدة الحماية. ولقد أيدت هيئة الاستئناف قرار فريق التحكيم من أن المادة ٤٥ من قانون براءات الاختراع الكندي غير متوافقة مع التزامات كندا طبقا للاتفاقية تريس ووجوب تعديلها. راجع قرار هيئة الاستئناف في هذه المنازعة:

Canada- Term of patent protection, AB- 2000-7: WT/DS/70/AB/R
18 September 2000.

منشور في:

Volume 12 No. 6 World Trade and Arbitration Materials pp. 5-30
(November 2000).

(١٨٤) الفقرتان ١ ، ٢ من المادة ١٧ من مذكرة الطاعن.

الشخص المعين تابعاً لأية حكومة من الحكومات^(١٨٥)، وفي نفس الوقت يجب أن تعكس عضوية هيئة الاستئناف إلى حد كبير عضوية منظمة التجارة العالمية في اتساع تمثيلها، وينبغي على جميع الأشخاص الذي يشغلون عضوية الهيئة الاستئنافية أن يكونوا جاهزين للعمل في كل وقت بناء على إخطار مستعجل، وأن يتابعوا أنشطة تسوية المنازعات وغيرها من أنشطة منظمة التجارة العالمية ذات الصلة، وألا يشاركوا في نظر أية منازعة يمكن أن تخلق تضارباً مباشراً أو غير مباشر في المصالح^(١٨٦).

ب - إجراءات الاستئناف :

لا يجوز قبول الاستئناف إلا من أحد أطراف النزاع، أما الأعضاء من غير أطراف النزاع (الغير) Third Parties والذين أخطروا جهاز تسوية المنازعات بمصلحتهم الجوهرية في الموضوع استناداً إلى المادة ١٠/٢ من مذكرة التفاهم فلا يكون لهم إلا تقديم مذكرات كتابية إلى هيئة الاستئناف أو أن يمنحوا فرصة التحدث أمامها^(١٨٧).

و ضماناً لفعالية إجراءات الاستئناف وضعت مذكرة التفاهم حداً أقصى للمدة التي لا يجوز أن تتجاوزها فترة الاستئناف وهي ستون يوماً، كقاعدة عامة، تبدأ من تاريخ تقديم أحد أطراف النزاع الإخطار

(١٨٥) المادة ٣/١٧ من مذكرة التفاهم.

(١٨٦) المادة ٣/١٧ من مذكرة التفاهم. راجع :

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body

المقالة المشار إليها، ص ٨٢٨.

(١٨٧) المادة ٤/١٧ من مذكرة التفاهم.

بقراره الاستئناف حتى التاريخ الذي تعمم فيه هيئة الاستئناف تقريرها .
وإذا قرر جهاز الاستئناف أنه لن يتمكن من تقديم تقريره في خلال مدة
الستين يوماً المذكورة ، كان عليه إعلام جهاز تسوية المنازعات كتابية
بالأسباب التي دعت إلى التأخير مع تقدير الفترة الإضافية المطلوبة لتقديم
التقرير ؛ ولكن يتعين ألا يزيد إجمالي المدة عن تسعين يوماً وذلك في
جميع الأحوال (١٨٨) .

وتضع هيئة الاستئناف إجراءات العمل بها بالتشاور مع رئيس
جهاز تسوية المنازعات والمدير العام وترسل إلى الأعضاء للعلم
بها (١٨٩) . ويتميز إجراءات العمل في الهيئة بالسرية ، وتقدم تقاريرها في
ضوء المعلومات والبيانات المقدمة ودون حضور أطراف النزاع (١٩٠) .
ولا يجوز إجراء أي اتصالات من طرف واحد مع هيئة الاستئناف
بخصوص الأمور التي تنظرها ، على أن المذكرات المكتوبة المقدمة إلى
هيئة الاستئناف ، وإن كانت تعامل بسرية بالنسبة لغير أطراف النزاع ،
إلا أنه يجب أن تتاح لطرفي النزاع فرصة الإطلاع عليها ، ومع ذلك
يجوز لأي من طرفي النزاع أن يكشف عن مواقفه للجمهور ، وينبغي
على الأعضاء أن تعامل على سبيل السرية المعلومات التي يقدمها عضو
آخر إلى هيئة الاستئناف ، ويرى هذا العضو أنها سرية ، وعلى أي
طرف من أطراف النزاع أن يقدم بناء على طلب عضو ، ملخصاً غير
سري للمعلومات الواردة في دفاعه المكتوب والتي لا يمكن كشفها

(١٨٨) المادة ٥/١٧ من مذكرة التفاهم . راجع كذلك :

Trading into the Future, WTO

المرجع المشار إليه ، ص ٤٠ .

(١٨٩) المادة ٩/١٧ من مذكرة التفاهم .

(١٩٠) المادة ١٠/١٧ من مذكرة التفاهم .

ج = توصيات هيئة الاستئناف :

إذا وجدت هيئة الاستئناف أن هناك إجراء ما يتعارض مع أحد الاتفاقات المشمولة، فإنها توصي بأن يقوم العضو المعني بتعديل هذا الإجراء بما يتوافق مع الاتفاق الحالي ، كما يجوز لهيئة الاستئناف أن تقترح إلى جانب ذلك السبل التي يستطيع من خلالها العضو المعني تنفيذ تلك التوصيات. ومع ذلك ، فلا يجوز لهيئة الاستئناف وهي تستخلص استنتاجاتها أو تضع توصياتها أن تضيف إلى الحقوق والالتزامات المنصوص عليها في الاتفاقات المشمولة ولا أن تنتقص منها^(١٩٢).

ويقوم جهاز تسوية المنازعات باعتماد تقارير هيئة الاستئناف والتي يتعين أن تقبلها أطراف النزاع دون شروط ، ما لم يقرر هذا الجهاز بتوافق الآراء Consensus of Opinions عدم اعتماد تقرير ما لهيئة الاستئناف وذلك في خلال ثلاثين يوماً بعد تعميمه على الأعضاء. ولا تخل إجراءات الاعتماد بحق الأعضاء في التعبير عن آرائها حول أي تقرير لهيئة الاستئناف^(١٩٣).

(١٩١) الفقرتان ١ و ٢ من المادة ١٨ من مذكرة التفاهم. راجع :

Whitney Debevoise, Access to Documents

المقالة المشار إليها ، ص ٨٢٨ - ٨٢٩.

(١٩٢) المادة ١٩ من مذكرة التفاهم.

(١٩٣) المادة ١٧/١٤ من مذكرة التفاهم. راجع :

Whitney Debevoise, Access to Documents

المقالة السابقة ، ص ٨٢٩. وتحدد مذكرة التفاهم الإطار الزمني لقرارات جهاز تسوية المنازعات، إذ تنص المادة ٢٠ من هذه المذكرة على أن "الفترة الممتدة من إنشاء الفريق بواسطة جهاز تسوية المنازعات وحتى نظر هذا الجهاز في تقرير الفريق أو الاستئناف من أجل اعتماده هي، كقاعدة عامة، تسعة أشهر على الأكثر في حال عدم استئناف تقرير الفريق والتي عشر =

= شهراً في حالة استئناف التقرير ، ما لم يتفق أطراف النزاع على عكس ذلك ، وفي حالات تمديد الفترة المخصصة لتقديم التقرير من جانب الفريق أو جهاز الاستئناف عملاً بالفقرة ٩ من المادة ١٢ أو الفقرة ٥ من المادة ١٧ ، فإن مدة التمديد تضاف إلى الفترات المذكورة آنفاً ،

المطلب الثالث

تنفيذ التوصيات والقرارات

أولاً - مراقبة تنفيذ التوصيات والقرارات :

تنص المادة ٢١/٦ من مذكرة التفاهم على أن يراقب جهاز تسوية المنازعات تنفيذ التوصيات والقرارات الصادرة منه ، وذلك على أساس أن الامتثال الفوري لهذه التوصيات Recommendations والقرارات Rulings أساسي لضمان الحلول الفعالة للمنازعات من أجل مصلحة جميع الأعضاء^(١٩٤)، ويكون لأي عضو أن يثير في جهاز تسوية المنازعات مسألة تنفيذ التوصيات والقرارات متى شاء بعد اعتمادها ، وتدرج مسألة تنفيذ التوصيات والقرارات على جدول أعمال جهاز تسوية المنازعات بعد ستة أشهر من تاريخ تحديد الفترة الزمنية المعقولة للتنفيذ وفق أحكام المادة ٢١/٣ من مذكرة التفاهم ، وتظل هذه المسألة على جدول أعمال الجهاز إلى أن يتم حلها ، ما لم يقرر جهاز تسوية المنازعات خلاف ذلك^(١٩٥)، وعلى الدولة العضو المعنية أن تقوم بتزويد

(١٩٤) في معنى قريب :

Timothy M. Reif and Marjerie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process under the WTO Dispute Settlement Understanding*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp 755 – 787 (1998).

ورصلة خاصة في ص ٧٥٧.

(١٩٥) المقالة السابقة ، ص ٧٥٨ . كذلك:

Whitney Debevoise, *Access to Documents*

المقالة المشار إليها ، ص ٨٣٠. ويلاحظ أنه لا توجد حتى الآن أية حالة ادعت فيها دولة عضو في منظمة التجارة العالمية بأن من حقها الإبقاء على الإجراء المخالف للاتفاقية والتي قرر الجهاز ذلك بشأنها ، وإن كانت هناك حالات بشأن التفاوض لإحلال إجراء محل إجراء آخر ، أنظر:

Frieder Rossier, Angela Ellard, and Richard Elliot, *Performance of the System IV: Implementation-Comments*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp 789-793 (1998).

جهاز تسوية المنازعات بتقرير كتابي عن الموقف الحالي ، وتعرض فيه للتقدم الذي أحرزته لتنفيذ هذه التوصيات والقرارات ، وذلك قبل عشرة أيام على الأقل من اجتماع الجهاز^(١٩٦).

وقد حرصت مذكرة التفاهم على تأكيد التنفيذ الفوري Prompt Compliance لقرارات جهاز تسوية المنازعات وذلك من عدة نواحي: فمن ناحية أولى ، ينبغي على الدولة العضو المعنية أن تقوم بإعلام هذا الجهاز ، في الاجتماع الذي يعقده في غضون ثلاثين يوماً بعد تاريخ اعتماد تقرير الفريق أو هيئة الاستئناف ، بنواياها فيما يتصل بتنفيذ توصيات وقرارات الجهاز^(١٩٧)، ومن ناحية ثانية ، إذا تعذر على الدولة

(١٩٦) المادة ٦/٢١ من مذكرة التفاهم. كذلك راجع:

Whitney Debevoise, Access to Documents

المقالة السابقة ، ص ٨٣٠ ، أيضاً :

Timothy M. Rief and Marjorie Florestal, Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process.....

المقالة المشار إليها ، ص ٧٥٩.

(١٩٧) المادة ٣/٢١ من مذكرة التفاهم. راجع في شرح هذه الفقرة من المادة المذكورة:

Timothy M. Rief and Marjorie Florestal, Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process Under the WTO.....

المقالة المشار إليها ، ص ٧٥٨. وفي نزاع الياباني Japan-Liquor dispute ادعت

الأطراف الشاكين أن الحكومة اليابالية لم تتمثل إلى تنفيذ التوصيات والقرارات الصادرة من جهاز تسوية المنازعات ، وفي العشرين من نوفمبر ١٩٩٦ قامت اليابان بإعلام الجهاز بنواياها في التنفيذ ، واقترحت أن يتم التنفيذ خلال الفترة الزمنية المعقولة ولكن لم تحدد الوقت المحدد اللازم لذلك ، ولم تحصل الأطراف المقدمة بالشكوى إلى اتفاق مع اليابان حول مفهوم الفترة المعقولة reasonable time . فطلبت الولايات المتحدة الأمريكية أن يتم تقرير المسألة بالتحكيم الملزم تطبيقاً للمادة ٣/٢١ (ج) من مذكرة التفاهم ، وقرر المحكم أنه لا توجد حاجة ملحة للخروج عن القاعدة التي تقرر القيام بالتنفيذ في خلال خمسة عشر شهراً النصص عليها في مذكرة التفاهم. راجع :

Japan - Taxes on Alcoholic Beverages, Arbitration under Article 21 (3) (C) of the Understanding on Rules and procedures Governing the Settlement of Disputes, WT / DSB/ 15, WT/ DS10/ WT/ DS11/13 (Feb, 14, 1997).

كما هو مذكور ومشار إليه في:

Terence P. Stewart and Mara M. Burr, The WTO Panel Process ..=

المعنية الالتزام بالتنفيذ الفوري ، فقد أُنشأت مذكرة التفاهم فترات أخرى كما يلي: (أ) للفترة التي تلتزمها الدولة المعنية بشرط أن يقرها الجهاز، أو (ب) في حالة عدم إقرار الجهاز للفترة المقترحة من العضو المعني ، فتكون الفترة التي يتفق فيها طرفا النزاع خلال خمسة وأربعين يوماً من تاريخ اعتماد التوصيات أو القرارات ، أو (ج) فإذا لم يتم الاتفاق على الفترة بين طرفي النزاع فتكون الفترة التي يتم تحديدها بواسطة التحكيم الملزم خلال تسعين يوماً من تاريخ اعتماد التوصيات والقرارات ، وإذا لم يتفق الطرفان على محكم خلال عشرة أيام بعد الإحالة إلى التحكيم ، كان على المدير العام القيام بتعيينه خلال عشرة أيام بعد التشاور مع الطرفين (١٩٨) .

وينبغي في التحكيم أن يلتزم المحكم أو هيئة التحكيم بضرورة عدم تجاوز الفترة الزمنية المعقولة لتنفيذ توصيات فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف بعد أقصى خمسة عشر شهراً من تاريخ اعتماد تقرير الفريق أو هيئة الاستئناف ، ومع ذلك يجوز تقصير هذه الفترة أو إطالتها حسب الظروف (١٩٩) .

وعلى أي الأحوال ، لا يجوز أن تتجاوز المدة من تاريخ إنشاء فريق التحكيم بواسطة جهاز تسوية المنازعات وحتى تساريخ الفترة الزمنية المعقولة خمسة عشر شهراً ما لم يتفق طرفا النزاع على خلاف

= المقالة المشار إليها ، ص ٧٣٤ .

(١٩٨) المادة ٣/٢١ من مذكرة التفاهم . في شرح ذلك ، راجع:

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process Under the WTO Dispute Settlement Understanding*

المقالة المشار إليها ، ص ٧٥٨ .

(١٩٩) ومثال ذلك: الرابع في قضية الجزائرين للشار إليه في هامش (٢٠٧) من هذا البحث .

ذلك ، أو إذا تم تمديد هذه الفترة عن طريق فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف سواء كان ذلك طبقاً للمادة ٩/١٢ أو المادة ٥/١٧ من مذكرة التفاهم . وفي حال تمديد فترة تقديم التقرير من فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف ، تضاف فترة التمديد إلى فترة الخمسة عشر شهراً وبشرط ألا يتجاوز مجموع المدة ثمانية عشر شهراً إلا في الحالات التي يتفق فيها طرفا النزاع على وجود حالات أو ظروف استثنائية^(٢٠٠) .

أما إذا حصل خلاف بشأن وجود إجراءات متخذة امتثالاً مع التوصيات والقرارات أو على توافقها مع اتفاق مشمول ، فإن النزاع يحل باللجوء إلى الإجراءات المنصوص عليها لتسوية المنازعات ، بما في ذلك ، كلما أمكن ، اللجوء إلى فريق التحكيم الأصلي والذي يتعين عليه تعميم تقريره في خلال تسعين يوماً من تاريخ الإحالة إليه . وإذا قرر فريق التحكيم أنه لا يمكنه تقديم التقرير خلال هذه المدة ، تعين عليه إعلام جهاز تسوية المنازعات كتابة بالأسباب التي دعت به إلى التأخير مع تقدير الفترة اللازمة لتقديم التقرير^(٢٠١) .

وبالنسبة للدول النامية ، فقد نصت مذكرة التفاهم صراحة على أهمية إعطاء اهتمام خاص للأمور المتعلقة بمصالح هذه الدول الأعضاء فيما يخص التدابير التي كانت محللاً لتسوية النزاع^(٢٠٢) . كما يجب على جهاز تسوية المنازعات ، إذا كانت إحدى الدول النامية هي التي أثار

(٢٠٠) المادة ٤/٢١ من مذكرة التفاهم .

(٢٠١) المادة ٥/٢١ من مذكرة التفاهم ، وفي شرح هذه الفقرة من المادة المذكورة ، راجع :

Timothy M. Rief and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You*

المقالة المشار إليها ، ص ٧٥٩ .

(٢٠٢) المادة ٢/٢١ من مذكرة التفاهم .

الموضوع ، أن ينظر فيما يمكنه اتخاذه من إجراءات إضافية تتناسب مع الظروف^(٢٠٣)، كما يجب على جهاز تسوية المنازعات ، في الحالات التي يكون فيها رافع القضية دولة نامية عضو ، لدى النظر فيما يمكن اتخاذه من إجراءات مناسبة ، أن يأخذ في الاعتبار إلى جانب المشمول التجاري Trade Coverage للإجراءات موضوع الشكوى آثارها على اقتصاد الأعضاء من الدول النامية أيضاً^(٢٠٤).

ثانياً - سحب الإجراءات المخالفة:

الأصل في نظام تسوية المنازعات - في ظل منظمة التجارة العالمية - ضرورة قيام الطرف الخاسر بسحب الإجراءات أو التدابير المتعارضة مع مبادئ وقواعد الجات أو ما يطلق عليه: Withdrawal of WTO inconsistent measures ويؤكد الحرص على سحب الإجراءات المخالفة أهمية وضرورة توافق الإجراءات المتخذة مع قواعد النظام التجاري العالمي الجديد ، وأن الفكرة الجوهرية هي الالتزام الكامل بقواعد هذا النظام ، ولا يتم اللجوء إلى التعويض - كبديل عن سحب الإجراءات المخالفة - إلا بعد فشل الالتزام بإنفاذ التوصيات المعتمدة من جهاز تسوية المنازعات . وبعبارة أخرى ، فإن نظام تسوية المنازعات ليس عقابياً في ذاته ، وإنما يستهدف بالدرجة الأولى التزام الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية بسحب الإجراءات المخالفة^(٢٠٥).

(٢٠٣) المادة ٧/٢١ من مذكرة التفاهم .

(٢٠٤) المادة ٨/٢١ من مذكرة التفاهم .

(٢٠٥) راجع :

Edwini Kessie, Enhancing Security and Predictability for Private Business Operators under the Dispute Settlement System of the WTO, Volume 34 No. 6 Journal of World Trade, pp. 1-17 (December 2000).

ورسلة خاصة في ص ٤ وما بعدها .

وإذا كانت مذكرة التفاهم DSU أجازت - في أحوال معينة - تأخير سحب الإجراء المخالف ، فما ذلك إلا بغرض إعطاء مرونة في التنفيذ^(٢٠٦) . ويكون للدولة المشكو في حقها سحب الإجراء المخالف وإنفاذ التوصيات المعتمدة من الجهاز خلال خمسة عشر شهراً ، ومثال ذلك النزاع الذي وقع بين الولايات المتحدة الأمريكية وكل من فنزويلا والبرازيل والمعروف بقضية الجازولين *The Gasoline Case* ^(٢٠٧)، إذ أصدر فريق التحكيم في ١٧ يناير عام ١٩٩٦ قراراً - بناء على الشكوى المقدمة من كل من فنزويلا والبرازيل ضد الولايات المتحدة - بأن اللوائح ، الصادرة في ديسمبر ١٩٩٣ لإنفاذ قانون الهواء النقي لعام ١٩٩٠، *Clean Air Act*، غير متوافقة مع مبادئ وقواعد اتفاقيات الجات ، وكانت لوائح هيئة البيئة الأمريكية تستهدف الحفاظ على معدلات منخفضة للتلوث البيئي الناشئ عن عادم استهلاك الجازولين ، إذ اشترطت قيام شركات تكرير البترول الوطنية وضع معدل أساسي كحد أدنى لنوعية الجازولين في معاملها . ومن أجل احتساب هذا المعدل ، أجازت اللوائح الأمريكية للمنتجين المحليين اختيار وتطبيق واحد من ثلاث طرق متاحة ؛ وذلك على عكس الحال بالنسبة لمستوردي

(٢٠٦) المقالة السابقة ، ص ٤

(٢٠٧) انظر قرار فريق التحكيم :

United States – Standards for Reformulated and Conventional Gasoline – Report of the Panel, WT/DS 2/R (January 29, 1996).

رأي التعليق على هذا الحكم ، راجع :

Timothy M. Reif, Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process under the WTO Dispute Settlement Understanding

المقالة المشار إليها ، ص ٧٦٥ وما بعدها . كذلك راجع :

Gabrielle Marceau, A Call for Coherence in International Law: Praises for the Prohibition Against "Clinical Isolation" in WTO Dispute Settlement, Volume 33 No. 5 Journal of World Trade, pp. 87-151 (October 1999).

وبصفة خاصة في ص ٩٥ وما بعدها .

الجازولين الذين أتاحت لهم تلك اللوائح طريقة من طريقتين فقط
لاحتساب معدل عادم الجازولين . وبذلك أقامت اللوائح تفرقة في
المعاملة بين الشركات الوطنية والشركات الأجنبية أو بين الجازولين
المنتج محليا وذلك المستورد من كل من البرازيل وفنزويلا . وقد أيدت
هيئة الاستئناف قرار فريق التحكيم في ٢٠ مايو ١٩٩٦ (٢٠٨) . وأعلنت

(٢٠٨) أنظر تقرير الاستئناف الصادر في قضية الجازولين:

Appellate Body Report on United States – Standards for Reformulated and Conventional Gasoline, 20 May, 1996 WT/DS2

في ص ١٨ ، ص ٢٢ ، ص ١٦ ، ص ٢٥ على التوالي ،

"The relationship between the affirmative commitments set out in, e.g., Articles I, III and XI, and the policies and interests embodied in the "General Exceptions" listed in Article XX, can be given meaning within the framework of the General Agreement and its object and purpose by a treaty interpreter only on a case-to-case basis, by careful scrutiny of the factual and legal context in a given dispute, without disregarding the words actually used by the WTO Members themselves to express their intent and purpose."

"The chapeau by its express terms addresses, not so much the questioned measure or its specific contents as such, but rather the manner in which that measure is applied. It is, accordingly, important to underscore that the purpose and object of the Introductory clauses of Article XX is generally the prevention of 'abuse of the exceptions' of [what was later to become] Article [XX]. This insight drawn from the drafting history of Article XX is a valuable one. The chapeau is animated by the principle that while the exceptions of Article XX may be invoked as a matter of legal right, they should not be so applied as to frustrate or defeat the legal obligations of the holder of the right under the substantive rules of the General Agreement. If those exceptions are not to be abused or misused, in other words, the measures falling within the particular exceptions must be applied reasonably, with due regard both to the legal duties of the party claiming the exception and the legal rights of the other parties concerned."

"The initial issue we are asked to look at relates to the proper meaning of the term 'measures' as used both in the chapeau of Article XX and in Article XX(g). The question is whether 'measures' refers to the entire Gasoline Rule or, alternatively, only to the particular provisions of the Gasoline Rule which deal with the establishment of baselines for domestic refiners, blenders and importers.... The Panel here was following the practice of earlier Panels in applying Article XX to provisions found to be inconsistent with Article III:4: the 'measures' to be analyzed under Article XX are the same provisions infringing Article III:4."

One problem with the reasoning in that paragraph is that the=

الولايات المتحدة عزمها على الانصياع لحكم هيئة الاستئناف ، ولكن لم تحدد كيفية ذلك ، على الرغم من معارضة الكونجرس الأمريكي لهذا الحكم وحته هيئة البيئة الأمريكية على عدم تنفيذه . وقررت الحكومة الأمريكية في ١٩ يونيو ١٩٩٦ ، أي خلال فترة الثلاثين يوماً المنصوص عليها في المادة ٣/٢١ من مذكرة التفاهم ، عزمها على إنفاذ الحكم والتوصل إلى الكيفية التي يتم بها ذلك بسحب الإجراءات المخالفة ودون الانتقاص - في نفس الوقت - من معايير حماية البيئة الأمريكية والصحة العامة (٢٠٩) . وبناء على ذلك ، بدأت هيئة البيئة الأمريكية ولمدة تسعين يوماً في استقبال اقتراحات كل من المنتجين المحليين واقتراحات مراكز الصناعة في كل من البرازيل وفنزويلا باعتبارهما الدولتين الشاكيتين . وكانت أغلبية الاقتراحات المقدمة تتجه إلى إخضاع موردي الجازولين من الأجانب إلى نفس الشروط البيئية التي يخضع لها

Panel asked itself whether the 'less favorable treatment' of imported gasoline was 'primarily aimed at' the conservation of natural resources, rather than whether the 'measure', i.e. the baseline establishment rules, were 'primarily aimed at' conservation of clean air. In our view, the Panel here was in error in referring to its legal conclusion on Article III:4 instead of the measure in issue. The result of this analysis is to turn Article XX on its head... The chapeau of Article XX makes it clear that it is the 'measures' which are to be examined under Article XX(g), and not the legal finding of 'less favorable treatment'."

"There was more than one alternative course of action available to the United States in promulgating regulations implementing the CAA. These included the imposition of statutory baselines without differentiation as between domestic and imported gasoline. This approach, if properly implemented, could have avoided any discrimination at all. Among the other options open to the United States was to make available individual baselines to foreign refiners as well as domestic refiners...."

(٢٠٩) راجع :

Timothy M. Rief and Majorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You*

للمقالة المشار إليها ، ص ٧٦٧.

المنتجون المحليون ، وإن اقترح البعض من الأمريكيين ضرورة وضع بعض القيود على حجم الاستيراد (٢١٠) .

وتوصلت الولايات المتحدة في أغسطس عام ١٩٩٦ إلى اتفاق مع فنزويلا لإنفاذ الحكم خلال خمسة عشر شهراً ، ولكن لم يتم التوصل إلى اتفاق مماثل مع البرازيل التي أصرت على ضرورة الإنفاذ خلال ثمانية أشهر أو تسعة أشهر على الأكثر . وكان رفض الولايات المتحدة لطلب البرازيل مؤسس على حجة جوهرية مبناه أن القيام بتعديل التشريعات واللوائح والمعايير اللازمة يقتضي توفر مدة أكبر من ذلك (٢١١) . وفي يناير ١٩٩٧ ، أصدرت هيئة البيئة الأمريكية اقتراحها الذي يقتضي بخضوع كل من المنتجين المحليين والموردين الأجانب لنفس المعدلات ونفس المعايير مع الحرص على قيام موردي الجازولين في كل من فنزويلا والبرازيل بتقديم معلومات عن أسلوب وطريقة الشحن وكذلك تقديم بيانات اختبارية موثقة عن مصدر الجازولين أي مصدر استخراجها . وقامت هيئة البيئة الأمريكية بوضع اللائحة النهائية لهذا الاقتراح في ٢٧ أغسطس ١٩٩٧ أي قبل انتهاء مدة الخمسة عشر شهراً المحددة للإنفاذ بيوم واحد ، وقد عبرت كل من فنزويلا والبرازيل عن رضائهما بهذا الحل (٢١٢) .

وتعتبر قضية الجازولين أول اختبار حقيقي لقياس الالتزام بتنفيذ نصوص مذكرة التفاهم وسحب الإجراءات المخالفة ، إذ تم هذا التنفيذ في خلال المدة المنصوص عليها في المادة ٣/٢١ (ج) من مذكرة التفاهم

(٢١٠) المقالة السابقة ، ص ٧٦٧ .

(٢١١) المقالة السابقة ، ص ٧٦٧ وما بعدها .

(٢١٢) المقالة السابقة ، ص ٧٦٨ .

وخاصة أن ظروف التنفيذ في هذه القضية لم تكن تسمح بتمكين الطوف الخاسر من سحب الإجراءات المخالفة في مدة أقل ، لما يقتضيه ذلك من تعديل لوائح هيئة البيئة الأمريكية الأمر الذي يعتبر في غاية الحساسية والتعقيد لظروف المجتمع الأمريكي^(٢١٣).

كما تؤكد ضرورة الالتزام بسحب الإجراءات المخالفة في منازعات أخرى هامة منها على سبيل المثال النزاع بين السوق الأوروبية EC من ناحية ، والولايات المتحدة وبعض دول أمريكا الجنوبية والمعروف بقضية الموز *The Banana Case*^(٢١٤) ، ففي ٢٢ مايو تم إنشاء فريق التحكيم بناء على طلب الولايات المتحدة الأمريكية ، الإكوادور ، جواتيمالا ، هندوراس والمكسيك ، وقرر فريق التحكيم أن نظام السوق الأوروبية الذي يعطي ميزات أفضلية لاستيراد الموز من بعض دول أفريقيا ودول المحيط الكاريبي غير متوافق بل ومتعارض مع الالتزامات التي تقتضيها اتفاقية الجات لعام ١٩٩٤ والاتفاقيات المرتبطة به^(٢١٥) ، وأيدت هيئة الاستئناف هذا القرار في ٩ سبتمبر ١٩٩٧ ، كما قام المجلس باعتماده في ١٥ سبتمبر ١٩٩٧^(٢١٦) . ولقد أحدث هذا

(٢١٣) المقالة السابقة ، ص ٧٦٨ . وفي التعليق على الحكم في قضية الجازولين ، راجع كذلك :

Rufus H. Yerxa and Demetrios J. Marantis, *Assessing the New WTO Dispute System: A U.S. Perspective.....*

المقالة المشار إليها ، ص ٨٠٣ وما بعدها .

(٢١٤) انظر :

European Communities – Regime for the Importation, Sale and Distribution of Banana – AB – 1997 – 3, WT/DS 27/ AB/R at 107 (September 9, 1997).

(٢١٥) راجع في التعليق على قرار فريق التحكيم :

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You.....*

المقالة المشار إليها ، ص ٧٧٦ وما بعدها .

(٢١٦) وقد جاء في تقرير هيئة الاستئناف ما نصه :

"since the GATT contracting parties incorporated a reference to the Lomé Convention into the Lomé waiver, the meaning of

القرار انقساماً في السوق الأوروبية إذ عارضته ست دول منها: فرنسا وأسبانيا وإنجلترا ، كذلك عارضه السكرتير العام لهيئة الزراعة التابعة للسوق الأوروبية على أساس ضرورة وأهمية حماية اقتصاديات المستعمرات الأوروبية السابقة، وبحيث يتم دفع تعويضات كبدل عن التنفيذ وإعمال قرار فريق التحكيم، كما وصل الأمر إلى حد قيام البرلمان الأوروبي بالدعوة لمساندة الأفضلية التجارية لدول المحيط الكاريبي من زارعي الموز . أما تسع دول أخرى من الدول أعضاء السوق الأوروبية - وعلى رأسها ألمانيا وهولندا - فقد أيدت ضرورة تنفيذ القرار على أمل أن هذا سوف يؤدي إلى تخفيض أسعار الموز في السوق الأوروبية لزيادة الواردات من دول أمريكا اللاتينية ^(٢١٧)، ورغم الاختلاف الداخلي بين الدول أعضاء السوق الأوروبية ، إلا أن موقفهم المعلن كان موحداً وهو ضرورة الالتزام بقرار فريق التحكيم ، ولكن مع الاحتفاظ ببعض العلاقات التجارية ذات الأفضلية مع الدول المنتجة للموز في دول البحر الكاريبي لأن الالتزام الحرفي لقرار فريق التحكيم من شأنه القضاء على زراعة وتجارة الموز في تلك الدول . وتمسكت الولايات المتحدة من جانبها بضرورة الالتزام الحرفي بقرار فريق التحكيم دون إبطاء ^(٢١٨).

the Lomé Convention became a GATT/WTO issue, at least to that extent. Thus, we have no alternative but to examine the provisions of the Lomé Convention ourselves in so far as it is necessary to interpret the Lomé waiver."

راجع تقرير الاستئناف المشار إليه هامش (٢١٤) في هذا البحث ، وصلة خاصة الفقرة ١٦٥ من التقرير المذكور .

(٢١٧) راجع :

Timothy M. Reif and Mafjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You*,

المقالة المشار إليها ، ص ٧٧٧ وما بعدها .

(٢١٨) المقالة السابقة ، ص ٧٧٧ .

والحقيقة أن موقف دول السوق الأوروبية يلقي بظلال حول مدى الالتزام الكامل بقرار فريق التحكيم والخطوات التنفيذية التي يتعين اتخاذها من أجل إعمال هذا القرار خلال الفترات التي رسمتها مذكرة التفاهم . وفي ٨ يناير عام ١٩٩٨ تم تعيين الدكتور سعيد النجار - أحد أعضاء هيئة الاستئناف الدائمة - كمحكم فردي ليفصل في مسألة تحديد مدة التنفيذ . وحاولت دول السوق الأوروبية أن تبين للمحكم أن هناك ظروفاً خاصة تجعل مسألة التنفيذ في غاية التعقيد ، ومن ذلك الصعوبات التي مستصادفها هذه الدول في توفيق التزاماتها الدولية وفقاً لاتفاقية لومي مع التزاماتها الدولية وفقاً لاتفاقيات الجات ، علاوة على تعدد الدول أطراف النزاع ، وبما يستلزم إضافة فترة أطول ، أما المحكم فقد رفض هذه الحجج . كما رفض حجج الولايات المتحدة والدول الشاكية الأخرى في مطالبتهم بتنفيذ قرار فريق التحكيم في فترة أقصر ، وأصر المحكم على ضرورة إنفاذ قرار فريق التحكيم في فترة الخمسة عشر شهراً المنصوص عليها في مذكرة التفاهم مع إضافة أسبوع واحد عليها^(٢١٩) .

وقد أكد فرق التحكيم في أكثر من مناسبة أهمية الإنفاذ بسحب الإجراءات المخالفة في المواعيد التي حددتها مذكرة التفاهم . ففي النزاع بين اليابان من جهة ، والولايات المتحدة الأمريكية وكندا والاتحاد الأوروبي EU من جهة أخرى ، والذي تضمن اتهام اليابان بتبني أسلوب ضريبي يحابي المشروبات الكحولية الوطنية على مثيلاتها المستوردة ،

(٢١٩) راجع:

Said El-Naggar, *European Communities - Regime for the Importation, Sale, and Distribution of Bananas - Arbitration under Article 21.3 (c) of the Understanding and Procedures Governing the Settlement of Disputes*, WT/ DS 27/15 at 6 (January, 1998).

وبما يعد مخالفاً للالتزامات اليابان وفقاً للمادة ٢/٣ من جات علم ١٩٩٤. وأيدت هيئة الاستئناف في الرابع من أكتوبر عام ١٩٩٦ قرار فريق التحكيم من وجوب قيام اليابان بتعديل الوضع بسحب الإجراءات المخالفة وتعديل تشريعاتها الضريبية في هذا الخصوص^(٢٢٠)، واعترفت اليابان بالإجراءات المخالفة ووعدت بسحبها، ولكنها طلبت - لظروف خاصة - فترة معقولة *reasonable time* لكي تتمكن من إنفاذ القرار الصادر ضدها، ومع ذلك فلم تقدم اليابان إلى الجهاز - وخلافاً لما تقتضي به المادة ٣/٢١ (أ) من مذكرة التفاهم - اقتراحها بشأن المدة المعقولة التي تراها مناسبة للتنفيذ وعلى سند من القول بأنها مستقوم بالتفاوض في هذا الخصوص مع الأطراف الشاككة^(٢٢١).

وفي ديسمبر عام ١٩٩٧، اقترحت اليابان خطة لتنفيذ قرار فريق التحكيم يتم إعمالها على ثلاث مراحل وعلى مدار خمس سنوات وبحيث تحتفظ اليابان بمعدل نسبة ٣% أعلى في الضرائب على المشروبات الكحولية المستوردة مقارنة بمثلها من المشروبات المحلية، مع تخفيض التعريفات الجمركية على بعض المشروبات مثل الويسكي والبرادي كنوع عن التعويض عن التأخير في تنفيذ قرار الفريق بالنسبة لسائر

(٢٢٠) انظر:

Julio Lacarte - Muro, Japan - Taxes on Alcoholic Beverages, Arbitration under article 21 (c) of the Understanding on Rules and Procedures Governing the Settlement of Disputes, WT/DS8/15 (February 14, 1997).

(٢٢١) راجع:

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You.....*

المقالة المشار إليها، ص ٧٦٩ وما بعدها.

وراجع في التعليق على هذا الواقع:

Rufus H. Yerxa and Demetrios J. Marantis, *Assessing the New WTO Dispute System: A U.S. Perspective.....*

المقالة المشار إليها، ص ٧٩٧ وما بعدها.

المشروبات الكحولية^(٢٢٢)، ورفضت الولايات المتحدة الاقتراح الياباني وأصرت على ضرورة إعمال الحد الأقصى لفترة التنفيذ وهو خمسة عشر شهراً على الأكثر طبقاً للمادة ٣/٢١ (٢) من مذكرة التفاهم. ولمّا أخفق أطراف النزاع في التوصل إلى اتفاق متبادل حول التنفيذ في خلال الخمسة وأربعين يوماً من تبني الجهاز قرار هيئة الاستئناف، سارعت الولايات المتحدة في الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٩٦ بطلب التحكيم وفقاً للمادة ٣/٢١ (٢) من مذكرة التفاهم. ورغم لجوء الولايات المتحدة إلى التحكيم، فإن اليابان قد زعمت أنه على الافتراض الجدلي بأن المحكم رأى ضرورة التنفيذ في موعد أقصاه خمسة عشر شهراً، فإنها لن تستطيع ذلك لاعتبارين جوهريين: أولهما، وجود معارضة سياسية داخلية؛ وثانيهما، التعقيدات الشديدة لتعديل قوانين الضرائب، الأمر الذي يتطلب مزيداً من الوقت. كما رفضت الولايات المتحدة عرض اليابان تخفيض الضرائب على البوربون الأمريكي، وبحيث يتم في مقابل ذلك الالتزام بقرار فريق التحكيم في عام ٢٠٠١. وعند عرض الأمر على المحكم، كانت المسألة الجوهرية هي تفسير المادة ٣/٢١ (ج) والتي تقضي بأن تكون المدة المعقولة للتنفيذ أقصر أو أطول من خمسة عشر شهراً المنصوص عليها وذلك طبقاً للظروف الخاصة Particular Circumstances. فما هو المقصود بالظروف الخاصة التي من شأنها التأثير على المدة اللازمة للتنفيذ؟ احتجت الولايات المتحدة أن الظروف الخاصة ليست فكرة فضفاضة، فلا ينبغي التوسع في تفسيرها. إذ تبني الظروف الخاصة على مدى الصعوبات والتعقيدات

(٢٢٢) راجع :

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push Me, Pull-You....*

المقالة السابقة، ص ٧٦٩.

الفنية التي تكتنف التعديل التشريعي اللازم للتوافق مع مبادئ جات عام ١٩٩٤. فمثلاً ، لو اقتصر الأمر على مجرد تعديل سعر التعريفية الجمركية فلا تتوفر الظروف الخاصة ، بينما لو أن التعديل التشريعي يستلزم أولاً دراسة جوانب ومعايير علمية جديدة قبل إصدار التشريع الجديد فقد تتوفر الظروف الخاصة ، ويتعين أن تعمل الدولة المشكو في حقها في إطار ذلك بمنتهى حسن النية *good faith* ، وفي كل الأحوال ، لا ينبغي أن تؤخذ اعتبارات الموازنة *policy judgements* والاعتبارات السياسية في مضمار الظروف الخاصة^(٢٢٣) ، واحتجت اليابان ، من ناحيتها ، أن فكرة الظروف الخاصة محل النزاع تقتضي اقتفاء ضوابط ومعايير مرنة لتنفيذ قرار فريق التحكيم ، وبناء على هذا ، اقترحت اليابان أن يتم التنفيذ على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى تنتهي بعد ثلاثة وعشرين شهراً والمرحلة الثالثة والأخيرة تنتهي بعد خمس سنوات ، ذلك أن تعديل الضرائب يتطلب صدور تشريعات معقدة ، علاوة على أن مسائل الضرائب تنعكس بشدة على المستهلكين اليابانيين ، كما أن الأمر يحتاج إلى إخطار أكثر من مائة وثمانين ألف تاجر جملة وتجزئة - في القطاع التجاري للمشروبات الروحية - وتوعيتهم مع النظام الضريبي الجديد للتأقلم مع الزيادة المتوقعة للأسعار وبما يتطلبه هذا من تعديلات في نظم برامج الحاسب الآلي ووسائل الدعاية والإعلان^(٢٢٤) .

والطريف في الأمر أن المحكم لم يكلف نفسه عناء الرد على الحجج السابقة التي أثارها الأطراف المتنازعين بالنسبة لمحتوى ومفهوم فكرة الظروف الخاصة ، إذ أكد في عبارة موجزة أن المدة المناسبة

(٢٢٣) الفقرتان ١٢ ، ١٣ من حكم التحكيم المشار إليه في هامش (٢٢٠) من هذا البحث .
(٢٢٤) الفقرات من ١٧ إلى ٢١ من حكم التحكيم المشار إليه في هامش (٢٢٠) من هذا البحث .

للإنفاذ هي خمسة عشر شهرا ، وأنه ينبغي على اليابان الالتزام بتلك
المدة ، إذ جاء في هذا الحكم وعلى لسان المحكم ما يلي :

“[in] this case, I am not persuaded that the “particular circumstances” advanced by Japan and the United States justify a departure from the 15-month “guideline” either way.

I conclude, therefore, that a “reasonable period of time” within the meaning of article 21.3(c) of the DSU for Japan to implement the recommendations and rulings of the DSB of 1 November 1996 in Japan-Taxes on Alcoholic Beverages in 15 (٢٢٥) months”.

(٢٢٥) الفقرة ٢٧ من حكم التحكيم المشار إليه في هامش (٢٢٠) من هذا البحث ، ورغم صدور قرار التحكيم ، إلا أن اليابان حاولت التهرب من تنفيذ القرار بطريقة كاملة وذلك حتى فبراير عام ١٩٩٨ وعلى سند من القول إن التنفيذ يتطلب الحصول أولا على موافقة هيئة الأغلبية اليابانية ، علاوة على وجود معارضة سياسية داخلية في اليابان للتغيرات المقترحة في قوانين الضرائب ، مع محاولات الحكومة قنينة السوق على هذه الصغرات ، وفي السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٩٧ تم الإعلان عن اتفاق تسوية بين اليابان وأمريكا بحيث تبدأ اليابان اعتبارا من الأول من مايو عام ١٩٩٨ بتعديل الضرائب على بعض أصناف المشروبات الكحولية وحق الأول من أكتوبر عام ٢٠٠٠ ثم إلغاء التعريفة الجمركية على جميع المشروبات الكحولية بحلول الأول من أبريل عام ٢٠٠٢ والذي سوف يؤدي إلى توفير ٩٤ مليون دولار للصناعة الأمريكية سنويا علاوة على ٤٥ مليون دولار توفيراً بالنسبة للجمارك على المشروبات الروحية . وجميع كل من:

Rufus H. Yerxa and Demetrios J. Marantis, Assessing the New WTO Dispute System: A U.S Perspective.....

المقالة المشار إليها ، ص ٧٩٧ وما بعدها .

كذلك راجع:

Timothy M. Rief and Marjorie Florestal, Revenge of the Push-Me, Pull-You.....

المقالة المشار إليها ، ص ٧٧١ وما بعدها . والحقيقة أن هناك أمثلة أخرى عديدة لمنازعات صدرت فيها قرارات بضرورة سحب الإجراءات المخالفة ومن ذلك: ما يعرف بقضية المجلات الدورية Periodicals ، وهو نزاع نشأ بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، إذ تم تقسيم كندا بقررها لالتزاماتها الدولية بالنسبة للدوريات المسعورة حيث فرضت بدون مرور ضوابط على دخول الإعلانات الأمريكية المنشورة في المجلات المطبوعة في كندا ، وألما منعت معدلات وأسعار بريدية مدعومة للمجلات والجرائد الكندية بحيث خرق مبدأ المعاملة الوطنية . وفي الرابع عشر من مارس عام ١٩٩٧ أصدر فريق التحكيم قرارا لصالح أمريكا ضد كندا . وعلقت كندا بتنفيذ قرار الفريق بعد أن تأيد هذا القرار من هيئة الاستئناف في ٣٠ يونيو عام=

= ١٩٩٧. أنظر قرار بالفريق:

Canada – Certain Measures Concerning Periodicals – Report of the Panel, WT/DS 31/R (March 14, 1997).

رأى أيضا حكم هيئة الاستئناف :

Canada – Certain Measures Concerning Periodicals – AB 1997-2 – Report of the Appellate Body, WT/DS 31/AB/R (June 30, 1997).

أما النزاع الذي دار بين أمريكا وكندا من جهة ، والسوق الأوروبية من جهة أخرى بشأن منتجات اللحوم أو ما يعرف باسم قضية (هرمونات) Hormones Case ، فقد تضمن شكوى من كل من الولايات المتحدة وكندا ضد السوق الأوروبية بأن هذه الأخيرة قد أقامت حظرا على استيراد اللحوم ومنتجاتها من الماشية المعالجة هرمونيا أي تلك التي تم حقنها بواحد أو أكثر من هرمونات التسمين يزعم أن ذلك مخالف لما تقتضي به للمادتان ١/٣ ، ١/٥ من اتفاقية منظمة التجارة العالمية بشأن الإجراءات الصحية . وقد صدر تقرير فريق التحكيم في ١٨ أغسطس عام ١٩٩٧ لصالح الولايات المتحدة وكندا من أن الإجراءات الصحية التي اتخذتها السوق الأوروبية أعلى من المعدلات الدولية وفقا لاتفاقية الجات المتعلقة بالإجراءات الصحية وأن التحريم الذي فرضته السوق الأوروبية على اللحوم ومنتجاتها من الولايات المتحدة وكندا لا مبرر له . استأنفت السوق الأوروبية أمام هيئة الاستئناف التابعة لمنظمة التجارة العالمية . وكانت المسألة المعروضة أمام الاستئناف هي هل يجوز لأي دولة عضو أن تطبق درجة من الإجراءات الصحية أشد وأعلى من المعدلات الدولية؟ أجابت هيئة الاستئناف بنعم ، بشرط أن تكون القيود الصحية الإضافية لها صدى علمي ومولدة بالأدلة العلمية البتوية . واعتمد المجلس قرار هيئة الاستئناف في ١٣ فبراير ١٩٩٨ . والطريف في الأمر أن كلا من الولايات المتحدة ، والسوق الأوروبية (الطرفين المتنازعين) قد اتجيرا قرار هيئة الاستئناف في صالحهما . فادعت السوق الأوروبية أن القرار يسمح لها بمدة عام لكي تقوم بتحليل وإيجاد الأدلة التي يتحدد بها خطر اللحوم المعالجة هرمونيا . وعليه ، قرر المسؤولون في السوق الأوروبية أن التحريم سوف يبقى قائما لمدة خمسة عشر شهرا بينما تستمر الأبحاث العلمية حتى يتم التوصل إلى أدلة حول خطر هذه اللحوم . أما الولايات المتحدة ، فقد رأت أن قرار هيئة الاستئناف يتطلب وضع نهاية فورية للتحريم ، وأنه لا يجوز للسوق الأوروبية أن تتجهز فترة التنفيذ (الخمسة عشر شهرا) لكي تقوم بتطوير أبحاث علمية تحاول لها التوصل إلى أدلة على وجهة نظرها للتحريم . وفي ١٨ أبريل ١٩٩٨ ، عندما تم تقديم المسألة إلى التحكيم الملزم ، فقد رأى المحكم ضرورة الإنفاذ خلال خمسة عشر شهرا ، وأن الطرف الذي يرغب في إثبات وجود ظروف خاصة تبرز مدة أطول ، فعليه إثبات ذلك وفقا للمادة ٣/٢١ من مذكرة التفاهم . راجع تقرير فريق التحكيم:

EC Measures Concerning Meat and Meat Products (Hormones) – Complaint by the United States – Report of the Panel, WT/DS 26/R/ USA (August 18, 1997);

راجع تقرير هيئة الاستئناف:

EC Measures Concerning Meat and Meat Products (Hormones) AB – 1997 – 4 – Report of the Appellate Panel, WT/DS 26/AB/R (January 16, 1998).

راجع في التعليق على هذين التقريرين:

Dale E. McNiel, The First Case under the WTO's Sanitary and=

ثالثاً - التعويض وتطبيق التنازلات

الأصل أن التنفيذ الكامل للتوصيات والقرارات الصادرة من جهاز تسوية المنازعات هو أفضل السبل لكي تتوافق الإجراءات محل الشكوى مع الاتفاقيات المشمولة (كاتفاقية تريبس مثلاً) ، ومع ذلك أتاحت مذكرة التفاهم التعويض Compensation وكذلك تطبيق التنازلات Suspension of Concessions لمدة زمنية معقولة ، وفي نفس الوقت ، فإن التعويض إرادي ، ويجب حين يتم منحه أن يكون متنسقاً مع الاتفاقيات المشمولة (٢٢٦) .

Phytosanitary Agreement: The European Union's Hormone= Ban, Volume 39 No. 1 Virginia Journal of International Law, pp. 89-134 (1998).

(٢٢٦) المادة ١/٢٢ من مذكرة التفاهم ، راجع :

Frieder Rossler, Angela Ellard, and Richard Elliot, Performance of the System IV: Implementation - Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 789-793 (1998):

وبصفة خاصة في ص ٧٨٩ وما بعدها .

ويلاحظ أن عرض التعويض هو بطبيعته في ظل اتفاقيات جات ععام ١٩٩٤ إجراء مؤقت Temporary حتى يمين الوقت الذي تستطيع فيه الدولة المشكور في حقها سحب الإجراءات المخالف inconsistent measure . بمعنى أن التعويض لا يخل بالتزام الدولة الخاسرة بتطبيق وإعمال قرار فريق التحكيم ، وللتعويض صور عديدة منها على سبيل المثال: تخفيض التعريفات على المنتجات التصديرية للطرف الشاكي ، عرض تنازلات معينة في قطاع الخدمات أو الملكية الفكرية بقيمة معادلة لمستوى الإجراءات المخالفة . كما يلاحظ أن هناك قيوداً على التعويض ، ذلك أن الطرف الراجع لا يتم تعويضه عن المخالفات التي وقعت past wrongs أي ما مضى من إجراءات غير متوافقة مع اتفاقية الجات حيث لا يوجد أسو رجعي retroactive للتقيد بقواعد هذه الاتفاقية . ومع ذلك لعدم وجود أسو رجعي للتعويض قد يكون له انعكاسات خاترة للشركات في الدول الأعضاء التي قد تخسر ملايين الدولارات بسبب الإجراءات المخالفة ، ومن الجدير بالذكر أنه منذ إنشاء WTO وحتى عام ٢٠٠٠ لم تصادف قضية قبل فيها الطرف الخاسر التعويض كبدل عن تنفيذ القرار الصادر بسحب الإجراءات المخالفة ، راجع :

Edwini Kessie, Enhancing Security and Predictability for Private Business Operators under the Dispute Settlement System of the WTO, Volume 34 No. 6 Journal of World Trade, pp. 1-17 (December 2000).

وراجع بصفة خاصة في الجزاءات طبقاً لاتفاقية WTO :

وإذا أخفقت الدولة العضو المعنية في الانصياع للتعديل المطلوب وإتمام الإجراء المتوافق مع الاتفاق / الاتفاقات المشمولة طبقاً للقرارات أو التوصيات الصادرة بذلك عن الجهاز خلال المدة المعقولة طبقاً للمادة ٢١/٣ من مذكرة التفاهم ، فإنه يجب على هذه الدولة العضو - إذا طلب إليها ذلك خلال هذه المدة المعقولة - أن تتدخل في مفاوضات مع أي طرف يطلب تطبيق إجراءات تسوية المنازعات بهدف التوصل إلى تعويض يرتضيه الطرفان^(٢٢٧)، فإذا لم يتم التوصل إلى مثل هذا الاتفاق خلال عشرين يوماً بعد انقضاء الفترة الزمنية المعقولة ، جاز لأي طرف أن يطلب تطبيق إجراءات تسوية المنازعات ، وأن يطلب إلى الجهاز الترخيص له بتعليق تطبيق التنازلات أو غيرها من الالتزامات بالنسبة للعضو المعني بموجب الاتفاقات المشمولة^(٢٢٨).

وقد وضعت مذكرة التفاهم المبادئ والإجراءات التي تحكم قيام الدولة العضو الشاكي لدى اختيارها التنازلات أو الالتزامات التي سيتم تعليقها. فمن ناحية أولى، فالأصل أن يقوم الطرف الشاكي بالسعي أولاً إلى تعليق التنازلات وغيرها من الالتزامات المتعلقة بنفس القطاع أو القطاعات التي رأى فيها فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف أنه قد حصل انتهاك أو تعطيل أو إلغاء بصدها. ومن ناحية ثانية، إذا وجد الطرف

Petros C. Maroidis, Remedies in the WTO Legal System: - Between a Rock and a Hard Place, Volume II No. 4 European Journal of International Law, pp. 763-811 (December 2000).

(٢٢٧) للمادة ٢/٢٢ من مذكرة التفاهم. راجع:

Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body

المقالة المشار إليها ، ص ٨٣١. أيضاً :

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process

المقالة المشار إليها ، ص ٧٥٩ وما بعدها.

(٢٢٨) للمادة ٢/٢١ من مذكرة التفاهم.

الشكاكي أن تعليق التنازلات أو غيرها من الالتزامات أصبح غير عملي أو غير فعال ، جاز له تعليق التنازلات أو غيرها من الالتزامات في القطاعات الأخرى بموجب ذات الاتفاق . ومن ناحية ثالثة ، إذا وجد الطرف الشكاكي أن تعليق التنازلات أو غيرها من الالتزامات بالنسبة إلى القطاعات الأخرى بموجب ذات الاتفاق غير عملي أو غير فعال ، وأن الظروف خطيرة ، جاز له أن يعلق التنازلات أو غيرها من الالتزامات في اتفاق آخر (٢٢٩) .

ويلتزم الطرف الشكاكي عند تطبيق المبادئ السابقة بمراعاة ما يلي: **أولاً** - التجارة في القطاع أو بموجب الاتفاق الذي وجد فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف انتهاكاً أو إلغاء أو تعطيلاً وأهمية هذه التجارة لهذا الطرف . **ثانياً** - العناصر الاقتصادية الأوسع Broader economic elements المتعلقة بالإلغاء أو التعطيل والآثار الاقتصادية الأوسع لتعليق التنازلات أو غيرها من الالتزامات (٢٣٠) .

وطبقاً للمادة ٣/٢٢ (هـ) إذا قرر الطرف الشكاكي أن يطلب الترخيص له بتعليق التنازلات وغيرها من الالتزامات في قطاعات أخرى بموجب ذات الاتفاق (كائتفاقية تريبس) أو في اتفاق آخر ، فإنه يتعين عليه أن يبين الأسباب الداعية لذلك في طلبه ، كما ينبغي إرسال

(٢٢٩) المادة ٣/٢١ من مذكرة الضام . راجع كذلك:

Edwini Kessie, Enhancing Security and Private Business Operators

المقالة المشار إليها سابقاً ، ص ٧ وما بعدها . راجع بصفة خاصة:

Arvind Subramanian and Jayashree Watal, Can TRIPS Serve As An Enforcement Device for Developing Countries in the WTO? Volume 3 No. 3 Journal of International Economic Law pp. 403-416 (September 2000).

وبصفة خاصة في ص ٤٠٩ وما بعدها .

(٢٣٠) المادة ٣/٢١ (د) من مذكرة الضام .

الطلب في ذات الوقت إلى جهاز تسوية المنازعات والمجالس ذات الصلة وإلى الأجهزة القطاعية المعنية إذا ما تعلق الترخيص بتعليق تـكـلـزلات أو التزامات أخرى في قطاعات أخرى بموجب ذات الاتفاق^(٢٣١).

ويكون مستوى تعليق التـكـلـزلات وغيرها من الالتزامات التي يـرـخـص به الجهاز معادلاً لمستوى الإلغاء والتعطيل ، ومع مراعاة أن الجهاز لا يكون له الترخيص بتعليق التـكـلـزلات أو غيرها من الالتزامات إذا كان الاتفاق المشمول يحظر هذا التعليق^(٢٣٢).

وإذا أخفقت الدولة العضو المعنية - طبقاً للتوصيات أو القرارات الصادرة من الجهاز - في تعديل الإجراء المخالف للاتفاق المشمول خلال الفترة المعقولة المشار إليها وعدم التوصل إلى تعويض مُرضٍ ، فيكون للجهاز بناء على طلب إصدار الترخيص بتعليق التـكـلـزلات أو

(٢٣١) المادة ٣/٢١ (ب) من مذكرة التفاهم. ومع ملاحظة أن المادة ٣/٢١ (و) من المذكرة تفضي بما يلي:

- ١- بالنسبة للسلع ، جميع السلع ؛
- ٢- بالنسبة للخدمات ، أي قطاع رئيسي محدد في النسخة الحالية من "جدول التصنيف القطاعي للخدمات" الذي يحدد هذه القطاعات ؛
- ٣- بالنسبة لحقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة ، كل من فئات حقوق الملكية الفكرية الواردة في القسم ١ ، أو القسم ٢ ، أو القسم ٣ ، أو القسم ٤ ، أو القسم ٥ ، أو القسم ٦ ، أو القسم ٧ من الجزء الأول. أو الالتزامات بموجب الجزء الثالث أو الجزء الرابع من الاتفاق بشأن الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية.
- (ز) لي تطبق هذه الفقرة بقصد بكلمة اتفاق ما يلي:
- ١- بالنسبة للسلع ، الاتفاقات المدرجة في الملحق ١/أ من اتفاقية منظمة التجارة العالمية بمجموعها وكذلك الاتفاقات التجارية عديدة الأطراف ما دامت أطراف النزاع أطرافاً فيها ؛
- ٢- بالنسبة للخدمات الاتفاق العام للتجارة في الخدمات ؛
- ٣ - بالنسبة لحقوق الملكية الفكرية ، الاتفاق بشأن الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية* .

(٢٣٢) المادة ٤/٢٢ من مذكرة التفاهم.

غيرها من الالتزامات خلال ثلاثين يوماً من انقضاء تلك الفترة الزمنية المعقولة ما لم يقرر الجهاز بتوافق الآراء رفض الطلب ، ولكن إذا اعترضت الدولة العضو المعنية على مستوى التعليق المقترح أو ادعت عدم احترام المبادئ المذكورة في ٣/٢٢ من مذكرة التفاهم بخصوص طلب الطرف الشاكي الترخيص له بتعليق التنازلات أو الالتزامات ، فإن الأمر يحال عندئذ إلى التحكيم من خلال الفريق الأصلي إذا كان وجود الأعضاء الأصليين فيه مازال متاحاً ، أو عن طريق محكم يتولى تعيينه المدير العام ، وفي كل الأحوال ينبغي أن يتم ذلك خلال ستين يوماً من تاريخ انقضاء الفترة الزمنية المعقولة المشار إليها ، مع مراعاة عدم تعليق التنازلات أو الالتزامات خلال فترة سير التحكيم^(٢٣٣) .

وفي حالة طرح النزاع على التحكيم ، فلا ينظر المحكم في طبيعة التنازلات أو غيرها من الالتزامات الأخرى المطلوب تعليقها بل تنحصر مهمته في تحديد ما إذا كان مستوى التعليق معادلاً لمستوى الإلغاء Nullification والتعطيل Impairment ، ويكون للمحكم أيضاً أن يقرر ما إذا كان التعليق المقترح للتنازلات وغيرها مسموحاً به بموجب الاتفاق المشمول . ومع ذلك ، إذا كانت المسألة المطروحة أمام التحكيم متضمنة الادعاء بعدم اتباع المبادئ والإجراءات المنصوص عليها في المادة ٣/٢٢ من مذكرة التفاهم ، فإن المحكم يلتزم بنظر هذا الادعاء . وإذا قرر المحكم صحة الادعاء بعدم اتباع المبادئ والإجراءات المشار إليها في المادة ٣/٢٢ من مذكرة التفاهم ، كان على

(٢٣٣) المادة ٦/٢٢ من مذكرة التفاهم . راجع:

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process*.....

المقالة المشار إليها ، ص ٧٦٠ ، و ص ٧٦٥ .

الطرف الشاكي تطبيقها بما يتفق مع أحكام المادة المذكورة. ويكون قرار المحكم في هذا الصدد نهائياً ، وعلى الأطراف قبوله كقرار نهائي ، ولا يجوز إجراء تحكيم ثانٍ. ويجب إعلام جهاز تسوية المنازعات - دون إبطاء - بقرار المحكم ، ويصدر الجهاز - بناء على طلب - الترخيص بتعليق التنازلات وغيرها من الالتزامات إذا كان الطلب متفقاً مع قرار المحكم ما لم يقرر الجهاز بتوافق الآراء رفض هذا الطلب^(٢٣٤).

ويكون قرار تعليق التنازلات أو غيرها من الالتزامات مؤقتاً ، بمعنى أنه يتم تطبيقه إلى حين إزالة التدابير المتعارضة مع أي من الاتفاقات المشمولة ، أو إلى حين أن يقوم العضو الذي يجب عليه تنفيذ القرارات أو الاتفاقات بتقديم حلٍ مرضٍ للطرفين^(٢٣٥) ، وإعمالاً للمادة ٢١ من مذكرة التفاهم ، يلتزم جهاز تسوية المنازعات بمراقبة تنفيذ التوصيات والقرارات المعتمدة بما فيها الحالات التي قدمت فيها تعويضات أو علقت تنازلات أو غيرها من الالتزامات دون أن يجري فيها تنفيذ التوصيات بتعديل التدابير لتتوافق مع الاتفاقات المشمولة^(٢٣٦).

ويجوز اللجوء إلى أحكام تسوية المنازعات في الاتفاقات المشمولة بالنسبة للإجراءات التي تؤثر على التقيد بها أو مراعاتها *Affecting their observance* والتي تتخذها الحكومات أو السلطات الإقليمية أو المحلية ضمن أراضي دولة عضو ما ، وإذا قرر جهاز

(٢٣٤) المادة ٧/٢٢ من مذكرة التفاهم.

(٢٣٥) المادة ٨/٢٢ من مذكرة التفاهم ، وراجع في الطبيعة القانونية للعضو وتعليق التنازلات:

Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, *Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process Under the WTO*

المقالة المشار إليها ، ص ٧٦٠ وما بعدها.

(٢٣٦) المادة ٨/٢٢ من مذكرة التفاهم ، للمقالة السابقة ، ص ٧٦٥.

تسوية المنازعات أن نصاً معيناً من نصوص أحد الاتفاقات المشمولة لم يتم مراعاته واحترامه ، فإنه يتعين على الدولة العضو المسؤولة أن تتخذ الإجراءات المعقولة المتاحة له ليضمن التقيد به ، فإذا ما تعذر ضمان هذا الامتثال ، فيكون من اللازم تطبيق أحكام الاتفاقات المعنية وأحكام هذا التفاهم المتصلة بالتعويض وتعليق التنازلات أو غيرها من الالتزامات (٢٣٧) .

وفي سبيل سعي الدول الأعضاء إلى القيام بتصحيح أي انتهاك للالتزامات أو غير ذلك من أشكال إلغاء أو تعطيل المصالح المقررة بموجب الاتفاقات المشمولة أو في حالة وجود عقبة لبلوغ أي من أهداف هذه الاتفاقات ، فإن على هذه الدول الحرص على ما يلي :

١- عدم البت في حصول انتهاك أو إلغاء أو تعطيل مصالح أو عرقلة بلوغ هدف من أهداف الاتفاقات المشمولة إلا من خلال اللجوء إلى تسوية النزاع وفق قواعد وإجراءات هذا التفاهم ، وأن يكون هذا البت متناسقاً مع النتائج الميينة في تقرير فريق التحكيم أو هيئة الاستئناف المعتمد من جهاز تسوية المنازعات أو مع قرار تحكيم متخذ بموجب هذا التفاهم .

٢- اتباع الإجراءات المنصوص عليها في المادة ٢١ من مذكرة التفاهم لتحديد الفترة الزمنية المعقولة المطلوبة لتنفيذ التوصيات والقرارات من جانب الدولة العضو المعنية .

٣- اتباع الإجراءات المنصوص عليها في المادة ٢٢ لتحديد

(٢٣٧) المادة ٩/٢٢ من مذكرة التفاهم .

مستوى تعليق التنازلات وغيرها- من الالتزامات والحصول على ترخيص
جهاز تسوية المنازعات طبقاً لهذه الإجراءات قبل تعليق التنازلات
وغیرها من الالتزامات بموجب الاتفاقات المشمولة رداً على عدم تنفيذ
التوصيات والقرارات من جانب العضو المعني ضمن الفترة الزمنية
المعقولة (٢٣٨)؛

(٢٣٨) المادة ٢٣ من مذكرة الظاهم.

خاتمة

أنشأت اتفاقية منظمة التجارة العالمية آلية تسوية المنازعات - لتكون صرحاً قائماً بذاته - للفصل في المنازعات بين الدول الأعضاء . فلا يجوز لأي طرف من الأطراف المتنازعين الحصول على قرار ملزم ضد الطرف المشكو في حقه خارج إطار منظمة التجارة العالمية أو بمنأى عن القواعد التي أرسنها مذكرة التفاهم . ومن ثم فلا يجوز البت في حصول أي انتهاك أو عرقلة للاتفاقية إلا من خلال آلية تسوية المنازعات ، ما لم يحصل الاتفاق على غير ذلك بين المتنازعين أنفسهم وفق شروط محددة . وعلاوة على هذا ، وضعت مذكرة التفاهم قواعد منضبطة تحكم الشكاوى التي تتقدم بها الدول الأعضاء ضد دول أعضاء أخرى ، وبحيث تكون إدارة المنازعة وفق قواعد تنظيمية محددة تتميز بالثقلانية في تكوين أعضاء فريق التحكيم ، الذين يُختارون من الأشخاص المشهود لهم بالكفاءة والخبرة العالية ، والذين يتعين عليهم اتباع قواعد إجرائية واضحة ومحددة سلفاً . كما تتأكد التلقائية أيضاً من خلال تبني القرار الذي يصدره فريق التحكيم في الاجتماع الذي يعقده الجهاز لذلك خلال ستين يوماً بعد تعميم القرار على الأعضاء ، وذلك ما لم يحصل استئناف ، أو يصدر إجماع من الدول الأعضاء في الجهاز على عدم تبني القرار . وضمانة للمتنازعين ، فقد تم إنشاء هيئة استئنافية لمراجعة المسائل المتعلقة بالقانون .

والسرعة في اتخاذ القرارات هي من أهم الميزات التي تتصف بها آلية تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية . فهناك قواعد محددة للجدول الزمني الذي يتعين اتباعه حتى لا يطول أمد تسوية النزاع

إلى الحد الذي يضر بمصلحة الأطراف المتنازعين ، والقاعدة أنه لا ينبغي أن تزيد الفترة التي يتم فيها إصدار قرار التسوية عن سنة واحدة ، وعلى ألا تزيد هذه الفترة عن خمسة عشر شهراً في حالة استئناف القرار من الدولة الخاسرة ، وهذا هو الحد الأعلى للمدة ، وبحيث يمكن أن تقتصر عن ذلك وفقاً لطبيعة المنازعة وظروفها ، أما بالنسبة للفترة التي ينبغي فيها على الدولة الخاسرة إعمال وتنفيذ *implementation* القرار فهي كقاعدة عامة خمسة عشر شهراً ، ولا يمكن إطالتها عن هذا الحد إلا إذا وجدت ظروف خاصة *particular circumstances* تبرر زيادتها أو نقصانها ،

ولم يحدث في أية منازعة تم تقديمها إلى منظمة التجارة العالمية أن وافق فريق التحكيم أو وافقت هيئة الاستئناف على طلب الدولة الخاسرة مد فترة إعمال القرار بعد الخمسة عشر شهراً المنصوص عليها في مذكرة التفاهم ، وعليه ، فإن الحد الأعلى للمدة اللازمة لتسوية المنازعة شاملاً مدة الإنفاذ لا تتجاوز في مجموعها ثلاثين شهراً ، وهي مدة تعتبر معقولة بالنظر إلى أهمية منازعات التجارة الدولية وتعقيدها . فإذا لم يتم الطرف الخاسر بتنفيذ القرار في المواعيد المحددة ، كان للطرف الرابع أن يطلب التعويض ، أو أن يقوم من جانبه بتطبيق إجراءات انتقامية بتعليق التنازلات الممنوحة للطرف الخاسر الملزم بالتنفيذ ، والحقيقة أن الإجراءات الانتقامية بتعليق التنازلات تبدو لنا غير فعالة في حالة المنازعات بين دول توجد بينها فجوة اقتصادية كبيرة ، فماذا يجدي دولة نامية فقيرة أن تعلق التنازلات أو الميزات الممنوحة في مواجهة دولة عظمى بسبب امتناع الأخيرة عن تنفيذ قرار فريق التحكيم الصادر ضدها في نزاع معين ؟ ومع هذا ، وفي ظل غياب جزاءات

دولية أخرى - كالطرد من منظمة التجارة العالمية مثلاً . بسبب الامتناع عن التنفيذ ، فإن تعليق التنازلات يبقى هو الإجراء الانتقامي الواقعي .

ولقد شُرِعَ نظام تسوية المنازعات في ظل منظمة التجارة العالمية لمصلحة جميع الدول الأعضاء بغض النظر عن قوتهم الاقتصادية ، فهو نظام يتيح الفرصة للدول النامية والدول الصغيرة المنازعة في الإجراءات التجارية غير العادلة أو غير المنصفة التي قد تصدر من الدول العظمى الغنية وتكون غير متوافقة مع النظام العالمي الجديد ، وبما يبيث الطمأنينة والثقة في نظام التجارة الدولية ، ففي عدد غير قليل من المنازعات التي تم حسمها في منظمة التجارة العالمية ربحت دول نامية قضايها ضد دول كبرى منها الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي والتي التزمت بتنفيذ القرارات الصادرة ضدها من فرق التحكيم أو من هيئة الاستئناف^(٢٣٩) . ومع هذا ، فالمشكلة الكبيرة التي

(٢٣٩) ومن ذلك: نزاع المنسوجات Textiles Cases بين كوستاريكا والولايات المتحدة الأمريكية حيث صدر قرار فريق التحكيم لصالح كوستاريكا من أن القيود التي فرضتها الولايات المتحدة بالنسبة لاستيراد المنسوجات القطنية مخالفة لاتفاقيات الجات إذ أخفقت هذه الدولة الأخيرة في تقديم الدليل على أن الواردات القطنية من كوستاريكا أحدثت أضراراً جسيمة أو حددت بحدوث أضرار جسيمة للصناعة الأمريكية ، راجع:

United States – Restrictions on Imports of Cotton and Man-Made Fibre Underwear – Report of the Panel, WT/DS 24/R (November 8, 1996).

وتم تأييد قرار فريق التحكيم في هذا النزاع بقرار هيئة الاستئناف:

United States – Restrictions on Imports of Underwear – Report of the Appellate Body, WT/DS 24/AB/R (February 10, 1997).

كما رحمت الهند قضيتها ضد الولايات المتحدة في النزاع القائم بينهما حول استيراد المنسوجات من الهند بقرار من فريق التحكيم والذي تأيّد بقرار هيئة الاستئناف:

United States – Measures Affecting Imports of Woven Wool Shirts and Blouses from India – Report of the Panel, WT/DS 33/R (January 6, 1997).

United States – Measures Affecting Imports of Woven Shirts and Blouses from India – AB. 1997-1- Report of the Appellate Body, WT/DS 33/AB/R (April 25, 1997).

كذلك راجع قضية الجازولين المشار إليها سابقاً في هذا البحث ، والسقي ويجتسها فزويلا والبرازيل ضد الولايات المتحدة الأمريكية حيث أيدت هيئة الاستئناف قرار فريق التحكيم من أن الولايات المتحدة خرقت مبدأ المعاملة الوطنية الذي قرره اتفاقية الجات وذلك بإقامة معدلات ومستويات مختلفة لحماية البيئة من شأنها التفرقة في المعاملة بين الجازولين المتسجح محلياً وذلك الجازولين المسعرد من كل من فزويلا والبرازيل ، راجع:

United States – Standards of Reformulated and Conventional Gasoline – Appellate Body Report and Panel Report – Action by the Dispute Settlement Body, WT/DS 2/9 (May 20, 1996).

ويقرر البعض أن الدول النامية شاركت في نظام لسوية منازعات الجات بفعالية كبيرة ، فمطل في قضايا الاستئناف المرفوعة أمام هيئة الاستئناف منذ عام ١٩٩٦ وحتى عام ٢٠٠٠ وعددها ٢٨ قضية ، فإن الدول النامية شاركت في ثمان عشرة قضية منها . وأغلبية هذه القضايا مرفوعة من الهند ، البرازيل ، الأرجنتين ، جواتيمالا ، كوريا ، المكسيك ، راجع:

Julio Lacarte – Muro and Petina Gappah Developing Countries and the WTO

المقالة المشار إليها ، ص ٣٩٧ وما بعدها .

ولي إحصائيات شاملة عن مساهمة الدول النامية في نظام تسوية المنازعات لمنظمة التجارة العالمية، راجع بصفة خاصة:

Thomas L. Brewer and Stephen Young, WTO Disputes and Developing Countries

المقالة المشار إليها ، وبصفة خاصة ، ص ١٧٣ وما بعدها .

وبلاحظ أن هناك قرارات وتوصيات كثيرة صُنعت من فرق التحكيم وهيئة الاستئناف الدائمة ضد دول كبرى ، ولعل أحدث المنازعات التي صُنر فيها قرار ضد الولايات المتحدة الأمريكية هو نزاعها مع السوق الأوروبية حول بعض الإجراءات الجمالية لاسيراد القمح والسقي الخلفها الولايات المتحدة في الأول من أكتوبر عام ١٩٩٧ بناء على قرار لجنة التجارة الدولية الأمريكية بالفراح من الرئيس الأمريكي . وبموجب هذه الإجراءات الجمالية تم فرض قيود معددة في شكل قيود على كمية / كميات القمح المسعردة وبمجت تسري هذه القيود اعتباراً من الأول من يوليو عام ١٩٩٨ ، كما تم إعفاء كندا من هذه القيود – باعتبارها شريكة التجارة مسجح الولايات المتحدة طبقاً لاتفاق أمريكا الشمالية للتجارة الحرة – وكذلك بعض الدول الأخرى ، وأدعت السوق الأوروبية أن القيود الأمريكية بفرض هذه القيود الكمية على الاسيراد – قد خالفت المواد ١ و ١٩ من الاتفاق العام للتعريف والتجارة لعام ١٩٩٤ (جات ٩٤) وكذلك المواد ١/٢ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٢ من اتفاقية Safeguards . ولقد قرر فريق التحكيم في ٣١ يوليو عام ٢٠٠٠ أن القيود التي فرضتها الولايات المتحدة وبالمادة ١/٢ والسادة ٢/٤ من اتفاقية Safeguards هي إجراءات مخالفة للاتفاقيات الملحقه باتفاقية منظمة التجارة العالمية ، وأوصى الفريق الجهاز أن يطلب من الولايات المتحدة سحب الإجراءات المخالفة وكذلك تعديل القيود التي أعطت ميزات معينة لكننا بخرق المادة ١/١٢ (ب) ر (ب) من ذات الاتفاق ، راجع قرار فريق التحكيم :

United States – Definitive Safeguard Measures on Imports of Wheat Gluten from the European Communities, WT/DS 166/R, 31 July 2000.

تُعاني منها الدول النامية تكمن في الحصول على الموارد المالية والكفاءات والخبرات البشرية للمساهمة في عملية تسوية المنازعات^(٢٤٠)، فتكاليف اللجوء إلى نظام حسم المنازعات في منظمة التجارة العالمية باهظة للغاية، وبما قد يحول في أحيان كثيرة من قيام بعض الدول النامية بمباشرة الإجراءات. ومع ذلك، فإن مشكلة تدبير موارد اللجوء إلى آلية تسوية المنازعات لم يتم طرحها أثناء مراجعة قواعد وإجراءات مذكورة التفاهم في الاجتماع الذي انعقد في الأول من يناير عام ١٩٩٩. لذا لا يبقى للدول النامية إلا أن تعتمد على مواردها الذاتية عند اللجوء إلى تسوية المنازعات أمام منظمة التجارة العالمية^(٢٤١).

”وقد أبدت هيئة الاستئناف في الثاني والعشرين من ديسمبر عام ٢٠٠٠ جانباً كبيراً من قرار فريق التحكيم حيث أوصت بما يلي:

“The Appellate Body recommends that the DSB request that the United States bring its Safeguard measure found in the Panel Report as modified by this Report, to be inconsistent with the Agreement on Safeguards, into conformity with its obligations under that Agreement”.

راجع :

United States – Definitive Safeguard Measures on Imports of Wheat Gluten from the European Communities – AB-2000-10, WT/DS 166/AB/R 22 December 2000 (Report of the Appellate Body published in Volume 13 No. 3 World Trade and Arbitration Materials, pp. 31-93 June 2001).

وصفة خاصة في ص ٩٢.

(٢٤٠) في خطورة وتعقيدات هذه المشكلة، راجع:

Asoke Mukerji, Developing Countries and the WTO: Issues of Implementation.....

المقالة المشار إليها، وصفة خاصة في ص ٦٩ وما بعدها.

وأنظر أيضاً: الدكتور محمد أبو العنين، تقييم نظام تسوية المنازعات لمنظمة التجارة العالمية من منظور الدول النامية، المقالة المشار إليها، ص ١٨ وما بعدها.

(٢٤١) راجع:

Asoke Mukerji, Developing Countries and the WTO: Issues of Implementation.....

المقالة السابقة، ص ٦٩ وما بعدها.

المراجع

أولاً : باللغة العربية :

- ١- الدكتور/ أبو العلا أبو العلا النمر ، الحماية الوطنية للملكية الفكرية في ظل اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية - جات ٩٤ (دار النهضة العربية - القاهرة - بدون سنة النشر) .
- ٢- الدكتور/ أبو زيد رضوان ، الأسس العامة في التحكيم التجاري الدولي (دار الفكر العربي - ١٩٨١) .
- ٣- الدكتور/ ثروت حبيب ، دراسة في قانون التجارة الدولية (١٩٧٥) .
- ٤- الدكتور/ سمير محمد عبدالعزيز ، التجارة العالمية وجات ٩٤ (الناشر مركز الإسكندرية للكتاب - ١٩٩٦) .
- ٥- الدكتور/ محسن شفيق ، التحكيم التجاري الدولي - دراسة في قانون التجارة الدولية (مذكرات لطلبة الدراسات العليا في القانون الخاص - جامعة القاهرة ١٩٧٣-١٩٧٤) .
- ٦- الدكتور/ مختار أحمد بريري ، التحكيم التجاري الدولي ، دراسة خاصة للقانون المصري الجديد بشأن التحكيم في المواد المدنية والتجارية (دار النهضة العربية- ١٩٩٥) .
- ٧- الدكتور/ محمد أبو العينين ، تقييم نظام تمسوية المنازعات لمنظمة التجارة العالمية من منظور الدول النامية ، بحث منشور في مجلة التحكيم التي تصدر عن المركز اليمني للتوفيق والتحكيم ، العدد (٤) ،

ص ص ١٧-٢٢ (مايو ٢٠٠٠).

٨- الدكتور/ محمد حسام لطفي ، تنفيذ الحماية القانونية وتسوية المنازعات طبقاً لاتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية (تريبس) من منشورات المنظمة العالمية للملكية الفكرية (باللغة العربية) تحت رقم Gil/JP/DUB/98/21 (١٩٩٧).

٩- الدكتور/ محمود سمير الشرقاوي ، التطورات الحديثة في قانون التحكيم المصري- بحث مقدم إلى مؤتمر التحكيم - بسيروت (مايو ١٩٩٩) - منشور في المجلة اللبنانية للتحكيم العربي والدولي - العدد التاسع ، ص ص ٥-١٤ .

ثانياً : باللغة الإنجليزية :
أ - المقالات والأبحاث المتخصصة :

1. - Arvind Subramanian and Jayashree Watal, Can TRIPS Serve As An Enforcement Device for Developing Countries in the WTO? Volume 3 No. 3 Journal of International Economic Law, pp. 403-416 (Oxford University Press-September 2000).
2. - Alan Wm. Wolf, Reflections on WTO Dispute Settlement, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 951-958 (1998).
3. - Albert Van Den Berg, The New York Arbitration Convention (1981).
4. - Andrew W. Shoyer and Heather G. Forton, Performance of the System II: Panel Adjudication – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 737-745 (Fall 1998).
5. - Asante, Stability of Contractual Relations in the Transnational Investment Process, Volume 28 International and Comparative Law Quarterly p. 401 (1979).
6. - Asoke Mukeriji, Developing Countries and the WTO: Issues of Implementation, Volume 34 No. 6 Journal of World Trade pp. 33-74 (December 2000).
7. - C. Christopher Parlin, WTO Dispute Settlement: Are Sufficient Resources Being Devoted to Enable the System to Function Effectively?, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 863-870 (1998).
8. - Charles E. Roh, Jr.; John Kingery; Greg Mastel and James D. Southwick, Future Challenges: The Proposed Accession of China, Russia, and Others- Presentation Summary and Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer,

pp. 883-890 (Fall 1998).

9. - Dale E. McNiel, *The First Case under the WTO's Sanitary and Phytosanitary Agreement: The European Union's Hormone Ban*, Volume 39 No. 1 *Virginia Journal of International Law*, pp. 89-134 (Fall 1998).
10. - De Vries, *International Commercial Arbitration: A Contractual Substitute for National Courts*, Volume 59 *Tulane Law Review* p. 42 (1982).
11. - Edwini Kessie, *Enhancing Security and Predictability for Private Business Operators under the Dispute Settlement System of the WTO*, Volume 34 No. 6 *Journal of World Trade* pp. 1-17 (December 2000).
12. - E. Nwougwu, *The Legal Problems of Foreign Investment in Developing Countries* (1965).
13. - Frieder Rossler, Angela Ellard and Richard Elliot, *Performance of the System (IV): Implementation – Comments*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp. 789-793 (Fall 1998).
14. - Gabrielle Marceau, *A Call for Coherence in International Law: Praises for the Prohibition Against "Clinical Isolation" in WTO Dispute Settlement*, Volume 33 No. 5 *Journal of World Trade*, pp. 87-152 (October 1999).
15. - Gary N. Horlick, *The Consultation Phase of WTO Dispute Resolution: A Private Practitioner's View*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp. 685-693 (Fall 1998).
16. - Georges A. Cavallier, *A Call for Interim Relief at the WTO Level: Dispute Settlement and International Trade Diplomacy*, Volume 22 No. 3 *World Competition Law and Economics Review*, pp. 103-139 (September 1999).
17. - Guillermo Aguilar Alvar, Ernest Ulrich Petersman and

Grant Aldonas, *Future Challenges: New Substantive Areas* — Comments, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp. 933-941 (Fall 1998).

18. - J. H. Reichman, *Universal Minimum Standards of Intellectual Property Protection under the TRIPS Component of the WTO Agreement*, Volume 29 No. 2 *The International Lawyer*, pp. 345-388 (Summer 1995).
19. - John H. Jackson, Julius L. Katz, Hugo Paemen and Alan Wm. Wolf, *Round table and looking to the Future*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp. 943-949 (Fall 1998).
20. - John H. Jackson, Julius L. Katz, Hugo Paemen and Alan Wm. Wolf, *Summary of Presentations*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp. 883-900 (Fall 1998).
21. - John H. Jackson, *Symposium on the First Three Years of the WTO Dispute Settlement System: Introduction and Overview*, Volume 32 No. 3 *The International Lawyer*, pp. 613-617 (Fall 1998).
22. - John Linarelli, *The Role of Dispute Settlement in World Trade Law: Some Lessons from the Kodak – Fuji Dispute*, Volume 31 No. 2 *Law and Policy in International Business*, pp. 263-273 (2000).
23. - Judith H. Bellow & Alan F. Holmer, *U.S. Trade Law and Policy Series No. 24: Dispute Resolution in the New World Trade Organization: Concerns and Net Benefits*, Volume 28 No. 4 *The International Lawyer*, pp. 1095-1103 (Winter 1994).
24. - Judith H. Bellow & Alan F. Holmer, *U.S. Trade Law and Policy Series No. 21: GATT Dispute Settlement Agreement: Inter-nationalization or Elimination of Section 301?* Volume 26 *The International Lawyer* p. 795 (1992).

25. - Julio Lacarte – Muro and Petina Gappah, Developing Countries and the WTO Legal and Dispute Settlement System: A View from the Bench, Volume 3 No. 3 Journal of International Economic Law, pp. 395-401 (September 2000).
26. - Mauricio Salas and John Jackson, Procedural Overview of the WTO-EC-Banana Dispute, Volume 3 No. 1 Journal of Inter-national Economic Law, pp. 145-165 (2000).
27. - Michael K. Young, Dispute Resolution in the Uruguay Round: Lawyer's Triumph over Diplomats, Volume 29 No. 2 The International Lawyer, pp. 389-409 (Summer 1995).
28. - Oliver Stethmann, Export Subsidies in the Regional Aircraft Sector: The Impact of Two WTO Panel Rulings against Canada and Brazil, Volume 33 No. 6 Journal of World Trade, pp. 97-120 (December 1999).
29. - Paul Edward Geller, Intellectual Property in the Global Marketplace: Impact of the TRIPS Dispute Settlement? Volume 29 No. 1 The International Lawyer pp. 99-115 (Spring 1995).
30. - Paul Rosenthal, Scope for National Regulations – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 679-683 (Fall 1998).
31. - Peter Clark and Peter Morrison, Key Procedural Issues: Transparency – Comments, Volume 32 No. 3 The International lawyer, pp. 851-861 (1998).
32. - Petros C. Mavroidis, Remedies in the WTO Legal System: Between a Rock and a Hard Place, Volume 11 No. 4 European Journal of International Law, pp. 763-811 (Oxford University Press- December 2000).

33. - Richard L. Bernal, Debra P. Steger and Andrew L. Stoler, Key Procedural Issues: Resources – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 871-881 (Fall 1998).
34. - Robert E. Hudec, GATT / WTO Constraints on National Regulation: Requiem for an “Aim and Effects” Test, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 619-649 (Fall 1998).
35. - Rufus H. Yerxa & Demetrios J. Marantis, Assessing the New WTO Dispute System: a U.S. Perspective, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 795-809 (Fall 1998).
36. - Rustel Silvester J. Martha, World Trade Disputes and the Exhaustion of Local Remedies Rule, Volume 30 No. 4 Journal of World Trade, pp. 107-130 (1996).
37. - Serge Frechette, C. Michael Hathway and Victor Do Prado, Performance of the System III: Appellate Body – Comments, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 747-753 (1998).
38. - Steve Charnovitz, Environment and Health under WTO Dispute Settlement, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 901-921 (Fall 1998).
39. - Terence P. Stewart and Mara M. Burr, The WTO Panel Process: An Evaluation of the First Three Years, Volume 32 No. 3 The International Lawyer pp. 709-735 (1998).
40. - Thomas L. Brewer and Stephen Young, WTO Disputes and Developing Countries, Volume 33 No. 5 Journal of World Trade pp. 169-182 (1999).
41. - Thomas E. Carbonneau, Arbitral Adjudication: a Comparative Assessment of Its Remedial and Substance Status in Transnational Commerce, Volume 19 Texas International Law Journal p. 32 (1984).

42. - Timothy M. Reif and John R. Mangus, Symposium on the First Three Years of the WTO Dispute Settlement System, Co-Chair's Introduction, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 609-617 (Fall 1998).
43. - Timothy M. Reif and Marjorie Florestal, Revenge of the Push-Me, Pull-You: The Implementation Process under the WTO Dispute Settlement Understanding, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 755-787 (Fall 1998).
44. - Trading into the Future, WTO: The World Trade Organization (2nd edition, February, 1998 – written and published by the World Trade Organization).
45. - Venessa P. Sciarra, The World Trade Organization: Services, Investment, and Dispute Resolution, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 923-931 (Fall 1998).
46. - Vilaysoum Loungnarath & Céline Stehly, The General Dispute Settlement Mechanism in the North American Free Trade Agreement and the World Trade Organization System, Volume 34 No. 1 Journal of World Trade, pp. 39-71 (February 2000).
47. - Warran H. Maruyama, A New Pillar of the WTO: Sound Science, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 651-677 (1998).
48. - Whitney Debevoise, Access to Documents and Panel and Appellate Body Sessions: Practice and Suggestions for Greater Transparency, Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 817-849 (1998).
49. - William J. Davey, The WTO Dispute Settlement System, Volume 3 No. 1 Journal of International Economic Law, pp. 15-18 (March 2000).
50. - William J. Davey and Amila Proges, Performance of the System I: Consultations & Deterrence – Comments,

Volume 32 No. 3 The International Lawyer, pp. 695-707 (1998).

51. - Young-Shik Lee, Review of the First WTO Panel Case on the Agreement on Safeguards (Korea – Definitive Safeguard Measure on Imports of Certain Dairy Products and Its Implications for the Application of the Agreement, Volume 33 No. 6 Journal of World Trade, pp. 27-46 (December 1999).

**ب - قرارات وتوصيات فرق التحكيم وهيئة الاستئناف الدائمة
لنظمة التجارة العالمية:**

- 1- Appellate Body Report on United States – Standards for Reformulated and Conventional Gasoline, 20 May, 1996 WT/DS 2.
- 2- Brazil – Measures Affecting Desiccated Coconut, WT/DS 22/R, 278 (October 17, 1996).
- 3- Canada – Certain Measures Concerning Periodicals – Report of the Panel, WT/DS 31/R (March 14, 1997).
- 4- Canada – Certain Measures Concerning Periodicals – AB 1997-2-Report of the Appellate Body, WT/ DS31/AB/R (June 30, 1997).
- 5- Canada- Term of Patent Protection, AB-2000-7, WT/ DS/70 /AB/R18 September 2000 (Volume 12 No. 6 World Trade and Arbitration Materials, pp 5 – 30, November 2000).
- 6- EC-Measures Concerning Meat and Meat Products (Hormones)- Complaint by the United States- Report of the Panel, WT/DS 26/R/ USA (August 18, 1997).
- 7- EC- Measures Concerning Meat and Meat Products

(Hormones) AB-1997-4- Report of the Appellate Panel, WT/DS 26/AB/ R (January 16, 1998).

- 8- European Communities – Regime for the Importation, Sale, and Distribution of Banana – AB- 1997- 3, WT/DS 27/AB/R 1- 107 (September 9, 1997).
- 9- India- Patent Protection for Pharmaceuticals and Agricultural Chemical Products, WT/DS 50/AB/R 94 (December 19, 1997).
- 10- Japan- Taxes on Alcoholic Beverages Arbitration under Article 21 (3) (c) of the Understanding on Rules and Procedures Governing the Settlement of Disputes, WT/DS 8/15/ WT/DS 10/ WT/DS 11/13 (February 14, 1997).
- 11- Julio Lacarte- Muro, Japan- Taxes on Alcoholic Beverages, Arbitration under article 21 (c) of the Understanding on Rules and Procedures Governing the Settlement of Disputes, WT/DS 8/15 (February 14, 1997).
- 12- Said El-Naggar (Arbitrator), European Communities- Regime for the Importation, Sale, and Distribution of Bananas- Arbitration under Article 21.3 (c) of the Understanding and Procedures Governing the Settlement of Disputes, WT/DS 27/15 at 6 (January, 1998).
- 13- United States- Measures Affecting Imports of Woven Wool Shirts and Blouses from India- Report of the Panel, WT/ DS 33/ R (January 6, 1997).
- 14- United States- Measures Affecting Imports of Woven Shirts and Blouses from India – AB, 1997-1- Report of the Appellate Body, WT/DS/33 /AB/R (April 25, 1997).
- 15- United States- Restrictions on Imports of Cotton and Man-Made Fiber Underwear- Report of the Appellate Body WT/DS/24/ AB/R (February 10, 1997).

- 16- United States- Restrictions on Imports of Cotton and Man-Made Fiber Underwear- Report of the Panel, WT/DS/ 24/R (November 8, 1996).
- 17- United States- Standards of Reformulated and Conventional Gasoline- Report of the Panel, WT/DS2/R (January 29, 1996).
- 18- United States- Standards of Reformulated and Conventional Gasoline- Appellate Body Report and Panel Report- Action by the Dispute Settlement Body, WT/DS 2/9 (May 20, 1996).
- 19- United States- Definitive Safeguard Measures on Imports of Wheat Gluten from the European Communities, WT/DS 166/R, 31 July 2000.
- 20- United States- Definitive Safeguard Measures on Imports of Wheat Gluten from the European Communities -- AB- 2000-10, WT/DS 116/ AB/R 22 December 2000 (Report of the Appellate Body- published in Volume 13 No. 3 World Trade and Arbitration Materials, pp. 31-93, June 2001).

فهرس

| رقم | الصفحة |
|-----|--|
| ٥ | مقدمة |
| ٦ | تقسيم |
| | المطلب الأول: خصائص آلية تسوية المنازعات في منظمة |
| ٧ | التجارة العالمية |
| ٧ | أولا - تغليب السمة القضائية على السمة الدبلوماسية... |
| | ثانيا - السمات الجوهرية لآلية تسوية المنازعات في منظمة |
| ١٣ | التجارة العالمية |
| ١٣ | ١- اتساع نطاق آلية تسوية المنازعات |
| ١٥ | ٢- استثنائية آلية تسوية المنازعات |
| ١٨ | ٣- فعالية آلية تسوية المنازعات |
| ٢٠ | ٤- تلقائية تبني قرارات فريق التحكيم |
| ٢١ | ٥- إنشاء هيئة استئنافية |
| ٢٢ | ٦- السرعة في اتخاذ القرارات |
| ٢٣ | ٧- الشفافية |
| | المطلب الثاني: قواعد وإجراءات تسوية المنازعات في منظمة |
| ٢٩ | التجارة العالمية |
| ٢٩ | أولا - القواعد العامة |
| ٢٩ | ١- إنشاء جهاز تسوية المنازعات |
| ٣٤ | ٢- مبادئ التسوية |
| ٣٩ | ثانيا - التفاوض |

| | |
|-----|---|
| ٣٩ | أ - طلب التشاور |
| ٤١ | ب - واجب التشاور |
| ٤٢ | ج- كيف يحصل التشاور |
| ٤٥ | د - كيف يجري التشاور من الناحية العملية ؟ |
| ٤٨ | ثالثا - المساعي الحميدة ، التوفيق ، الوساطة والتحكيم .. |
| ٥٣ | رابعا - فريق التحكيم |
| ٥٣ | أ - إنشاء فريق التحكيم |
| ٥٤ | ب - تكوين فريق التحكيم |
| ٥٨ | ج- إجراءات فريق التحكيم |
| ٦٣ | د - وظيفة واختصاصات فريق التحكيم |
| ٦٤ | هـ- تقرير فريق التحكيم |
| ٦٧ | و- مدة عمل فريق التحكيم |
| ٦٩ | خامسا - المراجعة بطريق الاستئناف |
| ٦٩ | أ - تكوين هيئة الاستئناف الدائمة |
| ٧١ | ب - إجراءات الاستئناف |
| ٧٣ | ج- توصيات هيئة الاستئناف |
| ٧٥ | المطلب الثالث : تنفيذ التوصيات والقرارات |
| ٧٥ | أولا - مراقبة تنفيذ التوصيات والقرارات |
| ٧٩ | ثانيا - سحب الإجراء المخالف |
| ٩٢ | ثالثا - التعويض وتطبيق التنازلات |
| ١٠٠ | خاتمة |
| ١٠٥ | المراجع |
| ١١٦ | فهرس |

المسؤولية الجنائية

الناشئة عن نقل الدم

" دراسة مقارنة "

الدكتور

ممدوح خليل البحر

أستاذ القانون الجنائي المشارك

كلية القانون / جامعة الشارقة

المقدمة

لقد خطت العلوم الطبية على اختلاف أهدافها وتخصصاتها خطوات كبيرة في التطور العلمي بحيث استطاع الأطباء معرفة أغوار الجسم البشري ومعالجة ما كان في منتهى الصعوبة إن لسم نقل من المستحيل عند الأقدمين.

ومن الطرق العلاجية التي توصل إليها الطب الحديث والتي لها صلة مباشرة بحياة الإنسان أشارت اهتماما واسعا في مختلف الأوساط الطبية والدينية والاجتماعية والقانونية عملية نقل الدم ، حيث استرعى الدم لانتباه الناس منذ القدم على أساس أنه سببا من أهم أسباب الحياة ، ذلك لأن الملاحظ دوما أن الإنسان يفقد حيافته بفقدان دمه ، وقد ازداد اللجوء إلى المعالجة به في أيامنا هذه بصورة خاصة ، فلم تعد عملية نقل الدم مقصورة على بعض حالات الإسعاف والجراحة والولادة نصيب بل تجاوزتها إلى فروع الطب والجراحة الأخرى ، ولم يعد أمر إعطاء الدم مقتصرًا على المستشفيات بل أصبح يعطى لدم للجرحى في المعارك باعتباره أساس الحياة والقوة اللازمة لاستمرارها .

لكن الإهمال واللامبالاة بالمسؤولية من جانب العاملين في مجال نقل الدم وحفظه يهدد أن بإمكانه إصابة أي فرد بوباء الإيدز أو غيره من الأمراض المعدية بسبب عمليات نقل الدم والعنوى الناتجة عن عدم اتباع الأصول العلمية الواجبة لتحليل الدم للتحري عن سلامته قبل نقله أو أخذه من متبرعين سبق لهم أن أصيبوا بأمراض التهاب الكبد والسلطان أو الشللين جنسيا أو المدمنين على المخدرات . وقد استغضت عملية نقل الدم وسيلة وأداة فعالة بيد المجرمين لارتكاب جرائم القتل والإيذاء العمد بدلا من كونها وسيلة علاجية تحيد للمريض بعد إتمامها إلى مزولة نشاطه وحياته بصورة طبيعية . لهذا أصبحت عملية نقل الدم أخيراً مجالاً خصباً ليس فقط للمؤتمرات الطبية والفكرية ، وإنما لكونها أيضا أحد الموضوعات الحديثة في فقه القانون الجنائي والمدني والإداري.

المبحث الأول

المساهمة القانونية لعملية نقل الدم

المطلب الأول

تاريخ وأساس عملية نقل الدم

ملكو قديم الزمان اعتبار الدم أساس الحياة والقوة ، واعتقد الأطباء منذ قرون محدث أنه إن لم يكن نقل الدم من شخص سليم إلى شخص مريض لأدى ذلك إلى شفائه وإقلا حياته . لذلك قام الأطباء في القرون الماضية بعدة محاولات لنقل الدم من شخص إلى آخر محتاج إليه لتقويمه بأن ذلك يؤدي إلى شفاؤه .

لذلك قام بعض الأطباء بالمحاولات الأولى في عمليات نقل الدم ، حيث وجدت الميسند من الكتب في العصور القديمة التي تتحدث عن إسقاء الدم بواسطة الفم ، حيث كانت الدم محاولة علاجية مبرورة هي عبارة عن جهد لإقلا حياة (الباها أبو شمسوس الثامن) وكان ذلك ١٤٩٢م وذلك بجمعه يشرب دم ثابثة من الصبيان الأمحاء حيث توفي المتبرعون الثلاثة (١) .

وقد كان الطب العلمي في مجال عمليات نقل الدم آنذاك يعتمد على الأفكار التي كانت سائدة لدى الناس والتي تعتبر نقل الدم من الشباب الأمحاء إلى المجزأة هي وسيلة من وسائل شفاؤهم من أمراض الشيخوخة.

وفي عام ١٦٦٧م أجرى (Jean-Denis) أول عملية نقل دم إلى شخص مريض وذلك باستخدام دم حمل وهذه الحالة تعتبر أول عملية نقل دم من الحيوان إلى الإنسان ، وعلى أثر ذلك حدث له رد فعل سيئ ولم يفي التكوين الأمر الذي جعل هذا الوصف الهام لأول رد فعل على نقل دم في العالم تهيئاً لمرحلة الصراع الذي لا يزال دقراً حتى يومنا هذا لإيجاد التوافق السليم بين نقل الدم المقلد للحياة والمخاطبات المجددة للحياة والنتيجة عن نقل الدم غير المطابق (٢).

وفي القرن الثامن من عشر ظهر تقدم واضح في عمليات نقل الدم بناءً على التجارب التي أجريت على الحيوانات .

وفي عام ١٩٠٠ أجرى العالم (Land - Steiner) تجارب على الدم البشري حيث توصل إلى أن الدم البشري ينقسم إلى ثلاث مجموعات هي :-

١. مجموعة (O) ٢. مجموعة (B) ٣. مجموعة (A)

وأكد هذا العالم على ضرورة معرفة الفصيلة الدموية وإجراء التوافق من أجل أن تكون عملية نقل الدم مجدية وغير ضارة ، وكان نجاح العمليات الجراحية في جبهات المراك هو أحد التطورات الطبية العظيمة في الحرب العالمية الثانية والتي تمد الدافع الرئيسي لظهور خدمات نقل دم واسعة النطاق ، حيث تم من خلالها أهم واستعاب هذه العملية بصورة واضحة وجيدة ، حيث ظهرت خدمات ومؤسسات نقل الدم في جميع أنحاء

¹ - Marshall Marlin and Bird Thomas Blood Loss and replacement 1979, P.21

² - A ALA FEREDOUN and EL Nageh Mohammed blood transfusion A basic Text
World Health organization Regional office the Eastern Mediterranean Alexandria
Egypt 1994.p.1

للعالم في نهاية الأربعينات ، بحيث شكلت أول جمعيات جمع الدم للاستخدام المدني وعلى نطاق واسع حيث تم إدخال اختبارات محددة في بداية السبعينات للكشف عن المتبرعين الحاملين لفيروس التهاب الكبد (B) . ثم أدخلت في نهاية الثمانينات اختبارات جديدة للكشف عن الالتهابات وأنواع العدوى القابلة للانتقال عبر عمليات نقل الدم إلى المتلقي ومنها فيروس نقص المناعة البشرية (HIV) و التهاب الكبد الفيروسي من نوع (C) (١) .

المطلب الثاني

حكم نقل الدم في الأديان السماوية

من المعلوم أن الدم هو عبارة عن سائل حيوي تسبح فيه خلايا ضرورية للحياة ولا يمكن الاستغناء عنها وإن الدم عدة وظائف ذلك باعتباره سائل الحياة والقوة للعظمة للجسم ، وتشكل الكريات الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية بلمبه تتراوح بين ٤-٥٠ من مجموع حجمه وما تبقى منه يدعى البلازما . فهو سائل خاص يوجد بالجهاز الدوري بالجسم لونه أحمر بوجود الغضاب الذي يضفي على الدم هذا اللون ، ويكون لونه في الشرايين فاتح لوجود الأوكسجين فيه أما في الأوردة فلونه أحمر غامق لوجود ثاني أوكسيد الكربون (٢) .

الفرع الأول

في النيقية المسيحية

المسيحية لا تحرم عملية نقل الدم لأنها لو حرمت نقل الدم لحرمت إجراء عمليات الجراحة و العلاج الطبي وتحليلات الدم للفحوص المختلطة والتي تجري في المختبرات والعيادات والمستشفيات لكن لا يجوز نقل الدم بشكل مطلق لأن النقل يكون هنا للمفاهيم المسيحية المتعلقة بالجسم البشري . ونقل الدم بدون ضوابط معينة يجعله كذلك ، فالنقل المباح هو ذلك النقل الذي يتم من أجل بناء الجسم البشري وشفاؤه وزيادة قدرته على المعطاء الإنساني وتحريم نقل الدم الذي يتم من أجل تحقيق هدف صممي بحث متلفس للغاية التي تكاد بها الرسالة المسيحية بإعلانها قداسة الجسم البشري (٣) .

¹ - A.ALA Ferey doud and El.Nageh Mohammed ,op.cit..p2

^٢ - الأستاذ وسيد حامد ، نقل ورع أعضاء الجسم البشري /حراسة نظرية وتقنية لنقل الأعضاء والأنسجة من جسم إلى آخر ، مجلة المحامون السورية /عدد ٦-١٩٨٨م ، ص٦٣٨ وما بعدها .

إلا أن هناك فئة مسيحية تحرم نقل الدم ويطلق عليها: (شهود يهونا) وحركة للشهود هذه منعت نقل الدم وأصبح أخذ الدم مبيهاً للطرد من الحركة عام ١٩٦١ ، بينما في السابق كان تسلم الدم أو عدم تسليمه متروكا لحرية كل واحد وضميره وذلك في سنة ١٩٥٨ ، فهم يعتبرون نقل الدم بمثابة أكل للدم . والحجة التي يستند إليها (شهود يهونا) في تحريمهم لنقل الدم قولهم " ليس صحيحا أن المريض عندما يكون غير قادر على تناول الطعام يفهمه غالبا ما يوصي الطبيب بتلقيته بنفس أسلوب نقل الدم؟ فالامتناع عن الدم هو ما أسر به الكتاب المقدس . ويعني ذلك إذا أمركم الطبيب بالامتناع عن الكحول ، هل يعني ذلك حقا لا يجب عليكم أن تتناولوه بفمكم ولكنكم تستطيرون نقله مباشرة إلى عروقكم؟ طبعاً لا . " وبهذا فإن الامتناع عن طريق نقل الدم أو عن طريق المرقى والشريطين^(١) . ورد على هذا الاعتراض الصادر من تلك الفئة المسيحية أو التي تدعي بأنها مسيحية على حد قول بعض المسيحيين ، هذه النظرية تضمنك الطب وتبكي المهددين بالموت .

الخلاصة: أن الدين المسيحي وحث الإنسان إلى بلل الآلات كمالاً في سبيل من يحب، وبهذا تكمل الحياة وتجلو المحبة في أسمى بهائها وأسمى لزوجتها . فقيام الإنسان بأعمال صغيرة أو كبيرة من المشاركة تشري الحياة في وجهها الحضري للصحيح ، ومن هذه الأعمال للفرع بالدم ، إذا تم هذا الفرع يستغنى القواعد الأخلاقية بما يحقق للمرضى البشيين فرصة جديدة للشفاء واستعادة الصحة بل الحياة^(٢) .

الفرع الثاني

في الشريعة الإسلامية

من المعلوم أن الدين الإسلامي ديناً شاملاً يباي جميع حاجات البشر . فهو يقدم حلولاً شافية لكل ما يعطرب بهال الإنسان من الأسئلة و الاستفسارات . وبسبب التقدم الذي حققه علم الطب في الوقت الحاضر و نتيجة لهذا التقدم ظهرت مسائل طبية لم يتعرف لها الفقهاء المسلمون الأوائل لأنها لم تكن في زمنهم ومن غير الممكن معرفتها أو الاستدلال عليها و أصبحت اليوم حقائق بل وقائع ملموسة تحتاج إلى بيان حكم الشرع فيها ، مما دفع العلماء في العصر الحاضر أن يشمروا عن ماعده الجهد للوصول إلى حكم شرعي ومن هذه الأمور (نقل الدم) .

لنقل الدم إلى المريض يعتبر ضروريا لا يمكن للإنسان الاستغناء عنه . لأن حياة المريض تكون مستحيلة بدونه خاصة وأن الدم لا يمكن استحضاره صناعيا حيث لا يزال العلم عاجزا ، وفي الوقت نفسه لا يمكن

^١ - الأب بفرط سعادة بمشاركة الأب بيز مديروس ، الجواب من الكتاب / الطبعة الأولى / منشورات المكتبة البولسية / ١٩٩٥ ص ٢٩٩ .

^٢ - يوحنا بولس الثاني / رسالة عامة / إنجيل الحياة من الحق الأظم يوحنا بولس الثاني / نشرت بعتبة الجمع المقدس للمكسي الشرقية / الفاتيكان / منشورات الاسقفية لوسال / أبل القديس لبنان / ص ١٦٩ وما بعدها

الاستفادة من دماء الحيوانات لمد النقص لدى الإنسان و ذلك لاختلافهما لسي الطبيعة ، حيث أن دماء الحيوانات تحتوي على مواد بروتينية تختلف من الفاحية البيولوجية عن بروتينات الدم البشري (١) .
 إذا لابد من استمالة دم الإنسان لأجل إنقاذ حياة إنسان آخر ، وهذه الحقيقة توصل إليها العلماء المسلمون عند بيانهم لحكم نقل الدم ، مستعينين في بحثهم بمبادئ الشريعة الإسلامية و قواعدها العامة التي توجب حفظ النفس و رفع ما يلحق بها من ضرر أو حرج أو مشقة وما يحقق لها من الأمن و القلمانية(٢) . فما هو الحكم الذي توصل إليه الفقهاء المسلمين بشأن نقل للمريض من شخص لآخر ؟ وما هو حكم التبرع بالدم ؟ و ما هو حكم بيوحه ؟

القاعدة العامة في الشريعة أن الدم حرام و لجنس ولا يجوز شربه ولا الانتفاع به ، و هذا للتحريم ورد في القرآن الكريم لقوله تعالى : 'حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَلَحْمُ الْخَالِيزِ...' (٣) . ولقوله تعالى : ' قُلْ لَا أَجِدُ فِي سِمْاءِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ يُنَادِي بِقَوْلِهِ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْشَرَفِينَ ' (٤) ، فلا خلاف بين الفقهاء في نجاسة الدم بعد انفصاله عن موضعه و يسمى بالدم المسفوح أو الدم المراق ، وقد أشار إلى هذا الإجماع ابن حزم الظاهري فقال لجمعا على أن الدم المسفوح حرام (٥) .

أما الدم المأخوذ بواسطة الحقنة فلا يعتبر دماً مسفوحاً وبالتالي لا يأخذ حكمه من حيث النجاسة (٦) .

مواقف الشريعة الإسلامية من نقل الدم:

الأصل حرمة الإنسان وبالتالي حرمة أجزاء الإنسان إلا لتحقيق ضرورة ، فإذا ثبت أن رعاية مصلحة المريض في سلامة نفسه وجسده تقتضي نقل الدم إليه ولا يوجد نواه يقوم مقامه ، فإن هذا جائز شرعاً وإن كانت أعضاء الإنسان من المحرمات ، ذلك أنه يجوز استغلالها وسيلة للعلاج في حالة الضرورة إبقاء حياة الإنسان وحفاظاً على الصحة كما هو الحال بجوار تناول المحرمات في حالة الاضطراب . فالشارع الإسلامي أجاز ترك الواجب وفضل المحرم إذا وجد لاضطرار مرضي لرفع الحرج عن المريض (٧) .

أما إذا توقف شفاء المريض أو المصاب وإيقاد حياته من الموت على نقل الدم ولا توجد طريقة أخرى مباحة تحل محلها في شفاقه وإيقاد حياته جاز نقل الدم إليه بلا شبهة سواء من المسلم أو من غير المسلم وكذلك إذا

١ - انظر مقالة الدكتور محمود علي السرطاوي بعنوان (Text of Islamic Roles) A-ALA Fereydyounand el nageh Mohammed blood transfusion A basic Text World Health organization Regional office the eastern Mediterranean Alexandria ,Egypt , 1994.p.164 .

٢ - د. محمود السرطاوي، المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

٣ - الآية (٢) من سورة المائدة .

٤ - الآية (١٤٥) من سورة الأنعام .

٥ - رأت محمد أحمد/ أحكام العمليات الجراحية ، دراسة مقارنة بين فقاهن المدن والفق الإسلامي /دار النهضة العربية /مصر القاهرة ١٩٩٦ ، ص ٥٨ .

٦ - الدكتور محمود السرطاوي ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

٧ - أحمد شرف الدين ، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية للطبعة الثانية /١٩٨٧ ، ص ١٠٣ وما بعدها .

ذلك لأن الشريعة الإسلامية تحت على الإيثار والتضحية ، فإذا كان هناك تناقض بين الأدلة التسي يتبع أو تحرم نقل الدم بلجا التفهاء إلى التزجيج بين هذه الأدلة ، واستنباط الحكم من القواعد الكلية في الفقه الإسلامي كقاعدة التخرج بين المصالح والمفاسد وقاعدة تحصيل المصالح ودرء المفاسد.

أما إذا كانت عملية نقل الدم متوذي إلى إسمية المتبرع بضرر فالحش لا يتناسب مع الضرر الذي سيزال من المتبرع له كأن يؤدي نقل الدم إلى موت المتبرع أو إصابته بمرض لا يمكن شفاؤه منه أو أن شفاؤه سوف يكون صعباً فلا يجوز التبرع بالدم ^(١) استناداً لقوله تعالى: "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" ^(٢) .

وقوله تعالى: "ولا تلقوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" ^(٣) . أما إذا كان التبرع بالدم سيؤدي إلى إصابة المتبرع بضرر خفيف ، لخف من الضرر الذي سيزال من المريض الذي يحتاج إلى الدم لإنقاذ حياته ، فإن التبرع بالدم في هذه الحالة يكون مباحاً تطبيقاً للقاعدة الفقهية: "الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف" ^(٤) .

حكم بيع الدم في الشريعة الإسلامية:

حرم التفهاء المسلمون بيع الدم والاستفادة من شمله ، لأنه في عقد البيع يجب أن يكون محل العقد طاهراً منتزاعاً به وهذا ما لا يتحقق في بيع الدم وذلك لاجلته وبالتالي عدم صلاحيته لأن يكون محلاً للبيع شأنه في ذلك شأن الميتة ^(٥) كما استند التفهاء في مسألة تحريم بيع الدم إلى أن البيع مبادلة مال بمال والدم كالميتة ليس بمال ، ولذا كان لقتلها به باطلاً ^(٦) .

ويستدل على حرمة بيع الدم من قوله تعالى: "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم" ^(٧) . فالتحريم في الآية للكرمة واضح ومنسها الدم . ولي الصلة النبوية فقد روي عن أبو داود عن ابن عباس قال: "إن الله إذا حرم على قوم شيئاً حرم عليه شمله" ، وروى البخاري: "إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن شئ الكلب وشئ الدم" ، مما يدل على حرمة بيع الدم ^(٨) .

وقد جاء في فتوى المجمع الفقهي/ الدورة الحادية عشر من ١٣-٢٠ رجب ١٤٠٩هـ الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٨٩ لله: "أما حكم أخذ عوض شئ الدم ، وبعبارة أخرى بيع الدم فقد رأى المجلس أنه لا يجوز لأنه مسن المحرمات المنصوص عليها في القرآن الكريم مع الميتة ولحم الخنزير ، فلا يجوز بيعه وأخذ عوضه

^١ : محمد عبد الظاهر حسين مفككات المسئلة المدنية في مجال عمليات نقل الدم / المربع السابق ص ١٩.

^٢ : الآية (١٩٤) من سورة البقرة.

^٣ : الآية (٢٨) من سورة النساء

^٤ : محمد عبد الظاهر حسين / المربع السابق ص ٢٠.

^٥ : رآفت محمد أحمد حماد / المربع السابق ص ٥٩.

^٦ : الدكتور صاحب الفتاوى / المربع السابق / المربع السابق ص ١٢٧.

^٧ : الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

^٨ : رآفت محمد أحمد ، المربع السابق ص ٥٩ ، وما بعدها.

عليه^(١)، كما أجمع الفقهاء المسلمون على أن الدم المسفوح حرام^{*}، وقال ابن حجر وهو حرام إجماعاً أعني بيع الدم وأكل لحمه^(٢).

الفرع الثالث

الأساس القانوني لعملية نقل الدم

في فرنسا: أدت عمليات نقل نل الدم من الحيوانات إلى البشر إلى وفاة كثير من الناس ، مما أدى إلى أن يقوم المشرع الفرنسي بإصدار قانون يحرم إجراء عمليات لنقل الدم وكان ذلك عام ١٦٦٨ م ، وبالتالي يتحمل المسؤولية من يقوم بإجرائها وذلك لمسبأها بجسم الإنسان . حيث صدر قرار عام ١٦٧٠م بمنع جميع عمليات نقل الدم ، وبقي هذا المنع (منع وتجرىم عمليات نقل الدم) قرابة (١٥٠) سنة ، إلى أن قام الأستاذ (BLENDE) وكان ذلك عام ١٨١٨م بأول عملية لنقل الدم ناجحة من شخص لآخر ، حيث صدر في ذلك العام قانون يبيح عمليات نقل الدم^(٣). وفي عام ١٩٠٥ م صدر قانون في فرنسا يشتمل على جميع الأحكام المتعلقة بنقل الدم ، المواد الطبية والحيازة وبيع المواد الطبية المفتوشة والتي تكون قابلة للتطبيق على تحفيز وحيازة وتسليم الدم البشري ومصله ومشتقله بصورة مجانية أو بمقابل^(٤).

وفي عام ١٩٥٢ صدر القانون الفرنسي الخاص بتنظيم عمليات نقل الدم وحفظه ، حيث عالج مختلف العمليات التي ترتبط بالاستعمال الطبي للدم البشري ومصله ومشتقله الأخرى. كما حرم المشرع الفرنسي على تحديد أنواع وميادين تخصص مؤسسات نقل الدم ومؤسسات الرعاية وذلك بهدف تعزيز تعاونهم وتأمين إشراف طبي على المتبرعين والمتلقين. والامتثال لقواعد الممارسة الجيدة في السيطرة على منتجات التبرعات والإشراف أثناء إجراء عملية نقل الدم مع الالتزام بالمسيرة المطلقة^(٥).

حتى صدور قانون رقم ٩٢/٥ ؛ ك قانون الثاني ١٩٩٢ بشأن السلامة في ميدان نقل الدم (الخلا حاليًا)^(٦).

وفي جمهورية مصر العربية فإن القانون رقم ١٨٧ لسنة ١٩٦٠ قد أباح عملية نقل الدم سن المتبرع إلى المتبرع له، في حين أن المشرع العراقي لم ينظم عملية نقل الدم بقانون خاص بذلك كما في مصر وفرنسا بل تركه الأمر وفقاً للقواعد القانونية العامة ، حيث تعتبر المادة (٤١) الفقرة الثانية من قانون الحويصات العراقي السند القانوني لمسألة نقل الدم بغلبة للمريض كأي عمل طبي آخر يتم لمصلحة المريض إقلاً لحياته.

^١ : رأيت عبد أحمد ، للرجع السابق، ص ٥٩.

^٢ : رأيت عبد أحمد ، للرجع السابق، ص ٦٣.

^٣ : Marshall Merfin and Bird Thomas, op.cit.p-12.

^٤ :Rousselet Marcel (and others) Droit penal special edition entièrement refondue et mise jour 22 rue,soufflot Paris, v.1972.p.356.

^٥ : Circular DH/DGS/3B.NO.47of 15jan 1992 on the follow up.transfusion safety between blood transfusion establishment and care establishments(int.digestof the health legislation 1992,vol43,no2,p.282)

^٦ : Law no,93-5 of 4 January 1993 on safety in the field of blood transfusion and in regard to medicaments (international digest of health legislation 1993 vol.44,no2,p.236)

أما السند الذي يجب اعتماده لتكليف ائتمام مسؤولية الطبيب في مجال التبرع بالدم حيث كان محل نقاش وخلاف بين فقهاء القانون الجنائي فذهب بعضهم إلى أن أساس ائتمام مسؤولية الطبيب يعود إلى حالة الضرورة ، في حين ذهب جانب آخر من الفقهاء إلى أن أساس ائتمام المسؤولية يعود إلى المصلحة الاجتماعية . وهذا ما سوف نوضحه تباعاً .

أولاً: حالة الضرورة: وتتحقق هذه الحالة عندما يجد فيها للشخص نفسه أو غيره أمام خطر حال ومصدق وليس باستطاعته تفاديه إلا بارتكاب الجريمة ، حيث نصت المادة (٦٤) من قانون العقوبات الاتحادي بقولها: " لا يسأل جنائياً من ارتكب جريمة ألجأته إليها الضرورة وقاية لنفسه أو ماله أو نفس غيره أو ماله من خطر جسيم على نفسه أو غيره ولم يكن لإزالته دخل في حوله... " وهو ما نصت عليه المادة (٦٢) من قانون العقوبات العراقي بقولها: " لا يسأل جنائياً من ارتكب جريمة ألجأته إليها الضرورة وقاية لنفسه أو غيره أو ماله أو مال غيره من خطر جسيم محقق لم يتسبب هو فيه صدا ولم يكن في قدرته منعه بوسيلة أخرى... " (١)

ويذكر عرف فقهاء القانون الجنائي حالة الضرورة : بأنها مجموعة الظروف التي تهدد شخصاً أو تسبب غير خطر جسيم محقق يقع على النفس أو على المال وتؤدي إليه في ذات الوقت بطريق الخلاص منه أو تفاديه ولا يكون هذا الطريق إلا بارتكاب الفعل المكون للجريمة التي من شأنها دفع الخطر الحال .

وقد اعتبرت حالة الضرورة أساساً شرعياً للعمل الطبي عامة ولبعض الأعمال الطبية الحديثة بمسورة خاصة (٢) ، مثل عمليات نقل الدم وزرع الأعضاء البشرية باعتبار أن العمل الطبي يمس جسد الإنسان والذي قد يمتد هذا المماس إلى استئصال عضو أو زرع آخر بدله استناداً إلى حالة الضرورة التي يواجهها الطبيب باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتفادي ضرر كبير وذلك بإحداث ضرر أقل (٣) خاصة وأن ليس هناك أي اعتراض على الافتقالات التي ترتب على المماس البسيط والمؤقت بجسم المتبرع من أجل مصلحة المتبرع له طالما أن المتبرع الذي يتحمل هذا الضرر يستهدف به تفادي ضرر أكبر بالنسبة للغير الذي يكون بحاجة ملحة لهذا النقل (٤) .

لما أساس لئتمام مسؤولية الطبيب القائم بعملية نقل الدم في ظروف ضرورية قصوى ، فقد تعددت الآراء ما بين اعتباره واقفاً تحت تأثير إكراه معلوم نشأ عن حالة الضرورة ، وما بين انتفاء التكليف الجنائي في حله ونفيه في معالجة المريض بدواهي إنسانيته (٥) .

الخلاصة : يمكن القول بعدم صلاحية حالة الضرورة كمسند قانوني لعملية نقل الدم بالنسبة للمريض ، وعدم صلاحيتها أيضاً كأساس قانوني لعملية التبرع بالدم وذلك لتختلف شروط مهم وهو وجود خطر جسيم وشيك

١ : نفاها الماده (٦١) من قانون العقوبات المصري .

٢ : أحمد عمرو سعد ، زرع الأعضاء بين الخطر والإبادة /موسوعة الفقه والقضاء للقول الفرية/١٩٨٧/ص٣٤ .

٣ : راسم سحر المصري/حالة الضرورة في قانون العقوبات /دراسة مقارنة /رسالة دكتوراه /جامعة بغداد /١٩٩٥/ ص٨٧ وما بعدها .

٤ : أحمد عمرو سعد ، زرع الأعضاء بين الخطر والإبادة /للمرجع السابق/ص٣٥ .

٥ : الدكتور أحمد شرفي عبد الجبار /للمرجع السابق/ ص٣٦ وما بعدها .

لأن نظام خزن الدم ومشتقاته هو النظام المتبع في جميع بؤك الدم والذي بموجبه يتم سحب الدم من المتبرع ، لأن نظام خزن الدم يتوافق إلى بنك الدم بشكل طوعي للتبرع بدمائهم وإجراء الفحوص المخبرية على كريات الدم المسحوبة وذلك لغرض حفظها واستعمالها عند الحاجة . فاستعمال الحق هو الأسس القانوني الذي تقوم عليه عملية نقل الدم على أساس أنها صورة من صور النشاط الطبي ، لذلك تعتبر المصلحة الاجتماعية هي الأسس القانوني لعملية التبرع بالدم.

ثانياً: المصلحة الاجتماعية: يمكن القول أن صلايات نقل الدم إذا كان هدفها العلاج للمريض فإن أساسها يكون بلا شك تصريح القانون بالعمل الطبي وهي لا تند كذلك بالنسبة لمن ينقل منه الدم وذلك لتخلف شرط من شروط هذا الترخيص ، وهو شفاء من يتعرض لنقل الدم ، وبالتالي لا تستند في إلاحتها إلى تصريح القانون . وإنما إلى فكرة المصلحة الاجتماعية التي بموجبها يتكفل الفرد المعلن عن جزء من أجزاء جسمه لشخص آخر يعاني من مرض جسمي ويقلقه وظروفه الاجتماعية^(١) . فموجب هذه الفكرة فإن أي إنقاص من المتبرع بدم محدود يؤدي إلى زيادة الطلب الاجتماعي للمريض الذي تقلقت حياته وإن ترقبت على هذه العملية عدة مخاطر طالما كانت محددة ، بحيث يستطيع المتبرع تحملها باسم التضامن الإنساني والاجتماعي^(٢) . وإن الحق في سلامة الجسم هو المصلحة التي يمتد بها القانون لكل فرد من أفراد المجتمع في أن يحتفظ بسلامة جسمه وأن يتحرر من الأعباء البدنية وأن تؤدي أعضاء الحياة في جسمه وظلتها بصورة طبيعية . وإذا كان استئصال العضو البشري من جسد المتبرع يعد مساساً وانفصلاً بتكامله الجسدي ، فإن نقل الدم من جسم المتبرع يعد إضعافاً من قدرته الطبيعية على المقاومة والاحتمال^(٣) ، أو مساساً بالمستوى الصحي الذي يتمتع به المتبرع ، إلا أن هذا المساس لا يعاقب عليه القانون إلا إذا حال دون استمرار أعضاء وأجهزة جسمه في أداء وظلتها بالشكل الطبيعي^(٤) .

لذلك نجد أن الحق في سلامة الجسم يستند في أساسه على طبيعة اجتماعية تنبثق على عاقله مجموعة من الالتزامات لا يستطيع القيام بها إلا إذا كانت سلامة جسده مصونة ، ويقابل هذه الالتزامات والمزايا التي يحق للمجتمع لتضامنها من نشاط الأفراد لذلك لا يجوز للفرد أن يحرم المجتمع منها لأنه غير ذي صلة في ذلك^(٥) . ويترتب على ذلك أن كل اعتداء على سلامة الجسم وإن كان يرضى المجني عليه يعد إضراراً لحق ارتباط مقرر لمصلحة المجتمع طالما قلل هذا الاعتداء من الإمكانيات التي تتطلبها الوظيفة الاجتماعية^(٦) . وبالتالي لا يعد المجني عليه سبباً عاماً لإلحاح جرائم الاعتداء على هذا الحق ، لأنه يتجرد من كل قيمة في الحدود التي يمتد إليها الارتفاق الاجتماعي ، بحيث يبقى حق المجتمع قائماً ويظل لمس الاعتداء خاضعاً

^١ : الدكتور حدي عمر ، المسؤولية دون خطأ للعراق الطبية العامة/رسالة دكتوراه/دار النهضة العربية/القاهرة/١٩٩٥، ص ٨١.

^٢ : أحمد عمود سعد/زح الأعضاء بين الحظر والإباحة/الرجع السابق ، ص ٣٥.

^٣ : محمد ساني السيد الفراء/السلامة البدنية للحق في سلامة الجسم/١٩٨٦/ص ١٥٨.

^٤ : الدكتور سلطان الشاوي/البراهم الخاصة بسلامة الجسم/مجلة العلوم القانونية /المجلد العاشر/العدد الثاني /١٩٩١/ص ٩ وما بعدها.

^٥ : الدكتور أحمد شرفي عمر، المرجع السابق، ص ١٤.

^٦ : الدكتور جابر مهنا/شبل/الرجع السابق/ص ٥١.

لتجريم القانون^(١)، فإذا ثبت أن نقل الدم من المتبرع وحول دون أداءه لوظيفته الاجتماعية إلا أن وضعه الصحي لا يتحمل محب الدم منه بحيث يترتب على نقل دمه عدم قدرته على القيام بجميع الأعمال ذات القيمة الاجتماعية، فإن نقل الدم يعتبر عمل غير مشروع ولو كان في الوقت نفسه يضمن صحة شخص آخر.

أما إذا تجاوزنا الحدود التي يمتد إليها الارتفاق المقرر للمجتمع، فإن الحق في سلامة الجسم سوف يتحدر من هذا الارتفاق وبالتالي لا يفهم فعل الاعتداء لتجريم القانون إلا إذا كان يغير رضاء المجس عليه^(٢) فإذا رضى للمتبرع بسحب الدم منه كان لهذا الرضاء أثره المبيح في تجريد فعل السحب من صفة العدوان طالما أن هذا الفعل لا يؤدي بأي حال من الأحوال إلى إضعاف إمكانية المتبرع إلا في حدود ضئيلة بحيث لا تعوقه عن أداء أصالة ذات القيمة الاجتماعية. لحظة الإباحة تكمن بالرضاء الصادر من المتبرع إذا استمر هذا الرضاء بتحقيق مظنة اجتماعية.

للخلاصة: لخص مما تقدم أن عملية نقل الدم تستند في إيلقتها إلى الرضاء الصادر من المتبرع طالما لا تلحق بالجسم سوى ضرر وقتي قابل للإصلاح ولا يحول إجراؤها بين من نقل الدم منه وأداء وظيفته الاجتماعية على النحو المادي المألوف، وللتأكد من ذلك يجب مقارنة الوظيفة الاجتماعية لكل من المتبرع بالدم والمتلقي له، فإذا كانت الفائدة التي تعود على نقل الدم أكبر على المجتمع من الفائدة التي تعود على عدم إجراؤه، كانت عملية نقل الدم من المتبرع مشروعة وفقا للمصلحة الاجتماعية لما تحققه من مصلحة للفرد في البقاء، ومصلحة المجتمع في تأكيد روح التضامن الإنساني ومراعاة المصلحة العامة في المحافظة على حياة الأفراد والتقدم العلمي الطبي.

الفرع الرابع

شروط عملية نقل الدم

من المعلوم أن عملية نقل الدم هي سحب كمية من الدم في الحدود المسموح بها طبيا من ورید شخص إلى ورید شخص آخر بهدف تمويض دم مفقود بمقدار يهدد الحياة. من خلال هذا التعريف نجد أن هناك مرحلتين الأولى: مرحلة التبرع بالدم، والمرحلة الثانية: مرحلة نقل الدم إلى المريض، ولكل من المرحلتين شروطها:

شروط التبرع بالدم

حددت الدول الأسس العامة التي تنهني عليها عملية التبرع بالدم، فهناك شروط طبية وشروط قانونية ولزم توأهما لإباحة عملية التبرع بالدم، ومن هذه الشروط ما يلي:

^١: الدكتور محمد نجيب حسن، الحق في سلامة الجسم/١٩٥٩/ص ٥٤١.

^٢: الدكتور أحمد شوقي عمر/المرجع السابق/ص ٤٥ وما بعدها.

الشرط الأول

رضاء صائر من المتبرع بالدم

يجب أن تصدر موافقة المتبرع بالدم وبالتالي فلا يحق للطبيب أن يمس جسم الإنسان دون موافقته ، فالإنسان حر وله كرامة ومن حقه الاحتفاظ بصحته وسلامة جسمه ، وإن أي اعتداء على دمه ، فإن ذلك يعد اعتداءً على هذا الحق وخرقاً لمبدأ التكامل الجسدي للإنسان ما لم يتم نقل الدم برضاه^(١).

لرضاء الشخص المتبرع بدم شرطاً أساسياً لإباحة التصرف في الدم والحصول على الرضاء على المتبرع شرطاً ضرورياً وذلك لما يطرأ عليه من مخاطر كثيرة قد يتعرض لها المتبرع ، لذلك نجد أن التشريع الفرنسي قد اشترط رضاء المتبرع أو من يمثلته قانونياً^(٢) . وليس لهذا الرضاء صورة معينة يفرغ فيها ، فقد يكون ضمناً ، وقد يكون صريحاً قولاً أو كتابةً ، ولم يشترط المشرع في دولة الإمارات في مجال نقل الدم صدور رضاء كتابي من المتبرع ، وإنما ترك الأمر للقواعد العامة ، والقاعدة العامة في الرضاء أن يكون صريحاً بالقول ويمكن أن يكون ضمناً . إلا أن بعض التشريعات تطلب للاعتداد بصحة الرضاء الصلح من المتبرع أن يكون مكتوباً ، كما هو الحال في فرنسا ، حيث نصت المادة (٣/٦٦٧) من قانون الصحة العامة رقم ٨٤٦ لسنة ١٩٦١ على عدم جواز إحداث أي تغيير على خصائص الدم البشري قبل السحب إلا بعد صدور موافقة مكتوبة من قبل المتبرع^(٣).

١. أهلية المتبرع: يشترط لصحة رضاء المتبرع أن يكون المتبرع بالغاً ، أي أن يكون رضاءه معبراً عن إرادة ذات دلالة قانونية ، ولا يكون ذلك إلا إذا كان المتبرع قد بلغ سن الرشد ، وأن يملك القدرة على تقدير دلالة رضاءه وفهم مغزاها الحقيقي ، لأنه بدون هذا التقدير والقدرة لا تكون لسجلادة أية دلالة قانونية^(٤).

في فرنسا يستطيع جميع الأشخاص البالغون والمتفهمون بصحة جيدة التبرع بدمائهم وفقاً للقرار الوزاري الصادر في ٣ نوفمبر ١٩٦٦ والذي حدد من إعطاء الدم ما بين سن ١٨-٦٠ وحدد التبرع بالدم فيما بعد من السنين علماً^(٥).

لما في مصر فقد اشترطت المادة الرابعة من القرار الوزاري رقم ١٥٥ لسنة ١٩٦١ عدة شروط يجب توافرها في الأشخاص الذين يحق لهم التبرع بالدم ، منها ضرورة أن يحل المتبرع بطلقة شخصية ، وألا يقل سنه عن ١٨ ولا تزيد على ٦٠ عاماً^(٦).

^١ : الدكتور مصطفى العريش / القانون الجنائي العام / الجزء الثاني / المسؤولية الجنائية / الطبعة الأولى / ١٩٨٥ / ص ١٧٠ وما بعدها - د. أحمد

شوقي عمر ، المرجع السابق ، ص ٦٨

^٢ : انظر القانون الفرنسي حول السلامة في ميدان نقل الدم رقم ٥-٩٣ الصادر بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٦٣ الذي أضاف في المادة

٣/٦٦٦ فقرة سحب الدم فقط بموافقة المتبرع وأن يكون من قبل طبيب.

^٣ : إن التغيرات الحاصلة على عيانات الدم البشري نظمتها القانون رقم ٦٦-٨٤٦ الصادر في الثاني من آب ١٩٦١ إذ جاء في الفقرة الثانية من المادة (٦٦٧) على أنه : " مصل الدم الإنسان لا يمكن أن تغير قبل أخذ الدم إلا من قبل الطبيب ، ولا يتم التبرع إلا بموافقة الطبيب كتابة..."

^٤ : الدكتور محمد زكي أبو علي / القانون الطبي / الطبعة الثانية / القسم العام / الجزء الثاني / الطبعة الخامسة / بيروت / ١٩٨١ / ص ٢٦٤ وما بعدها.

^٥ : الدكتور حمدي علي عمر ، المرجع السابق ، ص ٦١.

^٦ : الدكتور حمدي علي عمر ، المرجع السابق ، ص ٦٢.

وإذا كان الحصول على موافقة المتبرع البالغ والمتمتع بوقائه العقلية قبل إجواء صلية نقل الدم إجراء لابد منه ، فهل يمكن إسنادر هذه الموافقة من القاصر؟ وهل يمكن نقل الدم من جسم القاصر بعد موافقة من له سلطة عليه من الناحية القانونية؟

ذهب جلف من الفقه الفرنسي والمصري إلا أنه لا يمكن الاعتداد بالرضا الصادر من القاصر لنقل جزء من دمه بأي صورة من الصور لأن هذا النقل لا يطوي على أي منفعة علاجية له بل على العكس قد يشكل خطراً كبيراً يهدد حياته^(١)، وإذا كان الهدف من صلية نقل الدم هو التضمن الإنساني والمساهمة في إنقاذ حياة الناس ، فيجب أن يكون بالغاً رشيداً ومتنعاً بالأهلية القانونية لأجل إعلامه وتبصيره بجميع المخاطر التي يمكن أن تتربط على صلية التبرع الدم ، فإذا كان التبرع قاصراً لا تتوافر لديه القدرات الكافية على معرفة مخاطر هذه العملية^(٢).

وكذا أقر المشرع الفرنسي للقاعدة العامة التي تحرم نقل الدم من القاصر وعدم الأهلية وذلك لعدم قدرة الشخص في هذه الحالات على إعطاء رضاء حر صحيح والحصول على موافقته بالمعنى الكامل وذلك في الفترة الخامسة من المادة (٦٦٦) من قانون الصحة في ميدان نقل الدم التي تنص: "لا يجوز نقل الدم من شخص بالغ أو مكونته بهدف الاستعمال العلاجي للفائدة شخص آخر على قاصر أو على شخص بالغ من الرشد وخاضع لإجراءات حماية قانونية"^(٣). وكذلك الحال في ألمانيا فقد نص مشروع قانون نقل الدم على أن يكون قبول الممثل القانوني وبشكل خاص للمتبرع غير كامل الأهلية ضرورياً.

٢. أن يكون الرضا حراً
يجب أن تكون موافقة المتبرع بالدم موافقة حرة ، وهي الموافقة الحرة الصادرة عن شخص صال رشيد ، متمتع بملكات نفسية وعقلية سليمة تمكنه من التعبير عن نفسه بحرية دون أن يخضع لأي ضغط أو إكراه يعيب إرادته. أي أن تكون إرادته سليمة مما يعيها من إكراه أو غلط أو استغلال أو غبن حتى يمكن أن يعتمد بالرضا الصادر عنها^(٤) . فلا يجوز للطبيب في إطلاق عمليات نقل الدم إكراه أي شخص على التنازل عن دمه مهما كانت الظروف والدواعي ، بل يجب على الطبيب المختص أن يتأكد من أن التبرع خالي من أي ضغط وأنه يتم بدوافع إنسانية .

ومن هنا كان تأكيد حرية الرضا وضرورة أن يتحقق القائم بالعملية من أن يقدم للتبرع بدمه لم يخضع لأي ضغط مهما كان نوعه ، وأنه وافق على التبرع بالدم بشكل إرادي ولم يتعرض لأي نوع من أنواع القسر والإكراه. ولم يقع تحت أي ضغط من أي نوع وأنه وافق على التبرع بشكل إرادي خالي من الإكراه^(٥) حيث أوجبت الفقرة (١٨) من الأمر الوزاري الفرنسي الصادر بتاريخ .

١ : د. أحمد شوقي عمر ، المرجع السابق ، ص ٨٠. Marshall Merlin and Bird Thomas ,Blood loss and replacement, 1979,p.35.

٢ : د. حدي علي عمر ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

3 : Law No.93-5-of A January 1993,op.cit.p237

٤ : د. أحمد شوقي عمر ، المرجع السابق ، ص ٧٥ ، د. حدي عمر ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

5 : Article , 6 , Entwurf eines Gesetzes Zur Regelung des Transfusions wesens (TransFusions gesetz – TF G) den 13 Jan 1998

كما نصت الفقرة الأولى من المادة الثالثة قانون الضوابط على أنه : (يجب أن يكون النوع بنسبة الظروف طوعاً ولا يمارس على القصر أي ضغط من أي نوع).

٢١ تموز ١٩٩٢ على مؤسسات نقل الدم احترام الطبيعة للتطوعية عند إجراء نقل الدم باعتبارها من المبادئ الأساسية التي يتوجب الإبقاء بها من قبل هذه المؤسسات^(١)، كما يستلزم اللقمة الفرنسي ضرورة أن يكون الرضا ضروريا و حرا من جانب الشخص الذي ستجري له عملية نقل الدم و أن يكون المتبرع عند تنازله عن دمه في حالة نسبية و عقلية تتيج له التمييز عن إرادته بحرية كاملة وعدم وجود أية ضغوط نفسية عليه^(٢) ، و من المشاكل التي يثيرها استنزاف أن يكون الرضا حرا مدى احترام الطبع الإرادي في الاشتراك بعمليات نقل الدم بالنسبة للشخص الذين يكونون في حالة تيمية كالمسجونين و المحكوم عليهم بالإعدام ، فهل يمكن التعويل على الرضا الصادر منهم بالنقل جزء من دمهم إذا كان بدفع رغبةهم في تخفيف الحكم عليهم؟ لم تلجج التشريعات الجنائية مسألة نقل الدم من المسجونين و المحكوم عليهم بالإعدام و إنما عدت عملية أخذ الدم عتوة من أسرى الحرب أينما مقصوداً للإسكان يجب المعاقبة عليه باعتباره عملاً مجرماً^(٣) .

٣. أن يكون المتبرع متفهما :

لكي يستطيع المتبرع إعطاء موافقة بأخذ الدم أو الامتناع عنه يجب أن يكون رأياً صحيحاً ، ولا يتم ذلك إلا إذا قام الطبيب المختص بعملية سحب الدم بإطلاع المتبرع على طبيعة هذه العملية، و أن يصره بجميع المخاطر المحتملة التي قد يتعرض إليها حالاً أو في المستقبل حتى يتسنى للمتبرع التنبؤ بعملية التفسير والمقارنة بين هذه المخاطر والفائدة المرجوة من عملية نقل الدم^(٤) .
وقد نصت غالبية القوانين المنظمة لعملية نقل الدم على ضرورة إطلاع المتبرع على التلخيص و المضاطر المحتملة لقراره المتمثل بنقل الدم من جسمه^(٥) ، و في فرنسا فقد جعل الأمر الوزاري الصادر في ٢٩ تموز ١٩٩٢ أحد الشروط التي يتوجب على مؤسسات نقل الدم الإبقاء بها هو تزويد المتبرعين بجميع المعلومات الضرورية حول التبرع و استغلاله و تأمين إيلاخ المقترحين بالبوليفات الطبية المتوافرة لديها و المرتبطة بصحتهم^(٦) ، كما اعتبر قانون نقل الدم في ألمانيا الاتحادية أن مسألة التوضيح و التبول من الدخائم الأساسية لعملية التبرع بالدم، ولا يكون قبول المتبرع فعالاً إلا إذا أطلع على أهمية و مدى خطورة عملية التبرع بالدم على أن يكون هذا القبول مؤيداً بشكل خطي من قبل المتبرع و الطبيب المجاز قانوناً^(٧) .
أما اللقمة فقد أجمع على ضرورة قيام الطبيب بتفسير المتبرع بكل المضاطر الطبية التي قد تتربط على عملية نقل الدم وكذلك بجميع المضاطر الاجتماعية والاقتصادية التي قد تتربط على عملية نقل الدم هذه ، منها مثلاً

^١ : Order of 29 July 1992 laying down the conditions to be Fulfilled by blood transFusion establishments in other to retain coverage by the Agreement provided For by ArticleL. L . 667 of the public Health code (International pigest of Health LegisLation , VoL . 44 . No.2, 1993 .P. 233)

٢ : الدكتور أحمد خرفي ، عمر ، المرجع السابق ، ص ٧٦ وما بعدها .

٣ : الدكتور مصطفى العوسي ، المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

٤ : الدكتور جابر مهنا شبل ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

٥ : حيث نصت الفقرة الثانية من المادة الثالثة من قانون الضوابط التي تحكم نقل الدم في العراق على أنه : (ذهب أن يكون المتبرع على علم بالمضاطر الكامنة في أخذ الدم و يتوجب الإصمام باستمرار بصحة المتبرع و سلامة) .

6 : Order of 29 July , 1992,op.cit.p.234

٧ : الدكتور أحمد خرفي ، عمر ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

عدم كفاءة المتبرع على القيام بواجبات معينة ، أو ممارسة عمل معين أو مهنة محددة إذا سحبت منه كمية الدم المطلوبة^(١).

إسلامة المتبرع تقتضي قيام الطبيب بتقييمه ، لأن المتبرع في أغلب الأحوال يعاني من أمراض خطيرة تجعله غير قادر على التبرع بالدم منها مثلا إصابته بمرض القلب والشلل وأمراض الأوعية والأمراض المعدية الأخرى . وتظهر أهمية تقييم المتبرع من قبل الطبيب بشكل واضح عندما يكون المتبرع مصابا بارتفاع ضغط الدم إذ لا يسمح له لهائلا التبرع بدمه نظرا لاحتمال تعرضه لمضاعفات اضطراب ضغط الدم الناتجة عن سحب الدم من جسمه.

ولإثبات قيام الطبيب بواجبه في تقييم المتبرع ، اشترطت بعض المراكز توقيع المتبرع على بيان يؤيد أن المعلومات المتعلقة بعملية نقل الدم قد تولفرت ولهمت من قبله.

الشرط الثاني

أن يكون التبرع بدون مقابل

ويكفي الرضاء المصادر من المتبرع لأجل إقامة عمليات التبرع بالدم ، بل يجب لأن يكون نقل الدم على سبيل التطوع ، وبالتالي فلا يجوز للمتبرع أن يتقاضى عوضا عن دمه لأن جسده ليس محلا للمعاملات التجارية والمالية، وبالتالي يجب أن لا يكون تنازله بدافع الربح أو المقابل المادي ، بل بدافع المحبة والتضامن الإنساني والتراحم والتضحية والإيثار^(٢). وحتى لا يصبح المجال لتجارة الإنسان بدمه ، نجد أن بعض التشريعات قد نصت على منع بيع وشراء دم الإنسان أو تقلدني أية منفعة مادية أو تحقيق الربح ، ومن هذه التشريعات ، التشريعات الصادرة في فرنسا حيث منعت المادة (٦٧٣) من قانون الصحة العامة تحقيق أي ربح أو كسب مادي من عمليات نقل الدم ، حيث حدد أسماؤها وزير الصحة الفرنسي في القرار الوزاري الصادر في ٤ كانون الثاني ١٩٥٢ ، ولأن أية خروقات للقرارات الرسمية حول العمر تكون العقوبة الحبس من ثلاثة أشهر إلى سنة وغرامة من ٢٤٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠٠٠ ألف فرنك أو إحدى هاتين العقوبتين^(٣) . كما أقر المشرع الفرنسي مبدأ التنازل بدون مقابل في التشريع الخاص بحفظ ونقل الدم رقم(٨٥٤) للمصادر في ٢١ تموز ١٩٥٢ ، والذي أكد نقطة أساسية تتعلق بمجانبة أو تبرعية تقديم الدم معتبرا الدم البشري عصبيا من عناصر جسم الإنسان التي لا يجوز بيعها أو الاتجار فيها من قبل المتكافئين ، ولتضامن حق المتنازل على المطالبة بالتعويض عن الأضرار التي نشأت عن ضعف أو نقص في قدرته البديلة أو التي نتجت عن تعطله عن ممارسة أعماله مع المطالبة بالتعويض في سبيل إجراء العملية^(٤). كما أكدت على غياب الربح المادي عند تنفيذ نقل الدم للفترة الأولى من المادة (٦٦١) من قانون السلامة في ميدان نقل الدم الفرنسي ، حيث نصت على أنه : "نقل الدم لمصلحة المتلقي وتحكمه المبادئ الأخلاقية للتطوع الاختياري وسهولة التبرعات وغياب الربح المادي في ظل شروط يضعها القانون" كما نصت للفترة الثالثة من المادة أعلاه على أنه .

^١ : الدكتور جابر مهنا شبل، المرجع السابق، ص ١٥٩

^٢ : الدكتور أحمد شوقي عمر ، المرجع السابق ، ص ٨٢.

^٣ : Dalloz - Repertoire Driot criminal et de procedure penal, II-1954, p.44

^٤ : الدكتور صاحب جيه العنزي ، التشريعات الصحية/ط ١/نظر الثقافة/عن ١٩٩٧/ص ١٢٨.

* لا يجوز منح مكافأة إلى المتبرع بدون إجحاف حقه في التمويض عن النفقات التي تحملها بموجب الشروط التي وضعها المرسوم^(١). وتنفيذاً للفترة الثلاثة من المادة (٦٦) من قانون الصحة العامة الفرنسي فقد صدر المرسوم ذي الرقم ٦١١-٩٤ في ٢٠ تموز ١٩٩٤ الذي نص على القواعد الخاصة بالمصيفة التطوعية الاختيارية للتبرع بالدم وهي كما يلي:

١. لا يجوز منح مكافأة عند التبرع بالدم أو مكوناته بشكل مباشر أو لية أمور أخرى سواء مملوفاً أو مواد حيوياة أخرى.
٢. يجوز أن تستمر الأجرور المدفوعة من قبل صاحب العمل إلى المتبرع لتتجاوز واجباته المهلولة أثناء الوقت المخصص للتبرع بشرط أن لا يكون المتبرع عابفاً مدة تزيد عن الفترة الضرورية لأغراض الانتقال من موقع العمل إلى الموقع الذي يتم فيه سحب الدم.
٣. يجوز تقديم هدية رمزية تمثل شكرأ إلى المتبرع وفقاً للتعليمات أو الأنظمة السارية للممول.
٤. تخول المرافق المتخصصة بطلب الدم تمويض المتبرع عن نفقات الانتقال التي يتحملونها باستثناء أية تمويضات ذات نسبة ثابتة.

أما المشرع في دولة الإمارات فلم ينص على المنع الصريح من الحصول على الدم عن طريق البيع وشراء بين الأشخاص أو بين الأشخاص ومراكز التبرع بالدم.

وليس الشيء نجد المشرع المرقي لم ينص صراحة على هذا المنع (بيعاً وشراءً) للدم وذلك لعدم وجود قانون ينظم عملية نقل الدم، إلا أن المشرع المرقي قد نص على منع بيع الأعضاء البشرية في عمليات زرع الأعضاء البشرية رقم (٨٥) لسنة ١٩٨٦ حيث يمكن تطبيقه على جميع أعضاء وأجزاء جسم الإنسان كالكلى البشرية ومزكاته، حيث نصت المادة الثالثة من القانون على أنه "منع بيع وشراء الأعضاء بأي وسيلة، ويمنع الطبيب الاختصاص من إجراء العملية عند العلم بذلك".

أما الجزء الجنائي على مخالفة أحكام المادة أعلاه فقد نصت المادة الرابعة من القانون أعلاه على أنه: "مقابيل بالحبس مدة لا تزيد على سنة ويفرأه لا تزيد على ألف دينار كل من يخالف أحكام هذا القانون" كما لا توجب الضوابط المعمول بها لنقل الدم في العراق أن يكون الكسب المادي حلالاً مطلقاً لا بالنسبة للمتبرع ولا بالنسبة للمستلمين عن أخذ الدم، ويجب العمل دوماً على تشجيع التبرع دون مقبول^(٢).

أما في مصر فقد عالج القانون الخاص بتنظيم ضوابط نقل الدم رقم ١٧٨ لسنة ١٩٦٠ موضوع التصرف القانوني ببيع الدم البشري الذي بموجبه تحصل بنوك الدم على الدم البشري ومكوناته ومشكلته عن طريق التبرع أو عن طريق الشراء بمقابل أجر رمزي^(٣). كما تقوم هذه البنوك ببيع الدم مرة أخرى إلى الجمهور^(٤)، وذلك بعد شراء الدم من الجمهور أحد مصادر الحصول على الجسم في مصر وحسب تسميته المحددة قانوناً وهي (٥٠) قرشاً للقبولة الواحدة، فضلاً عن ذلك فقد حدد قرار وزير الصحة المصري رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٠ المكافأة المالية التي تمنح للمتبرعين ومقدارها (١٥٠) قرشاً وذلك مقابل

^١ : Law No.93-5 of 4 January, 1993, op.cit., p.237

^٢ : فقد نصت الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من قانون ضوابط نقل الدم في العراق على أنه: "ينهي أن لا يكون الكسب المالي حائزاً مطلقاً بالنسبة للتبرع ولا بالنسبة للمستلمين عن أخذ الدم ويجب العمل دوماً على تشجيع التبرع التطوعي (دون مقابل) ومنع منها باتاً فريمصيص لمصارف الدم الأهلية (التطوعية)" قانون ضوابط نقل الدم في العراق، ص ٣١.

^٣ : أجد عمود سعد، زرع الأعضاء بين الحظر والإباحة، موسوعة الفقه والقضاء للنول المرية، ١٩٨٧، ص ٢٧.

^٤ : د. صاحب الفلأزي، المرجع السابق، ص ١٢٤.

كمية الدم بنسبة (٤٠٠م.م) مع إعطائه وجبة طعام خفيفة وبعض العقويات بعد عملية التبرع . كما وحددت المادة الخامسة من القرار الوزاري رقم (٥٥) لسنة ١٩٦١ مكافأة المتطوعين ممن لثمان السدم ومزكباته ومشغلته، كما قضت المادة الأولى من القرار الوزاري رقم (٥٥) لسنة ١٩٨٥ بأنه: "يجوز لكل مواطن يرغب في الحصول على مكافأة نظير إعطاء دمه أن يحصل على مكافأة مالية أو هدية عينية أو كليهما بما يزيد على خمسة جنيهات وذلك بقدر من المحافظ المختص" (١) .

لإعطاء الدم طبقاً للقانون المصري قد يكون بالمجان الكامل ، وقد يكون نظير مكافأة مالية وعلى الرغم من قلة المكافأة المالية إلا إنها من هداية القانونية تمد مقبلاً وبذلك يباع الدم من الإنسان إلى مراكز نقل الدم وتقوم هذه المراكز ببيعهم إلى المحتاجين له.

لما موقف الفقه فلم يفت على اتجاه واحد بشأن جواز أو تحريم التصرف القانوني بالدم البشري حيث هناك اتجاهين:

الاتجاه الأول : ذهب رأي في الفقه المصري إلى القول بأنه ليس هناك أي مانع قانوني يمنع الإنسان من تقاضي مقابل مالي لقاء تنازله عن دمه طبقاً لما ذهب إليه المشرع المصري في القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٦٠.

الاتجاه الثاني : وهو الاتجاه السائد فيها -سواء في فرنسا أو المراق- يرى أن عقد البيع الوارد على الدم البشري باطل حتى ضمن الضوابط القانونية الموضوعية من قبل أنصار الاتجاه الأول (٢)، ذلك لأن حق الإنسان على جسمه ليس حق ملكية حتى يستطيع التصرف فيه بالبيع وإنما له سلطة محدودة على جسمه تخوله إعطاء موافقته على أخذ دمه. إذا لم يوجد قانون يحظر نقل الدم من جسم المتنازل (٣). فلا يجوز للمتنازل اختتام فرصة وجود شخص محتاج إلى دم من فصيلة نادرة ويطلب منهم مبالغ كبيرة (٤)، لأن فكرة المقابل النقدي في التصرف بالدم أو مكوئته أو مشتقاته يعد أمراً مستهجناً لا يتفق مع الكرامة الإنسانية التي تقتضي أن يكون التصرف في كل ما يتصل بجسم الإنسان تبرعاً أي بدون مقابل (٥).

ومن أنصار هذا الاتجاه الدكتور أحمد شرف الدين الذي يرى عدم جواز تصرف الإنسان في أعضائه وأجزاء جسمه كالدم البشري ، لأغراض علاجية إلا بصفة تبرعية ، وكل شرط يقصد به (إعطاء المتنازل مقابلاً مالياً يقع باطلاً ولا أثر له) (٦) . وفي الفقه الفرنسي فقد ذهب الأستاذ (SAVATIER) إلى تأكيد هذا الاتجاه ، حيث يرى أن التبرع بالدم يجب أن يكون بلا مقابل ، لأن جسم الإنسان وأعضائه أسس من أن تكون محلاً لحقوق مالية، فإذا أجزر التبرع بالدم لاعتبارات إنسانية وأخلاقية فلا يجوز أن تكون محلاً للتجارة ، فالمتبرع لا يعتبر حراً وبالكف لا يجوز له الاتجار بدمه ، ويجب على مراكز نقل الدم أن ترفض الشخص الذي يترجعه إليها في فترات دورية لتقديم كمية من دمه مقابل الحصول على المقابل (٧).

١ : د. محمد عمر المربع السابق/ ص ٦٣

٢ : الدكتور منير الفضل ، التصرف القانوني في الأعضاء البشرية، ط ١، بغداد، ١٩٩٠ ص ٥٩.

٣ : الدكتور أحمد شوقي عمر، المربع السابق، ص ٨٤.

٤ : د. أحمد محمود محمد، المربع السابق، ص ٣٢.

٥ : د. أحمد شوقي عمر، المربع السابق، ص ٨٤.

٦ : الدكتور أحمد شرف الدين/ الأحكام الشرعية للأعمال الطبية/ ط ٢/ ١٩٨٧/ ص ٢٠٠

٧ : الدكتور أحمد شوقي عمر، المربع السابق، ص ٦٢.

الخلاصة: نحن نرى بعدم جواز بيع الدم كما لو كان سلعة أو بضاعة لأن نقل الدم بمقابل حصل مشين يبعث على الاحتقار لصاحبه والحظ من أدميته حتى وإن كان الهدف إنقاذ حياة الآخرين فضلاً عن خطورة ذلك على المتبرع والمريض.

شروط نقل الدم

١. إن عملية نقل الدم من العمليات التي تستهدف شفاء المريض وإفقاؤه من آلامه أو تخفيفها ، ولذلك يجب أن تمنع للتقاعذ العامة التي تحكم العمليات الجراحية التثوية.
٢. والحالات التي تستلزم إجراء عملية نقل الدم هي(١):
٣. الحوادث والإصابات والجروح الثقيلة التي تؤدي إلى فقدان كبير للدم.
٤. الحروق الشديدة.
٥. أثناء إجراء العمليات الجراحية ، عندما يصبح المريض ضعيفاً للغاية ويعاني من فقر الدم.
٦. قبل إجراء العمليات الجراحية في حالات فقر الدم المزمن.
٧. لأجل إيقاف النزيف الدموي أو كإجراء وقائي قبل الجراحة ولما كان نقل الدم من العمليات الجراحية المهمة لسلامة الجسم من حيث المخلوط غير المهنية فإنها تحتاج إلى رضاه المريض الذي يكون مهماً.
٨. أثناء إجراء العمليات الجراحية الكبرى.

الشرط الأول

رضاه متلقي الدم

بما إن عملية نقل الدم هي عملية جراحية لسلامة الجسم ، فإنها تحتاج إلى قبول المريض(١) على أساس أنه الدافع الرئيسي لبده الطبيب بمرحلة التنفيذ في مباشرة العلاج(٢)، وبالتالي فإن الحصول على رضاه متلقي الدم أمر ضرورياً لا غنى عنه وذلك صيانة لحق المريض في سلامة جسمه وتكامله الجسدي واختاراً لحريته الشخصية(٣). وإن هذا الرضاه لا يشترط شكلاً خاصاً ، حيث قد يكون صريحاً بالقول وقد يستفهم من الظروف والمناصب التي تحيط بالشخص متلقي الدم والتي تحمل على الاعتقاد بأنه لو كان قادراً على الإعلان عن إرادته لأعلن عن رضاه ، كما لا يكفي لإجراء عملية نقل الدم هو عدم معارضة المريض (المتلقي) ، وذلك نظراً للقناعة التي تمود عليه من جراء هذه العملية(٤).

أما إذا تطلب إجراء عملية نقل الدم ضمن نطاق العلاج أو الإصمالية قبل أو بعد العملية الجراحية فليس قبول المريض بالعملية الجراحية لا يعني عن القبول بإجراء نقل الدم ، إذ يجب على الطبيب الحصول على موافقة المريض بإجراء نقل الدم صراحة إذا كلفت فعالة وملحة لنجاح العملية الجراحية ، ويصلح أن تكون الموافقة

^١ : bailey and loves short practice of surgary Eighteen edition , 1981.p.76.

^٢ : Mod.H.C.walther weibsaure rechtliche problem anasth intensivmed , 29-1988.p.135

^٣ : د. عبد السلام التريخي/المسؤولية المدنية للطبيب في الجريمة الإسلامية والقانون السوري والعربي والفرنسي، ص ٣١٩

^٤ : د. أحمد شوقي عمر، المرجع السابق، ص ٩٥.

^٥ : د. محمد فائق الجبري/المسؤولية الطبية في قانون الطبقات ١٩٥٢، ص ٨٩.

ثابتة كتلة^(١)، أما إذا كانت عملية نقل الدم غير ضرورية فلهذا يجوز للطبيب في هذه الحالة الاعتماد على القبول المفترض للمريض بالنسبة لنقل الدم إذا حسب المريض صلب نقل الدم إليه أثناء العملية الجراحية التي وافق على إجرائها مسبقاً^(٢).

أما القول الضمني للمنصب على العملية الجراحية الأصلية والمستخلص من القرائن والظروف الصحية المحيطة بحالة المريض ، كطلبه من الأطباء تحويله إلى اختصاصي أو إلحاقه بالمستشفى لإجراء تدخل جراحي عليه ، فإنه لا يشمل القبول لعملية نقل الدم ، لأن الأصل في إحالة عمليات نقل الدم أن تنصب موافقة المريض على نقل الدم بوصفها عملية ثانوية يتم إجراؤها إلى جانب العملية الجراحية الأصلية^(٣) . وإن استثناء الاعتماد على موافقة المريض المسبقة على إجراء العملية الجراحية الأصلية على أن تقتصر تلك الموافقة بإدراك المريض لإمكانية نقل الدم إليه أثناء العملية.

ومن التشريعات التي اشترطت على ضرورة الحصول على رضاه المريض ، قانون مهنة الطب الفرنسي حيث نصت المادتان (٢٨-٢٩) حيث جاء فيها أن على الطبيب الحصول مقدماً على رضاه المريض بالعلاج ولا سيما إذا كانت حياة المريض في خطر^(٤).

وكذا أوجبت تعليمات السلوك المهني للأطباء في دولة الإمارات العربية المتحدة ومصر و العراق الحصول على رضاه المريض في كل عمل طبي عندما يكون في حالة يتمكن من تفهمه وليس بوسع الطبيب أن يتحدى رغبة المريض ، كما يعد الطبيب مسئولاً عن عدم الحصول على موافقة المريض في التدخلات الجراحية^(٥) .

أما الفقه فقد انقسم إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول : وهم أنصار المذهب الفردي الذين يرون عدم استطاعة الطبيب التكفل بدون حصوله على رضاه المريض ، لأن الفرد حقاً مطلقاً على جسمه لا يقبل المماس به بغير رضائه حتى مع تحقيق الغاية المشروعة للتدخل وهي استئمان المريض لصحته^(٦)، ويكون الطبيب مسؤولاً عن عدم الحصول على الموافقة.

الاتجاه الثاني : يرى أن على الطبيب عمل كل ما يؤدي إلى مصلحة المريض وفائدته ولو على الرغم منه لأن الطبيب هو الذي يقرر مدى خطورة حالة المريض ومدى احتياجه للتدخلات العلاجية . وقد أبدى ذلك مؤتمر المحامين في فرنسا في ١٨ مارس ١٩٠٢ عندما قرر عدم مسؤولية الطبيب بمجرد تجاوزه عن أخذ رضاه المريض في عملية إجرائها^(٧).

^١ : د. عادل عبد إبراهيم بن الطيب في عمارة الأعمال الطبية ومسؤولية الجراح/رسالة ماجستير/بغداد/١٩٧٦ ص ١١٨.

^٢ : W.WEIBAUER Rechtlichehgn problem der Bluttrans fusion op.cit.p.135

^٣ : الدكتور عبد السلام القروني ، المرجع السابق، ص ١١٦.

^٤ : د. جابر مهنا خليل، المرجع السابق، ص ١١٦.

^٥ : تعليمات الباروك المهني للأطباء، في العراق، رقم ٦ لسنة ١٩٨٥/ص ٣ وما بعدها.

^٦ : الدكتور عادل عبد إبراهيم بن الطيب، المرجع السابق، ص ١٠٥.

^٧ : الدكتور أحمد شوقي عبر ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

الخلاصة : على الرغم من الخلاف الفقهي السابق ، إلا أن رأي غلبة الفقهاء وشراخ القانون قد استقر على وجوب حصول الطبيب على رضا المريض بالمعلاج قبل مباشرته باعتباره شرطاً ضرورياً لإباحة الأعمال الطبية التي تقع على الجسم بصفتها عامة ، وعلايات نقل الدم للمريض بصفة خاصة (١).

المرط الثاني

تبصير متلقي الدم

المعطيات الجراحية التي تمس الكيان الجسدي للإنسان تتطلب موافقة المريض التي يبيتها تبصيره بصورة واضحة وتامة حتى يفهم هذا المريض طبيعة العلاج المقترح وما هي فوائده وما هي أخطاره حتى يكون بصورة يمكنه من اتخاذ قراره بكامل إرادته.

وكذا نأثر جدلاً فقهاء وأسماء بمفصوص مبدأ الالتزام بتبصير المريض في مجال التدخل الطبي والجراحي ، ويمكن رد هذا الجدل والنقل إلى الاتجاءات التالية:

الاتجاه الأول: يرى أنصار هذا الاتجاه ضرورة ارض على الطبيب للترام بتبصير المريض بطبيعة ونوع التدخل الجراحي وما هي مخاطره وأبعاده السلبية والإيجابية ، فيرى جانب كبير من الفقهاء ضرورة قيام الطبيب بتبصير المريض بطبيعة التدخل الجراحي ونوعه ومخاطر العلاج المقترح ، وأي كُتُيب أو إطفاء للحقيقة عن المريض يعتبر من قبيل الخطأ الطبي ويتقالي يستوجب المعاملة القانونية . فالمرضى إنسان حر يتمتع بحرية الاختيار وله حق على جسمه فلا يجوز للطبيب المعالجات المسماة بهذا الحق إلا بعد الحصول على رضاه المتبصر والمستقر. وقد أخذ القضاء التزمي بهذا الاتجاه وكفى بأن الطبيب الذي يجري عملية جراحية لمريض دون تبصيره وبالمخاطر المحتملة التي يمكن أن تؤدي إليها هذه العملية وبخير رضاه متبصر منه بعد مسؤولاً عن كافة النتائج الناجمة من جراء تدخله حتى ولو لم يرتكب خطأ طبياً (٢).

الاتجاه الثاني: يرى أنصار هذا الاتجاه -وأغلبهم من الأطباء- أن يوضع المريض تحت وصاية الطبيب الذي هو وحده الذي يملك اتخاذ القرار الطبي أو الجراحي ، ويتقالي فسررض العلاج وجرأه مناسبا لحالة المريض الصحية ، ولا يلزم هذا تبصير المريض بطبيعة مرضه والمخاطر المحتملة التي يمكن السيطرة عليها والتفويضات الموجودة والمصاحبة لكل عملية ، لأن المريض غالباً ما يكون جاهلاً بالمعقبات الطبية والأمسايب العلمية التي أنت إلى هذا التدخل فضلاً عن أن مصلحة المريض نفسه توجب على الطبيب عدم إخباره بكل المخاطر التي يتعرض لها والتي من شأنها أن تهبط بحالته النفسية وأن تؤثر على روحه المعنوية كما يجب على المريض أن يضع كل ثقته بطبيب المعالجات وأن يتوكأ له حرية اختيار العلاج المناسب لحالته الصحية دون ضرورة تلزم الطبيب بإطلاعها على نتائج العلاج .

الاتجاه الثالث: يذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أنه يجوز للطبيب أن يكتب على مرضه في حدود معينة وأن يخفي عليه حقيقة التدخل الجراحي وطبيعة مرضه، لهذا الاتجاه وسط بين الاتجاهين السابقين حيث يرى أنصاره أن التزم الطبيب بالتبصير ليس مطلقاً ، وإنما هو مقيد من الناحية العملية بأمرين وهما: جهل المريض بأصول مهنة الطب، وحالته النفسية ، ولهذا يجوز للطبيب أن يكتب على مرضه في حدود معينة مادام ذلك في مصلحة المريض ويؤدي إلى تحسين حالته الصحية .

١ : الدكتور أحمد شوقي عمر، المرجع السابق، ص ١٠٩.

٢ : الدكتور أحمد شوقي عمر، المرجع السابق، ص ١٠٩.

كما له أن يخفي عن المريض حقيقة مرضه والمخاطر غير المتوقعة طالما أن ذكر المخاطر يؤثر سلباً على حالة المريض النفسية^(١).

المبحث الثاني

أنواع الجرائم التي تلحق من جراء نقل الدم

تمهيد وتقسيم:

من المعلوم أن عمليات نقل الدم تؤثر العديد من المشاكل ويؤدي إلى الكثير من الأمراض وخاصة تلك الأمراض المستعصية كمرض الإيدز والتهاب الكبد الوبائي وغيرها من الأمراض التي يكون سببها نقل الدم الملوث من الشخص المصاب إلى الآخر .

وهذه الأمراض الناتجة عن الدم الملوث هي محور المشكلات التي تؤثرها عمليات نقل الدم.

لذلك سنتناول هذه الجرائم في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول جريمة نقل الدم الملوث إلى المريض عمدا.

المطلب الثاني جريمة نقل دم غير مطابق مع دم المريض عمدا.

المطلب الثالث جريمة نقل دم ملوث أو غير مطابق خطأ أو إهمالا.

المطلب الأول

جريمة نقل الدم الملوث عمدا

المتصور بالدم الملوث: إن تغيير الدم الملوث له معانٍ ، الأولى: بالتلوث الجرثومي ، ويقصد به تسرب الجراثيم إلى الدماء المحفوظة بسبب عدم اتخاذ الاحتياطات الفنية اللازمة أثناء سحب الدم من الشخص وعدم اتباع الطرق الفنية بصورة صحيحة^(١).

أما المعنى الثاني ، فهو التلوث الذي يعود إلى وجود أحد الفيروسات القابلة للانتقال عن طريق الدم أو أحد مشتقاته في الدم المتبرع به بسبب سوء اختيار المتبرعين أو عدم إخضاع وحدات الدم المأخوذة للمريض لفحوصات سريولوجية وذلك لأجل التحقق من خلوها من الأمراض الفيروسية ، إذ يمكن لبعض الأمراض أن تنتقل إلى الشخص المريض عن طريق الدم ، وأكثرها هي الإيدز والتهاب الكبد الوبائي والمalaria والميلان^(٢).

الفرع الأول

التكييف القانوني لجريمة نقل دم ملوث إلى المريض عمدا

سوف نمضي لجريمة نقل حموى فيروس الإيدز عن طريق الدم أو أحد مشتقاته للتكييف القانوني المناسب ، فعلى الرغم من اعتبار فيروس الإيدز من موضوعات الساعة في أغلب دول العالم سواء كان على المستوى الوطني أو على الساحة الدولية ، وذلك لما يثيره من مشاكل طبية وكانونية ناتجة عن العدوى التي تحدث بسبب نقل الدم الضروري لإجراء العمليات الجراحية أو إصابة الأشخاص المحتالين للدم بمناسبة العلاج المرتبط بحالتهم والمتطلب استخدام مشتقات الدم ، لم تنظر هذه الدول إلى هذه المشكلة من

^١ محمد بديع حمودة ، أمراض الدم/طبعة/بندورات ، طبعة دمشق/١٩٩١.

^٢ : R.M.HARPISY and DJ WEATHERALL Blood and its Disorders Black Well scientific publication oxford edinbure ,1977.p.1484.

مختلف أبعادها القانونية ، لاسيما الجنائي منها ، حيث لم توجد نصوصا خاصة للعقاب فسي حالة نقل عدوى هذا المرض إلى الغير عمدا.

وبسبب المشاكل المتعددة التي أثارها موضوع العدوى بفيروس الإيدز في سلطات القضاء فسي السنين الأخيرة والتي تعود إلى الخاصية المعقدة لهذا المرض واعتباره مصدرا عدوى ناتج عن نقل الدم الملوث ثار التساؤل عن مدى كفاية التشريعات الجنائية لحماية الأفراد من مرض الإيدز الذي ينقلونه إلى الغير أو الذين يستخدمونه وسيلة لإزهاق روح الأبرياء ، ولاسيما بعد قضية الدم الملوث (L affaire du sang contaminate) التي أثارت الخلاف ما بين الفقه والقضاء الفرنسي حول التكليف القانوني المناسب للعمل.

أولا، موقف التشريعات المقارنة:

لم نجد أية إشارة في التشريع الجنائي الإماراتي ولا في التشريع المصري ولا في التشريع الفرنسي بالعقاب على نقل فيروس الإيدز من خلال عملية نقل الدم كما لم تتعرض التشريعات الخاصة بحفظ الدم ونقله إلى العقوبات الجنائية الواجب فرضها على المتبرع بالدم أو على العاملين في مراكز نقل الدم في حالة التبرع والنقل المتعدد لدم ملوث بفيروس الإيدز أو في حالة خروجهم خروجا معيبا عن القواعد الفنية الخاصة بلحوص الدم أو مشتقاته ، مما يدل أن هذه الجريمة تركت لتحكم وفقا للقواعد العامة للمسئولية الجنائية التي ترمي إلى فرض العقاب لردع الجاني وحماية المجتمع من شره .

ومع ذلك فهناك تشريعات وضعت نصوصا خاصة للعقاب في حالة نقل عدوى مرض الإيدز . ومن هذه التشريعات القانون الكوبي ، حيث نصت المادة (١٥) من المرسوم بقانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٩٢ ، حيث عاقبت على نقل فيروس الإيدز إلى الغير بالحبس مدة لا تتجاوز سبع سنوات وبغرامة لا تتجاوز سبع آلاف دينار كل من علم أنه مصاب بفيروس الإيدز وتسبب بسببه وفاة أو قعد في نقل العدوى إلى شخص آخر . كما هو الحال في بعض الولايات في إسبانيا ، فالمخاوف التي يسبب عنها في المجتمع الاستراتيجي بشأن استخدام الحقن الملوثة بالدم المصاب بفيروس الإيدز أو التبرع بكميات كبيرة به إلى مراكز نقل الدم أو الاهتمام المتعدد بفحص الدم بسبب الحقد والشر أو أثناء ارتكاب الجنايات والجرح العنيفة و ما يترتب على ذلك من أضرار تصيب الآخرين قد دفعت بعض الولايات إلى تعديل تشريعاتها الخاصة بالجرائم لمرض أحكام سجن مشددة عن جرائم كهذه . ففي ولاية نيوساوث ويلز و أكتونيا و كوينزلاند يعد القيام بنقل العدوى لمرض الإيدز على نحو متعمد أو بقصد إلحاق الأذى المتعمد بالغير ونقل فيروس الإيدز إليه هي السجن لمدة خمسة وعشرين عاما ، مما يضمن لنا أن المشرع في الولايات الاسترالية - المذكورة - أعاد قد اعتبر النقل العدوي لفيروس الإيدز من جرائم الخطر لا من جرائم الضرر أي بمجرد توصيل الجاني -سواء كان متبرعا بالدم أو أحد أفراد الكادر الطبي المختص بالحصول الدم أو نقله - إلى إدخال فيروس الإيدز إلى جسم المجني عليه تحقق الجريمة وتضمن توقيع العقوبة دون انتظار تحقق نتيجة معينة كظهور أعراض المرض أو إصابته بأمراض معدية أو تحقق الوفاء بالعمل. أما في دولة الإمارات العربية المتحدة فإن جريمة نقل فيروس الإيدز إلى الغير عمدا عن طريق الدم الملوث تدخل ضمن الجرائم المضرة بالصحة العامة ، ذلك أن المشروع الإماراتي لم يشترط استخدام وسيلة معينة لارتكاب الفعل المكون للجريمة ، فقد تكون الوسيلة الدم الملوث أو أحد مشتقاته طالما تؤدي إلى حصول النتيجة الجرمية التي يسعى المشرع إلى مكافئتها والحيلولة دون وقوعها أو عقاب مرتكبها عند حصولها أو الشروع فيها ، وهي تشر لحد الأمراض الخطيرة المضرة بحياة الأفراد. وفيروس الإيدز

من الأمراض التي تتطوي على خطورة لكيفة تنوع خطورة سائر الأمراض المعدية^(١) الأخرى ، و تتمثل هذه الخطوة في سرعة انتشاره لدم وجود قاح أو لئوية مضادة إذ مازال العلم الطبي عاجزاً أمام إيجاد وسيلة علاج تقضي على هذا المرض أو تقلل من خطورته ، و إنما تعمل كل العقول السكفة على الإقلال من ألام المرض أو عدم إيظالة مدته^(٢)، فيعيش المريض به مهتماً باستمرار بالوقت بأي لحظة .

وفي مجال عمليات نقل الدم نجد أن لمل الجاني المتمثل بالبرع بالدم الملوث أو عدم إجراء الفحص الحارم للكشف عن وجوده أو نقله إلى جسم المجلي عليه من قبل أحد أفراد الكادر الطبي يصلح لنا لإحداث النتيجة الجرمية المتمثلة في انتشار مرض الإيدز نظراً لطبيعة هذا الفيروس و خصائصه المعقد و الخطرة .

ومتى ثبت توافر الركن المادي للجريمة من نشاط إجرامي و نتيجة جرمية متمثلة بإيجابية دم المجني عليه لفيروس الإيدز و علاقة سببية تربط بينهما مع ثبوت القصد للجاني لدى الجاني الذي يتحقق بجناه إرنته إلى ارتكاب السلوك الإجرامي و إلى تحقيق النتيجة المماليب عليها و هي إصابة أحد الأشخاص بفيروس هذا المرض مع علمه بجميع عناصر الواقعة الإجرامية ، أصبح الجاني مسؤولاً عن جريمة نشر مرض خطير و استحق العقاب المصوب عليه في القانون . وعلى الرغم من رجحان اتجاه المشرع الإماراتي بصدد اعتبار الجرائم المضرة بالصحة العامة من جرائم ذات الخطر العام ، إلا أننا نأخذ عليه بأنه يرتب عقوبة قليلة على مرتكب هذه الجريمة لا تتسم نهائياً مع الخطورة المترتبة على نشر أحد الأمراض السارية أو المعدية و خاصة إذا كان هذا المرض هو فيروس الإيدز . لذلك لا نجد هذه المواد المذكورة في قانون العقوبات منسداً حداً للعقاب على النقل العددي لفيروس الإيدز ومنع انتشاره لعدم انسجام العقوبة مع الخطورة المترتبة على نقل هذا الوباء من جانب ولا قباغ وصف المادة الضارة على الأمراض التي تتحقق بنشرها هذه الجريمة من جانب آخر ، ذلك لأن فيروس الإيدز يعد مادة كائفة مؤهقة لأرواح المجني عليه وليست ضارة ، و إن إعطاه التكليف الأخير أو الوصف القانوني الأخير سبباً في حيث الخطورة بينه وبين الأمراض السارية الأخرى التي تنتقل عن طريق نقل الدم كالتهاب الكبد و الزهري . في حين أن التكريرات التي تحدثها هذه الأمراض على جسم الإنسان لا تصل إلى ما يرتبه فيروس الإيدز من مغلط حتمية على حياة الإنسان والتي تسوي إن لم تنفق ما تحدثه المواد العسلة أو الثقلة في جميع الأحوال إذ يعد المصالب به في حكم الموت .

لذلك نقرح على المشرع الإماراتي معالجة هذه الجريمة بتمعق أكثر و فرض عقوبات منسجة مع مسا و تمرض له المجلي عليه من ألام عضوية و نفسية نتيجة التفكير المستمر في حياته التي توشك على الانتهاء و فقدان الأمل في المستقبل ، ذلك أن الخوف من المرض هو أشد وطأ من المرض نفسه وما يصاحب ذلك من انزال للفرد عن المجتمع المحيط به أو انزال المجتمع المحيط به على الأمر الذي يلقه للمريض قيمته الذاتية وثقته بنفسه علاوة على للمشاكل الاقتصادية و الاجتماعية الناتجة عن هذا المرض . و الأهم من ذلك قد يتخذ فيروس الإيدز كوسيلة لتخريب البلاد عن طريق نشر هذا المرض الخطير بين أفراد المجتمع ، و يا حداً لاتباع المشرع الإماراتي النهج الذي سار عليه المشرع في بعض الولايات الاسترالية التي تعتبر هذه الجريمة من قبيل الجنايات لا الجنح و تجعل الحد الأعلى للعقوبة السجن خمسة و عشرين عاماً .

^١ نزار دعام مطر اليربدي / الحماية الجنائية للبيئة ضد اضطراب الطوف / رسالة دكتوراه / جامعة بغداد / ١٩٩٧ ، ص ١٣٠

^٢ محمد عبد الظاهر حسين بالمرجع السابق ، ص ٦٢ وما بعدها

في مجال المسؤولية الجنائية ، ذهب جانب من الفقه الفرنسي إلى أن نقل عدوى الإيدز إلى الغير عبدا يقع تحت طائلة جناية التسميم ^(١) . على إثر ما حدث في أحد المستشفيات الفرنسية حيث تولى (١٢٠٠) شخص من مرض الـهيموفيليا نتيجة نقل الدم الملوّث إليهم لأن المستشفى لم يهتم بتفحصين الدم مما يقضي علما بالتوت ^(٢) . و يشوب أصل هذا الطريق الحجج التالية :

أولا : بأن نقل عدوى الإيدز تتوافر به جميع العناصر المادية والمعنوية لجناية التسميم المنصوص عليها في المادة (٣٠١) من قانون العقوبات الفرنسي الملغى.

ثانيا : إن الحكمة من تشديد العقاب في حالة القتل بالتسميم متوفرة في حالة إعطاء فيروسات الإيدز من حيث سهولة ارتكاب القتل وبأسلوب خفي يعجز المجني عليه من الدفاع عن نفسه . و الغدر والخيانة بالمجني عليه من الجاني الذي يثق فيه و لا يتخذ لإزائه احتياطات لأنه لا يتصور أن يصدر عنه شر مما يجعل إبائها صبرا ^(٣) .

ثالثا : إن نقل العدوى بفيروس الإيدز أخطر من النقل بالسهم لعدم إمكان تلافي أثره بإعطاء ترياق . رابعا : إن العدول الاختياري الجاني غير متصور إلا في المرحلة السابقة على فعل إعطاء فيروس الإيدز لأن الطب لم يتوصل حتى الآن إلى مصل وافي لعلاج فعل لهذا المرض الفتاك .

خامسا : إن ظاهر نص (٣٠١) من قانون العقوبات الفرنسي الملغى لا تتكلم إلا عن "جواهر يتسبب لها الموت" دون أن توصف بأنها "سامة" تسبب الموت من خلال تفاعلات كيميائية، ومن أجل هذا يكتفي أن تكون المادة "قاتلة" دون أن تكون طبيعتها سامة حتى تكون بصدد جريمة تسميم ، كتقديم الفيروس أو تقديم البكتريا الميته . فقد اعتبرت محكمة النقض الفرنسية تسميما كل اعتداء على حياة شخص ليس فقط باستخدام مادة سامة ولكن أيضا باستخدام مواد أخرى يمكن أن تؤدي إلى الموت ، كما قضت بحكم آخر لها بالإدانة عن جريمة تسميم في حالة تطعيم شخص بفيروس التيتانيد ، و هذا الأمر ينطبق على فيروس الإيدز . فالفيروس ليس مادة سامة طبيعتها ، وإنما هو مادة قاتلة تهاجم جهاز المناعة بالجسم في مقتل فتسبب ضعف الدفاعات المناعية عند المريض و تعرضه إلى أنواع عدوى متعددة بمجرد دخولها إلى جسمه ^(٤) .

سافعا : إن المشرع الفرنسي لم يجعل جناية التسميم جريمة تتحد مع جريمة القتل العمد في كل مناصرها و تتميز عنها بحسب بعبء الوسيلة ، وإنما جعلها نشاطا بحتا أو جريمة شكلية المبيرة فيها استخدام المادة

^١ - LAURENCE ENGEL Le droit Français de la responsabilité a pres LaFaire du sang contaminé Regards, sur L'actualité decembre, 1994,p.3.

^٢ : تقدمت امر المصطرين إحدى عشر شكوى ضد رئيس الوزراء و وزير الصحة الفرنسي و وزير الشؤون الاجتماعية و الأطباء المسؤولين عن قتل الدم ، ورفعت قضية قتل الدم الملوّث أمام محكمة جنح باريس في صيف ١٩٩٢ ، حيث مثل أدومون أوفه وزير الصحة الفرنسي الأسبق أمام المحكمة لسبب إقراره في فضيحة الدم الملوّث بالإيدز و الذي جرى توزيعه على العديد من المستشفيات و أصاب عدد أكبر من المرضى بالعدوى ، كما جرى استعراجه مبرحينا دفنوا وزيرة الشؤون الاجتماعية المبرحة ثم لورين فاييرس رئيس الوزراء الأسبق ، أنظر محمد عبد الطاهر حسين ، المرجع السابق ، ص ٢٢

^٣ : الدكتور محمد مجيب حسن / شرح قانون العقوبات / القسم الخاص ، دار النهضة العربية / ١٩٧٨ ، ص ٩٥

^٤ DIETER HART - HIV - Infektionen durch Blut und Blutprodukte, MedR - 1995 - P. 61 - 63

الثالثة بقصد إحداث الوفاة ولم تقع الوفاة فعلاً^(١). أي يتحقق ركنها المادي بمجرد إعطاء السم للمجنى عليه و سواء بعد ذلك توفي الشخص أم بقي على قيد الحياة^(٢). وقد سار القضاء الفرنسي على القول بأن الجريمة تعد نامة ، فالنتيجة لا تتحقق بالقضاء على الحياة كما هو الحال في جريمة القتل العمد ، وإنما تتحقق بتسديد الحياة بواسطة المادة القاتلة ، و بتعبير آخر إن النتيجة في جريمة التسميم ليست من قبيل نتائج الضرر و إنما من نتائج الخطر^(٣).

سابعاً: من الثابت علمياً أن فيروس الإنزيم القاتل يمكن توصيله إلى جسم الإنسان عن طريق الدم وذلك في حالات نقل الدم خلال العمليات الجراحية ولمرضى "ميلان الدم" "الهيوفيليا" وهو مالا يتعارض مع نص المادة (٢٠١) من قانون العقوبات الفرنسي الملغى إذ لم تحدد هذه المادة طريقة معينة لإعطاء المواد للقائلة أو السامة.

ثامناً: أما من حيث القصد للجاني فهو متوافر أيضاً ، لأن التسميم لا يكون إلا عمداً. فمتى تتوافر نية التسميم لابد أن يكون فعل الإعطاء قد تم عن إرادة مع العلم بالسبب ، أي أن يعلم الفاعل أنه يغطي للفاعل مادة قاتلة ، ويتحقق ذلك إذا خلط مساعد المعمل عن علم ودراسة دم ملوث بفيروس الإنزيم بدم سليم أيا كانت البواش للذلة لقله.

وعلى الرغم من الحجج المبسطة فقد عارض جانب من الفقه الفرنسي اعتبار نقل دم ملوث بفيروس الإنزيم إلى الغير عمداً بمثابة التسميم -بعد التعليل على قضية نقل الدم الملوث - وفي رأيه أن هذا التكيف مغالى فيه لأن المادة (٢٠١) من قانون العقوبات الفرنسي الملغى (الذي ارتكبت الواقعة في ظله) تعطي وصفاً لجريمة تتجاوز كثيراً ما قد يوجه إلى المتهمين في مركز الدم و مساعدتهم ، فليس من المعقول تشبيه مستحضرات الدم الملوث بفيروس الإنزيم بمادة قاتلة بملفوم المادة (٢٠١) الملغاة والتي تقابلها المادة (٥/٢٢١) من قانون العقوبات الفرنسي الجديد ، إضافة إلى ذلك أن المتهمين في مركز نقل الدم لم يوطأ شئنا إلى مرضى "الهيوفيليا" (متلقي الدم) ، وكذلك لا يمكن اعتبارهم شركاء والمتحريض على التسميم لأذي يقوم به الماملون في مجال نقل الدم ، لأنه يجب أن تتوافر لديهم نية القتل وهي الظاهر المميز بجريمة التسميم ، كما أن العاملين في الحقل الطبي قد قاموا بأعمال طبية غير خضرة في نظرم ولم يكونوا مدركين لمواقفها الخبيثة، فالنقطة يتطلب لقيام جريمة التسميم -إن لم تكن نية القتل- فعلى الأقل الإدراك بوجود احتمال بأن تسبب المادة المحظاة الوفاة^٥.

أما الفقه المصري فقد اعتبر القتل العمدى لفيروس الإنزيم إلى الغير عمداً قد يقع تحت طائفة جريمة القتل العمد أو الضرب أو الجرح بحسب توافر قصد القتل من عدمه^(٦) ، لأنه لم يعتبر فيروس الإنزيم من قبيل المواد السامة حيث اشترط للقتل أن تكون المادة المستخدمة في القتل مادة سامة بطبيعتها حتى تقع تحت طائفة جريمة القتل بالسهم المخصوص عليها في المادة (٢٢٣) من قانون العقوبات المصري والتي تنص على أنه: كل من قتل أحداً عمداً بجواهر يشهب عنها الموت عاجلاً أو آجلاً بعد قتلا بالسهم أيا كانت كيفية استعمال تلك

^١: الدكتور جلال ثروت / القسم الخاص / الجزء الأول / جرائم الاعتداء على الأشخاص الذلل الخاصة للطباعة و النشر / الإسكندرية / ١٩٨٤ / ص ١٧١.

^٢: الدكتور عمرو فهد حسن ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

^٣: الدكتور جلال ثروت ، القسم الخاص ، المرجع السابق ، ص ١٧٢.

^٤: الدكتور جليل عبد الباقى الصغير ، القانون الجنائي والإنزيم ، دار النهضة العربية ، ص ٣٢.

الجواهر ويعاقب بالإعدام ، فعلى الرغم من أن المشرع لم يتطلب صراحة أن تكون المادة المعطاة (مهما) مكثفاً بالقول " من قتل أحداً عمداً بجواهر وتسبب عنها الموت...." إلا أنهم استخلصوا اشتراط أن تكون المادة مسمومة من وصف الشارع معطى هذه المواد بأنه "يعد قاتلاً بالمسموم".
لأنه موقف القضاء

لم تعرض على سلطة القضاء في دولة الإمارات العربية المتحدة أي قضية متعلقة بنقل عدوى الإيدز لأن دولة الإمارات من بلدان العالم التي أحكمت السيطرة على دخول المرض إليها .

لما القضاء المصري قد عرضت بعض من هذا القليل ، ففي إحدى القضايا المتعلقة بنقل عدوى فيروس الإيدز من زوج إلى زوجته ، حيث انقضت الدعوى بوقاة المتهم قبل إحالة إلى محكمة الجنايات .

وفي فرنسا عرضت عدة قضايا على المحاكم ومن أشهرها قضية الدم الملوثة^(١) . وهي التي نتولت الحديث عنها ، حيث أثارت فكرة التسميم في فرنسا بمناسبة قضية الدم الملوثة وقد استندت المحاكم الفرنسية ووصف التسميم استناداً إلى الحجج التالية:

أن المادة (٣٠١) من قانون العقوبات الفرنسي التي (ارتكبت الواقعة في ظلها) جاءت في باب القتل والاعتقال وقتل الآباء والأطفال حديثي الولادة ، ولما كانت هذه الجرائم تتطلب توافر نية القتل لدى الفاعل ، وكانت تلك النتيجة التي تمثل العامل المشترك بين هذه الجرائم التي لا تختلف فيما بينها إلا بمسبب الإصرار أو صفة المجني عليه أو بالوسيلة المستخدمة لتجسيد إرادة الفاعل . فيجب لقيام جريمة التسميم توافر نية لإسحاق روح المجني عليه ، فهو فعل عمدي أي ارتكبت بقصد تحقيق نتيجة معينة وهي موت المجني عليه وهذا غير متوافر في جريمة نقل فيروس الإيدز إلى الغير عمداً . وقد ترتب على استبعاد القضاء الفرنسي لشبهة التسميم إلى إدانة المتهمين في قضية الدم الملوثة على أساس جريمة الفشل في سلامة .

لما نحن نرى أن جريمة نقل الدم الملوثة بفيروس الإيدز إلى الغير عمداً هي إلا جنائية تسميم تنطبق عليها أحكام المادة (٥/٢٢١) من قانون العقوبات الفرنسي الجديد نظراً للتشابه الكبير ما بين فيروس الإيدز والمادة السامة التي من شأنها إحداث الموت لما يملكه من خاصية إمالة الخلايا لإذ يصاب خلايا خاصة في الدم تشارك في الدفاع الطبيعي عن الجسم مما يفقد المجني عليه القدرة على مقاومة الأمراض من كافة الأشكال المهاجمة للبكتيريا والفيروسات والطفيليات والفيروسات وترتفع فيه الخلايا السرطانية ولا تتركه إلا بعد القضاء المبرم عليه ، وبهذا الوصف يكون فيروس الإيدز أخطر من المادة السامة التي يصح وصفها بأنها سامة وفقاً للمفهوم الذي حدده للفقه بحيث عرف المادة السامة بأنها " المادة التي من شأنها إحداث الموت ذلك لأنها تملك خاصية إمالة الخلايا أو شل الأعصاب أو تحلل الأعضاء مما يفضي في النهاية إلى الموت"^(٢).

فإذا قصد الجاني من إعطاء الدم الملوثة إزهاق روح المجني عليه، فإنه يسأل عن جريمة القتل العمد إذا حدثت الوفاة أو عن شروع في القتل إذا تخلفت النتيجة لسبب خارج عن إرادته ، ذلك لأن الأعمال التي من شأنها إحداث الموت لا تقع تحت الحصر فقد ينتج القتل عن ضرب أو جرح أو تسليط تيار كهربائي أو إعطاء مادة ضارة بطريق الحقن أو عن طريق الدم بقصد القتل ، أي لا أهمية لنوع أو طبيعة الوسيلة المستعملة في القتل . أما إذا لم تنجح إرادة الجاني إلى إزهاق روح المجني عليه ، واقتصرت قصده على الإخلال بمحتواه فإنه يسأل عن جريمة إعطاء مادة ضارة ، وكذلك إذا استعمل الجاني فيروس الإيدز ولكن كان هدفه لا

^١ - Laurence engel , le cas de l'affaire du sang contaminé op.cit. p.١٤

^٢ : الدكتور جمال ثروت /المسم الخاسر السابق/ص١٦٦

يتجاوز الإضرار بصحة المجني عليه وسلامته البدنية ، لأن الممول عليه هو القصد الجنائي لدى الفاعل بغض النظر عن طبيعة المادة سواء كانت كائنة مميّنة كفيروس الإنفلونزا أو ضارة مؤذية كفيروس التهاب الكبد أو الزهري.

أما في الشريعة الإسلامية ، فإن الفقهاء المسلمون قد أجمعوا أثناء انعقاد الندوة الفقهاء بعنوان رؤية إسلامية للمشاكل الاجتماعية لمرض الإنفلونزا حيث عقدت هذه الندوة تحت إشراف الجمعية الإسلامية للعلوم الطبية في الكويت للفترة من ٦-٨ سبتمبر ١٩٩٢ وتوصلت إلى القرارات التالية:

١. إذا كان قصد الفاعل إشاعة ونشر هذا المرض الخطير بين أفراد المجتمع فإن هذا الفعل يعد من أنواع الحرية والإساءة في الأرض وبالتالي يستوجب عقوبة من العقوبات التي وردت في آية الحرابة.
 ٢. إما إذا كان الفاعل من قصد نقل العدوى هو محدد إصابة شخص معين بالذات وأن الطريقة التي استعملت بنقل العدوى تؤدي إلى الإصابة بهذا المرض الخبيث وتم ذلك وانتقل إليه فيروس الإنفلونزا حيث أصيب بالمرض وتدهورت بولته من جراء نقل العدوى إليه فإن الذي ينقل الفيروس إليه يعاقب بالعقاب قصاصاً.
 ٣. أما إذا تمسك الفاعل بنقل فيروس الإنفلونزا إلى الشخص الآخر وتم ذلك فعلاً إلا أن النتيجة لم تتحقق وهي موت المصاب فإن المتمسك يعاقب بعقوبة تعزيرية تتناسب وجسامة الفعل وعند الوفاة بحق للورثة المطالبة بالدية.
 ٤. أما إذا قصد شخص نقل العدوى بفيروس الإنفلونزا إلى شخص معين إلا أن نقل المرض لم يتم ولم يصب بالعدوى لأي سبب كان فإن الفاعل يعاقب بإحدى العقوبات التعزيرية.
- هذا ما أجمع عليه المؤتمر من فقهاء الشريعة الإسلامية.

الفرع الثاني

أركان الجريمة

تقوم هذه الجريمة على ثلاثة أركان:

الركن الأول : محل الجريمة: تفترض جريمة القتل أن يكون المجني عليه إنساناً حياً وقت ارتكاب الجاني فعله الإجرامي بصرف النظر عن جنسيته أو سنه أو مركزه الاجتماعي أو جنسه، ومهما كانت حالته الصحية أو بعته ولو كان مريضاً على وشك الموت.

وفيما يتعلق بموضوع البحث يجب ألا يكون المجني عليه مصاباً بصورة مسبقة بمرض الإنفلونزا أو التهاب الكبد الوبائي أو الزهري ، وإلا كنا بصدد جريمة ممتحيلة لعدم إمكانية باؤها للقتل الموضوع .

الركن الثاني: الركن المادي: يقوم الركن المادي في جريمة القتل على عناصر ثلاثة : النشأ، النتيجة، العللة السببية.

أولاً: النشأ: يجب أن يأتي الجاني فعلاً في سبيل الوصول إلى النتيجة التي يجرمها القانون وهي إزهاق الروح سواء اتخذ هذا الفعل شكل السلوك الإيجابي أو شكل الامتناع.

وفيما يتعلق بموضوع البحث نكون بصدد السلوك المكون لجريمة القتل إذا نقل الجاني دماً مأخوذاً بمسبب مرض معد إلى آخر مخاض المرض كائناً لإحداث النتيجة وهي الوفاة، فإذا كانت العدوى بمرض التهاب الكبد أو

الزهرى من شأنها أن تؤدي إلى الوفاة وفقاً للمجرى العادي للأمر ، فلا يوجد ما يمنع قانوناً من صلاحية هذه الوسيلة للقتل باعتبار أن سلوك القتل إما يتحدد وفي شكله القانوني بدو فاعلية السببية لإحداث النتيجة^(١) ، وهذا ما يطبق بشكل أكيد على فيروس الإيدز باعتباره وسيلة صالحة لتسبب لإحداث الوفاة وإن تراجعت لفترة من الزمن.

كما يمكن أن تتحقق جريمة نقل دم ملوث بسلوك ملهي متمثل في امتناع مساعد المختبر عن إجراء الفحوص اللازمة للكشف عن الفيروسات المنقولة عن طريق الدم طالما توالى في هذا الامتناع سلوك القتل المتمثل في كفاية إحداث النتيجة وهي إلحاق روح مقلتي الدم .

ولا يعني هذا أن الطبيب أو مساعد المختبر هو الفاعل الوحيد في هذه الجريمة، وإنما هناك شخص آخر يكشف عن خطورة إجرامية كبيرة وهو المتبرع بالدم الملوث ، الذي يجعل كلاً من الطبيب ومساعد المختبر أو المريض المنقول إليه الدم ضحية لقتل لعدوى وذلك عن طريق التبرع عندهم بكميات كبيرة من الدم الملوث إلى مراكز نقل الدم أو الامتناع عن إعطاء معلومات طبية صحيحة إلى العاملين في هذا المركز أو إخفاء أي معلومات يعلم أنها مفيدة للكشف عن تاريخه الصحي في سبيل الوصول إلى النتيجة التي يجرمها القانون وهي وفاة المنقول إليه الدم من جراء عدوى الإيدز أو غيره.

وإذا كان فيروس الإيدز يقترب من السادة السامة نظراً للكثير الذي يحدث على خلايا وأنسجة الجسم ، فلا يهم بعد ذلك أن يحتمل المريض كمية ضئيلة أو كبيرة بفيروس هذا المرض ، إذ هو في الحالتين لم تتغير خاصيته في الأملة وبناء على ذلك يعد فيروس الإيدز دليلاً وسيلة صالحة لإحداث الوفاة بغض النظر عن كمية الدم الملوث المنقول إلى المريض . لكن الأمر يختلف إذا كان الدم المراد نقله إلى المريض غير ملوث بفيروس الإيدز وإنما اعتقد الجاني خطأ أنه كذلك كما لو خلط مساعد المختبر دمه سليم على أنه ملوث بفيروس الإيدز بدم سليم يعود لشخص آخر بقصد قتل أي شخص يحتمل به ، إذ تكون بصدد جريمة مستحيلة استحالة مطلقة بسبب عدم صلاحية الوسيلة وبالتالي لا تسترعب أية مسؤولية جنائية على الإطلاق^(٢).

ثانياً : النتيجة : النتيجة التي تتم بوقوعها جريمة القتل هي إلحاق الروح ، وهذه النتيجة قد تتحقق إثر النشاط وقد يتراخى تحققها وقتاً ، إلا أن ذلك لا يمنع أن تحقق من اعتبار القتل عمداً طالما كانت علاقة السببية واضحة وكفيلة بين النشاط والنتيجة ومما تمسك للقتل كلياً . أما بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدد تقييد أن الشخص الذي ينقل إليه فيروس الإيدز يبقى يعاني من المرض لفترة طويلة حتى يموت^(٣) . لأنه يقتل المصاب به من خلال القضاء على فاعلية جهازه المناعي بحيث يصبح فريسة سهلة لهجوم العديد من الفيروسات والبكتيريا والفطريات ، وبالتالي تكون الوفاة بالنسبة للمجني عليه الذي نقلت إليه عدوى الإيدز نتيجة حتمية لتفادى مناعة الجسم.

الشروع : إذا كان الجاني قد بدأ بشاكلة الإجرام ولم تتحقق نتيجة وهي إلحاق الروح بأن أوقف نشاطه أو غاب أثره لأسباب لا دخل لإرادته فيها ، فإن الواقعة لا تعد قتلًا وإنما شروعاً فيه . والشروع في القتل متصور باستخدام فيروس الإيدز ، مثال ذلك أن يتبرع شخص مصاب بفيروس الإيدز بكميات كبيرة من

^١ : الدكتور ملون سلامة، المرجع السابق، ص ١٤

^٢ : الدكتور فخري عبد الرزاق الحمدني /شرح قانون العقوبات /القسم الخاص/مطبعة الزمان /بغداد/ ١٩٩٦ ص ١١٠

^٣ : Deutsch das gesetz über die humanitäre hilfe für durch blutproduktive HIV-Infizierte, neue juristische wochenschrift 1996.p.756.

الدم الملوّث إلى أحد مراكز نقل الدم وهو يعلم أنه مصاب بهذا المرض أو أنه حامل للفيروسه بقصد نقل الدم إلى الغير ثم يكتشف أمره قبل أن ينقل الدم الملوّث إلى الغير أو أن يستعمل مساعد الطبيب الدم السليم المراد نقله إلى المريض بالدم الملوّث بالفيروس الذي هيأه سابقاً وإخفاه غرلة العمليات لأجل نقله إلى المريض فيمنعه الطبيب المكلف بتحضير الدم للمريض من إكمال فعله بعد أن اكتشف نيته السيئة فتصرف بلا شك إلى القتل .

أما إذا توصل الجاني إلى هدفه وتمكن من تنفيذ فعله بنقل الدم الملوّث بفيروس الإيدز إلى المجني عليه ، فليس بوسعه أن يمتنع عن إتمامه بلخياره ، إذ لا يتصور المدعى الاختياري في هذه الحالة لأن هذا المدعى يتطلب أن يكون عمل الجاني مما يمكن تفكره بعد وقوعه حتى يكون لسمعه في منع وقوع نتيجته أثراً في انتفاء الشروع وبالتالي محو الجريمة.

ثالثاً: علاقة السببية بين السلوك والنتيجة:

لكي يتحقق الركن المادي في جريمة القتل العمد ، يجب أن يكون السلوك المرتكب الذي يتم بوسيلة محددة هو الذي سبب وفاة المجني عليه ، ويتوالى ذلك متى كانت هناك علاقة سببية مادية بين السلوك والنتيجة بحيث يصبح أن يقال بأن وفاة المجني عليه هي نتيجة للفعل الجاني ، وعندما يكون فعل الجاني هو السبب الوحيد في حدوث الوفاة لا تثير رابطة السببية أية مشكلة ، كمن يمس السم لأخر فيموت فوراً ، وفي هذه الحالة لا يتطلب لإثبات رابطة السببية أكثر من إسناد الواقعة إلى شخص الجاني ، لكن الأمر يصعب وتثير معضلة علاقة السببية إذا تراخت النتيجة من الفعل وتدخلت عوامل أخرى بينهما ، وفيما يتعلق بموضوعنا نلاحظ أننا في مجال المسؤولية الجنائية عن عمليات نقل الدم نكون أمام نوعين من الإسناد أو علاقة السببية ، الأول : الإسناد الطبي، الثاني: الإسناد القانوني.

فكما يتعلق بالإسناد الطبي ، وذلك بإسناد الإصابة بالمرض إلى عملية نقل الدم عن طريق أميل الخبرة الطبية ومن خلال طرحهم العديد من الأسئلة وبالاجابة عليها يتحقق هذا النوع من الإسناد^(١)ومن هذه الأسئلة بوجود الإصابة بالفيروس من عدمها ، ويتحقق ذلك من خلال إجراء الفحوص والتشخيصات الطبية اللازمة للوقوف على وجود المرض.

الركن الثالث : الركن المعنوي:

القتل جريمة عمدية تتطلب قيامها توالى قصد الجنائي العلم ، والقصد الجنائي العلم هو العلم المصاحب لإرادة النشاط المادي في الجريمة ، أما العلم فيجب أن ينصرف إلى كل عناصر الجريمة ، أي إلى كون المجني عليه إنساناً وكونه حياً سليماً من المرض المعدي المنقول إليه ، كما يجب أن ينصرف إلى القتل أو الامتناع الذي يتوصل به الجاني إلى نقل فيروس المرض إلى المجني عليه ، وإلى كونه مؤدياً إلى النتيجة الإجرامية وهي الوفاة.

أما الإرادة فيجب أن تشمل الفعل المادي كما يجب أن تشمل النتيجة الجريمة (الوفاة) أي يجب أن يوجه الفاعل إرادته إلى نقل الدم الملوّث بفيروس الإيدز إلى المجني عليه ، وأن يكون هذا الفعل نابهاً عن وعي الشخص وشعوره ، كما يجب أن تنصرف نية الفاعل إلى إلحاق روح المجني عليه باعتباره هدف الإرادة وغرض الفاعل .

^١ : الدكتور عبد عبد الطاهر حنين/المراجع السابق/ص ١٢٢ وما بعدها

والقتل بفيروس الإيدز يمكن ارتكابه بقصد احتشالي إذا توقع الجاني وفاة المجني عليه كنتيجة ممكنة للفعل الذي ميسمته به على الرغم من احتمال تحقيق هذه النتيجة راضياً بوقوعها ومرحياً بها إن وقعت.

مثال ذلك أن يخفي مساعد المختبر متعمداً حقيقة نتائج الفحص الذي فُلم به للكشف عن فيروس الإيدز بسبب صلة القرابة التي تربطه بالمبتدع بالدم وهو يعلم أن هذا الدم سيؤتمن نقله إلى إيمان بريء وبعد التأكد من وجود الإصابة يأتي السؤال الآخر والذي يدور حول إثبات أن الدم الذي تم نقله كان مصاباً أو ملوثاً.

أما الإسناد القانوني، فيقتصد به إسناد الإصابة بالمرض إلى الدم المنقول الملوث من الناحية القانونية، أي إثبات أن الإصابة بالفيروس لم يكن لها طريق آخر سوى الدم الملوث، وبذلك يكون للضرر الناتج والذي لحق المجني عليه نتيجة مباشرة لنقل دم ملوث، كما لا يكفي لقيام جريمة قتل بفيروس الإيدز مجرد إسناد الإصابة بالفيروس إلى عملية نقل الدم ومن ثم إسناد فعل نقل الدم أو الامتناع عن إجراء فحوص الدم إلى الجاني وإنما يلزم أيضاً إسناد وفاة المجني عليه إلى هذا الفعل أو الامتناع، وإلا كانت الواقعة مجرد شروع في القتل.

ولا يؤثر هذا الإسناد أي صعوبة من الناحية القانونية إلا إذا وجدت عوامل أخرى إلى جانب فعل الجاني أسهمت معه في إحداث النتيجة. وهذا الأمر متصور بالنسبة لنقل العدوى بفيروس الإيدز عن طريق الدم الملوث، كما أن وفاة المجني عليه قد لا تحدث إلا بعد مدة طويلة من تلوّث وتقرح الإصابة والتي قد تتجاوز عشر سنوات، وفي هذه الحالة قد تتدخل عوامل كثيرة مع فعل الجاني الذي يصعب معها معرفة مرتكب الجريمة وإقامة الدليل ضده، خاصة وأنه يقع على عاتق المجني عليه إقامة الدليل على توافر علاقة مسببية بين سلوك الإجرامي والنتيجة.

ولم يمنعه هذا الخطر من المضي في تنفيذ جريمته عن طريق تسجيل نتائج التحليل غير الحقيقية على نموذج دم المبتدع وحتم إبلاغ السلطات المختصة عن هذا المرض الخطير قسراً المخلطه بحدوث النتيجة التي استوي في نظره حصولها أو حتم حصولها.

وإذا تحقق القصد الاحتمالي بالنسبة لنتيجة جريمة أخرى غير وفاة المجني عليه المقصود، مثال ذلك الحالة التي يتوصل بها الجاني إلى نقل دم ملوث بفيروس الإيدز إلى المجني عليه بقصد إزهاق روحه، وهو يتوقع في الوقت نفسه أن جريمته قد تؤدي إلى إصابة شخص آخر كالزوجة والأبناء، ولعلنا ننقل المجني عليه فيروس الإيدز إلى زوجته عن طريق الاتصال الجنسي وهو لا يعلم أنه حامل لفيروس الإيدز فتعنت الزوجة متأثرة بإصابتها ويبقى الزوج على قيد الحياة. ففي مثل هذه الحالة يمثل الجاني عن الشروع في القتل بالنسبة للزوج وذلك لأن فعله لم يؤدي إلى النتيجة الجرمية المقصودة لإزهاق الروح- وذلك لسبب خارج عن إرادته على الرغم من أنه استند نشاطه الإجرامي بنقل دم ملوث إلى المجني عليه، إلا أن الإصابة بالفيروس لم تحدث تكثيرها على جسم المجني عليه بالشكل السريع كما كان متوقفاً من قبل لجاني وتراخت الوفاة مدة من الزمن إلا أن الجاني يسأل عن جريمة القتل بالنسبة للزوجة لا على أساس قصد المباشر وإنما على أساس القصد الاحتمالي، لأن الجاني نقل دماً ملوثاً إلى المجني عليه بقصد إزهاق روحه قد توقع في الوقت نفسه أن جريمته قد تؤدي إلى إصابة زوجته بفيروس هذا المرض وبالتالي موتها، ومع ذلك مضى في ارتكاب جريمته قسراً المخلطه بها.

لما إذا توفي الزوج إلى جانب وفاة زوجته فإن الجاني يسأل في الحالتين عن جريمة القتل العمد، لأنه يقصد في الحالتين إزهاق الروح، ولكنه يسأل في الحالة الأولى مسئولية مدناً القصد المباشر، ذلك لأن الجاني قد توقع وفاة المجني عليه كنتيجة لازمة لفعله المتمثل بنقل الدم الملوث أو الامتناع عداً عن

إجراء فحوص الدم، وقد تنقل الزوجة المصابة بفيروس الإيدز إلى الجنين بواسطة الدم عن طريق المشيمة^(١)، ويحدث ذلك عادة إذا كانت الزوجة حاملاً أثناء الاتصال الجنسي أو بعده مما توجب هذه الإصابة بمسألة الجاني عن نقل عدوى فيروس الإيدز إلى الأم والجنين على أساس التقصّد الاحتمالي طالما تعددت الاحتمالات في ذهن الجاني حول تحقق هذه النتيجة ككثير ممكن لعملية نقل الدم الملوّث ، فقد تحدث أو لا تحدث ، ولكنه قبلها وسمى فعلاً إلى إحداثها . ولكن إرسال الجاني عن إصابة المجني عليه وزوجته مسئولة منبما التقصد المباشر ، إذا كانت الزوجة هي المقصودة ، من عملية نقل الدم الملوّث ، وقد استخدم الجاني زوجها وسيلة لنقل عدوى المرض إليها عن طريق الاتصال الجنسي حتى ولو ثبت أن وفاة المجني عليه (الزوج) لم تكن هي النتيجة التي سعى إلى تحقيقها من وراء نقل الدم الملوّث طالما ارتبط حدوثها في نظره بتلك النتيجة -إلحاق الروح- ارتباطاً لازماً.

أما إذا لم يتخذ من نقل الدم أو من امتناعه عن إجراء فحوص الدم المطلوبة لإلحاق الروح غرضاً يهدف إليه بشامله فلا نكون بصدد جريمة القتل العمد ، أما إذا ترتب على نقل أحد الأمراض المعدية وفاة المجني عليه ، وفيمكن مساءلة الجاني في هذه الحالة عن جريمة الضرب الملعني إلى الموت.

المطلب الثالث

جريمة نقل دم غير مطابق مع دم المريض عمداً

لا يكفي أن تحدث فصيلة الدم لمريض ما ، ومن ثم زوجه بكيس الدم السائل له ، إذ كثيراً ما يكون المريض متحصناً نحو أحد عوامل المجموعة الدموية (ABO) أو أحد عوامل المجموعة (RH) أو غيرها من مجموعات الدم المختلفة ، مما يسبب له أضراراً جانبية غير محسوسة مما يصاب بصدمة شديدة قد تسودي بحولته^(٢). لذلك لابد من إجراء اختبارات نقل الدم بين نموذج من دم المريض وبين كيس الدم المطلوب نقله (إعطاءه) إليه. وأن يتم ذلك من قبل فنيين متمرسين في مواكز نقل الدم .

فيذا تم صرف الدم المتبرع به للمريض قبل التأكد من مطابقته لمجموعته الدموية في نظام [RH,A,B,O] أو قبل التأكد من سلامة جميع خطوات الفحص الفنية على دم المريض ووحدة الدم المزعم نقلها له وترتب على ذلك وفاة المريض أو إصابته بأي مرض أو أي أذى فإن مرتكب السلوك الخاطئ يعد مسؤولاً على فعله مسئولة عندية أو غير عندية بحسب توافر قصد الإيذاء من عدمه.

الفرع الأول

التكييف القانوني لجريمة نقل دم غير مطابق

إن فعل الجاني الذي يتمثل في نقل دم غير مطابق مع دم المريض يدخل في صورة الاعتداء على الحق في سلامة الجسم ، ذلك لأن الدم غير المطابق لا يعدو أن يكون مادة ضارة ونقله إلى جسم المريض يعد من قبل إعطائه . وقد حدد الفقهاء المقصود بالمواد الضارة ، بأنها كل مادة تحدث اختلالاً في المسير الطبيعي لوظائف الأعضاء في الجسم .

^١ : انظر عمود الحاج قاسم عماد، أمراض الطل المعديّة وتلقيحاته ، منشورات مكتبة بيم، الموصل ١٩٨٥، ص ٨٨ وما بعدها .

^٢ : د. عبد بنيع حمود، الفروع السابق، ص ٢٨٧ وما بعدها

تفصل هذه الوظائف تعطيلاً كلياً أو جزئياً مستمياً أو مؤقتاً ، ويتحقق هذا إذا أصاب الضرر صحة الجنى عليه حدوث اعتلال أو اضطراب قد يؤدي إلى الموت أو المرض أو عجز وقتي عن العمل أو أي هبوط ينال المستوى الصحي على أن تراعى كافة الظروف الواقعية التي أعطيت فيها المادة مثل مسن الجنى عليه وحالته الصحية ونوع المادة وكميتها^(١).

والعبارة بوصف المادة بأنها ضارة ، إنما تكون بالأثر النهائي الذي تحدثه على صحة الجنى عليه ، ذلك أن المادة الواحدة قد تكون ضارة في ظروف معينة ، وغير ضارة -بل بالكمس- نافعة متى أعطيت في ظروف أخرى^(٢)، فلا تمد المادة التي أحدثت عقب حقنها للمجنى عليه اختلالاً عارضاً في وظائف أعضاء وأجهزة جسمه كاضطراب في الجهاز التنفسي أو الهضمي أو الإغضاء أو مجرد دوار أو صداع أو تقيؤ وانتهت الفائدة بفائدة أكيدة للمجنى عليه بتحسين صحته أو بقلها على ما كانت عليه ، من قبيل المواد الضارة^(٣)، ومن أجل هذا يتعين الترتيب حتى تنتج المادة كل تأثيرها على الجسم قبل إعطائه المادة وسيرها بعد الإعطاء ، وحيث تكون المادة ضارة يستوي من حيث طبيعتها أن تكون ضارة أو سائلة أو غازية^(٤).

ويتحقق معنى الإطعاء بكل عمل يأتيه الجاني يمكن به المادة الضارة من أن تحدث بالفعل تأثيرها السيئ على أجهزة الجسم سواء عن طريق الدم أو الحقن أو بأي طريقة أخرى.

وفيما يتعلق بموضوع البحث يعد الدم أو أحد مشتقاته من قبيل المواد الضارة إذا لم يحقق الغاية المرجوة من نقله إلى المريض ، ويتحقق ذلك في حالة الدم غير المتطابق لما يحدثه من تأثيرات ضارة بصحة المجنى عليه بعد نقله إليه ، تبدأ بارتفاع درجات الحرارة وألم في الفخصرة أو الأعضاء التناسلية ، وقد يصبح المجنى عليه في حالة خطيرة للغاية ، لمن تثابت طبياً أن إعطاء المريض دماً غير مطابق لمصنائه أو غير متلائم معه بسبب التحلل الدم المنقول وهو أخطر تفاضلات نقل الدم^(٥)، إذ يشتر متلقي الدم بحرق على طولوريد الذي ينقل فيه الدم ، وألم شديد في البطن والصدر ثم قشورية وارتفاع في درجات الحرارة وتلك شعور بالغوف من الموت ، وقد يكون هذا التحلل شديد، وإذا ما قدر للمريض أن ينجو من الموت في هذه المرحلة فإن إمكانية إصابته بشح البول أو لقطاعه ليست مستبعدة ، وقد ينتهي الأمر بإصابة المجنى عليه بقصور كلوي حاد^(٦).

أي ما يحدثه الدم غير المتطابق في جسم المجنى عليه من أعراض غير عادية تجعله في حالة سيئة إذا ما تورت بالحالة التي كان عليها قبل نقل الدم إليه، سواء كانت هذه الأعراض قليلة للشفاء أو غير قليلة له ، وسواء كانت خطيرة أو غير خطيرة طالما أنها تحتاج إلى علاج أو احتياط أو رعاية طبية وليست تافهة ضئيلة يتسامح بها تلقائياً ، ويعبارة أخرى أن تأثيرات الدم غير المتطابق يتحقق فيها معنى الأضرار بالصحة إذا أصاب المجنى عليه مرض لم يكن موجوداً من قبل أو بزيادة من قدر مرض كان يعانيه

^١ : الدكتور جلال ثروت ، المرجع السابق، ص ٣٤٧.

^٢ : الدكتور عمر السيد رمضان/المرجع السابق/ص ٢٥٦

^٣ : الدكتور فكري عبد الرزاق المديني /القسم العام للمرجع السابق/ص ١٩٥

^٤ : الدكتور محمود فهم حسن، الحق في سلامة الجسم/١٩٥٩، ص ٥٨٠

^٥ : A.V.HOFFBRAND and J.C. PELL, essential Haematology Blackwell scientific publications.

^٦ : الدكتور محمد بدیع حمود/المرجع السابق/ ص ٣١١ وما بعدها.

وعليه لا ضرر أو اعتروفا الدم غير المتطابق مادة ضارة إذا أخل أو أحدث انحداراً في صحة المجنى عليه ، طالما أن القانون لم يحدد المواد التي تعد ضارة ولكتفى بوصفها ، إلا أن المحكمة تتكفل بتحديد المادة الضارة لكونها من الأمور الموضوعية التي يمتثلها قاض الموضوع من ظروف كل واقعة على حدة وعن طريق الاستعانة بأهل الخبرة من الأطباء^(١). على أن تراعى الظروف التي أعطى بها الدم غير المتطابق وبصفة خاصة الكمية التي حقن بها المريض وسنله وحالته الطبية^(٢). فحقن شخص متوسط السن معتل الصحة بكمية قليلة من الدم غير المتطابق لا يحدث التأثير الذي يلحق بصحة طفل مريض إذ قد يؤدي هذا الدم إلى وفاته .

الخلاصة: على كل حال لا يمكن أن تقوم جريمة نقل دم غير مطابق مع دم المريض ما لم تتوالى لئسها الأركان العامة لجريمة إعطاء مادة ضارة ركناً يتجلى بنشاط وسخر من الجاني فعلاً أو امتناعاً يؤدي إلى الإخلال بالمير الطبيعي لوظائف الأعضاء أو بإقتصاص التكامل الجسدي المجنى عليه أو بإحداث ألم عضوي أو نفسي له يعانى منه المجنى عليه من قبل أو بالزيادة من مقدار، وركناً معنوياً تتكامل به الجريمة عن طريق إرادة الجاني تحقيق للمساس بسلامة جسم المجنى عليه وعظمه بأنه ينال من مصلحة يمكن بها للتلون سواء صدرت عنه هذه الأعمال عن قصد أو خطأ.

المطلب الثاني

أركان الجريمة

تشترك جرائم الضرب وإعطاء مادة ضارة في مختلف صورها من ركنين أساسيين هما:

الركن المادي : وهو فعل الضرب أو الجرح أو إعطاء مواد ضارة بصحة الإنسان .

الركن المعنوي : وقوامه القصد الجنائي.

أولاً: الركن المادي:

يتألف الركن المادي في جريمة إعطاء مادة ضارة من سلوك ونتيجة ورابطة سببية.

السلوك (النشاط)

يجب أن يأتي الجاني نشاطاً في سبيل الوصول إلى النتيجة التي يجرمها القانون وهي المعساس بسلامة جسم المجنى عليه ، وإعطاء المجنى عليه مادة ضارة بصحته من قبيل الأعمال التي تتحقق بسببها جريمة الاعتداء على سلامة الجسم ، أي أن السلوك الإجرامي الذي يتحقق به الركن المادي يمثل بفعل الإعطاء لئلا كانت الوسيلة سواء في حقن المجنى عليه بالمادة الضارة أو بتناولها عن طريق الفم أو عن طريق الأنف كما لو كانت غاراً ضاراً يستشقه المجنى عليه ، وقد يكون أيضاً عن طريق وضعها على الجلد بحيث تسرب من خلال مسامات الجلد وتنفذ إلى الدفل .

وفيما يتعلق بموضوع البحث وجدنا أن الدم غير المتطابق لا يعدو أن يكون مادة ضارة نظراً للتأثيرات السنية التي يحدثها على الصحة و السلامة الجسدية ونقله إلى جسم المجنى عليه بمثابة النشاط الذي يهين للدم غير المتطابق سبيل الإضرار بصحة المجنى عليه عن طريق حقنه بالوريد .

^١ : الدكتور عمود نجيب حسي ، الحق في سلامة الجسم ، المربع السابق ص ٦٧

^٢ : الدكتور سلطان الشاوي / المراسم للماسة بسلامة الجسم / مجلة العلوم القانونية / المجلد العاشر / المجلد الثاني / ١٩٩١ ص ١٨

ومع أن الأصل في الجرائم التي تمس للجسم بما في ذلك جريمة إعطاء ملحة ضارة إنها ترتكب بمسؤولك الإيجابي ، كان يعطي الطبيب دماً من نوع (B) لمريض يحمل فصيلة دم (A) في حين أن أساس اختيار الدم المناسب للمريض هو مجموعة دم (A) و ليس (B) أو إذا كان المريض من فصيلة (A) واختار له الطبيب دماً آخر هو (A+) مما يجعل هذا الاختيار عملية نقل الدم محفوفة بالمخاطر ، ويكون الطبيب بلا شك مسؤولاً عن جميع النتائج غير المشروعة المترتبة على اختياره . إلا أن الجدل أثير حول إمكانية ارتكاب هذه الجريمة بمسؤولك ملبى و مدى مسؤولية مرتكبها بهذه الطريقة .

ذهب للفقه الفرنسي إلى عدم قبول فكرة الامتناع في جرائم الإيذاء كقاعدة عامة ، مستنداً في ذلك إلى أن الامتناع عدم ومن ثم لا ينتج عنه سوى العدم ، أي أن الامتناع لا يصلح في ذاته أن يكون سبباً للنتيجة إجرامية تتمثل بالضرورة في صورة تتغير في العالم الخارجي^(١)، كما لا يعترف للمسار هذا الرأي بالامتناع إلا حيث يقرر الشارع ذلك صراحة أو ضمناً ، وفي هذه الحالات يكون وجود هذه الجرائم على سبيل الاستثناء للبحث^(٢) . وهذا ما سارت عليه أحكام القضاء في فرنسا .

أما الفقه المصري فقد انقسم إلى فريقين : الأول : يؤيد الفقه الفرنسي تأكيداً تأساً ، ويرفض الاعتراف بالامتناع بأية قيمة قانونية مستنداً في ذلك إلى ثلاث حجج أساسية مفادها أن التشريع الفرنسي الذي يقرر فقه أنه لا يمكن أن تقوم الجريمة الإيجابية بطريق الامتناع بمجرد اتخا موقف سلبي ما لم ينص القانون على خلاف ذلك ، لأن الامتناع لا يساوي الفعل ، كما لا يتصور أن تتصل بين الامتناع والنتيجة رابطة سببية لأن الامتناع عدم ولا ينتج عنه إلا العدم . إضافة لذلك أن إثبات القصد في جرائم الامتناع وكاد يكون مستحيل ذلك لأن الغاية الإجرامية تستظهر من الأعمال الإيجابية دون غيرها^(٣).

أما الفريق الآخر هو الراجح في الفقه المصري ، فإنه يعترف بالامتناع بقيمته القانونية بوصفه مسلوفاً إمائياً شأنه شأن الفعل على . يكون ثمة واجب على الممتنع مصدره القانون أو الاتفاق يلزمه بالتدخل والامتناع عن ذلك^(٤).

أما في المقويات العراقية فقد حسم المشرع العراقي الخلاف و ذلك عندما نص في المادة (٣٤) منه على أنه : (تكون الجريمة عدية إذا تولى القصد للجرمي لدى فاعلها و تعد الجريمة عدية كذلك إذا فرض القانون أو الاتفاق واجباً على شخص و امتنع عن أدائه قاصداً لإحداث النتيجة التي نشأت مباشرة عن هذا الامتناع) .

و يترتب على ذلك أن جريمة نقل دم غير مطابق مع المريض باعتباره إحدى الجرائم العامة بمسالة الجسم يمكن أن تقع بطريق سلبي ، بموجب كثير من التشريعات و من بينها قانون العقوبات الاتحادي حيث سوى المشرع الاتحادي صراحة بين الفعل و الامتناع في تكوين الركن المادي للجريمة ، أي أنه قد تكرر بالرأي الراجح و الغالب في مصر و يظهر ذلك فيما كرهه في نص المادة (٢١) من قانون العقوبات

^١ الدكتور جلال ثروت / القسم الخامس / المراجع السابق ، ص ٣٥٢

^٢ الدكتور جلال ثروت / القسم الخامس / المراجع السابق / ص ٦٠

^٣ المرسوم المذكور على حسن الخلف ، سلطان العلوي / المبادئ العامة في قانون العقوبات العراقي ، ١٩٨٢/١ ، ص ١٣٧ وما

يتبعاً - الدكتور جلال ثروت / المراجع السابق ، ص ٥٩ .

^٤ الدكتور جلال ثروت ، المراجع السابق ص ٦٢

الاتحادي من أنه : (يتكون الركن المادي للجريمة من نشاط إجرامي يتركب فعل أو امتناع عن فعل متى كان هذا الارتكاب أو الامتناع مجزئاً قانوناً) .

و بناء على ذلك إذا امتنع مساعد المختبر عمداً عن إجراء فحوص التلازم بين وحدة الدم المراد إصطاحها و دم المريض فيكون بذلك الامتناع مسؤولاً عن النتيجة غير مشروعة المترتبة على سلوكه كما لو ارتكبها بفعل إيجابي لأن امتناعه عن إجراء فحوص التلازم قد وقع لتهلكاً للأدلة المفروضة عليه لسي التفتون و التعميمات الخاضع لها بحكم وظيفته .

ب. النتيجة الجرمية :

تتمثل النتيجة الإجرامية في الأذى الذي ينال جسم المجني عليه في عنصر أو أكثر من عناصره كالتز مرتكب على فعل الاعتداء .

و فيما يتعلق بموضوع البحث ، يمكن الإذناء في التفاعلات التحليلية الحاصلة عقب صلبة نال الدم غير المطابق و التي غالباً ما تؤدي إلى تكسّر في كريات الدم الحمراء الدم المنقول ، حيث تظهر أعراض و علامات مرضية على المجني عليه غالباً ما تكون مميتة.

وقد يصاب المجني عليه بتصور كلوي حاد إذا ما كتبت له الحالة^(١)، أما إذا لم ينس المجني عليه أي أذى بفعل الجاني لا يسأل عن فعله مهما كانت خطورته على سلامة جسم المجني عليه . ولا يمنع تحسّن حالة المريض المصبغة من مسألة الجاني عن جريمة الإذناء طالما نال المجني عليه أذى فعلي حتى ولو كان بسيطاً.

لأنه من الثابت طبياً في معظم حالات نال الدم غير المطابق أن حالة المجني عليه تتحسن خلال بضعة ساعات وتزول تلقائياً جميع الأعراض والعلامات المرضية التي كان يعاني منها باستثناء بعض العلامات التي يرافها ظهور بؤبؤان خفيف الشدة على الجلد والأغشية المخاطية^(٢). مما تجعل هذه العلامات المرضية بدون شك معاملة الجاني أمراً لازماً ولو كانت في أقل درجاتها.

فإذا كان الاعتداء المتمثل بنقل دم غير متطابق لا يشكل لمتلقي الدم مستوى أذى بسيط كالنقل وعدم الاستقرار واضرار الوجه وزيادة سرعة دقات القلب والتنفس ، فإن العقوبة تكون بكل درجة من درجات المسؤولية . والممكن من ذلك تكون العقوبة أشد إذا كان الأذى جسيماً. ويتحقق ذلك إذا أصاب متلقي الدم بعض أعراض المضاعفات المباشرة لتحال الفلانيا الحمراء كالآلام الظهر والفتلن التي تكون متبوعة لسي بعض الأحيان بدوار وغثان وحكة في الجلد ، أو انخفاض في درجات الحرارة وهبوطية مع إمكانية توقف تنفّس ، كما يمكن أن يعاني متلقي الدم غير المتطابق من تشنّج حادة قبل ارتفاع درجة الحرارة التي قد تصل إلى نحو ٤٠م أو أكثر^(٣). أو حيز عن العمل مدة تزيد على عشرين يوماً^(٤) ، ويمكن أن يتسبب ذلك إذا أصيب متلقي الدم بتصور كلوي حاد بسبب نقل حوالي ٢٠٠-٥٠٠ ملل من دم المتبرع غير المتطابق انمه^(٥) .

^١ : A.V. HOFFBRAND and J.E. PETTT, op.cit.p.215

^٢ : الدكتور عبد بدیع حمودة المرجع السابق ص ٣١٥

^٣ : الدكتور سلطان الشوي بالبرام الماسة بسلامة الجسم المرجع السابق ص ٦٢

^٤ : عبد الرحيم قطار/ بنك الدم/ نظري وعملية/ مكتبة دار النهضة/ ص ١٩٩١/ ص ١٢٤

^٥ : انظر المادة (٣٣٩) من قانون العقوبات الاتحادي والمادة (٢٤١) من قانون العقوبات المصري .

على أن يفتقد هذا القصور أو العجز من قدرة المجني عليه على القيام بالأعمال البدنية كأي فرد في المجتمع (كأن يستمر لديه شح البول أو انقطاعه) دورة تزيد على عشرين يوماً، فإذا ما شفي منقضى السدم قبل هذه المدة فلا محل للتشديد، وإن كانت المعالجة الفعالة لهذا المرض لم تنته بعد^(١). وعلى كل حال لا تطبق المحكمة النص الخاص بالتشديد إلا بعد انقضاء (٢١) يوم حتى إذا قطع الأطباء بتقريرهم المقدم إلى المحكمة امتداد العجز لأكثر من هذه المدة وإلا كان حكمها معيباً^(٢).

أما إذا أصيب المجني عليه بعاهة مستكنة - وهذا الأمر غير مستبعد بالنسبة لنقل دم غير متطابق مع دم المريض - فإن العقوبة تزداد جسمة، ويتحقق ذلك إذا فقد المجني عليه عضواً من أعضائه جسمه كلياً أو جزئياً أو فقدت منفعة أو نقصا أو إضعافه على نحو يعطله عن أداء وظيفته على نحو طبيعى وبصفة دائمة^(٣).

ولما يتعلق بموضوع البحث بمد القصور الكلي الحاد والدائم من أخطر مضاعفات نقل الدم التحليلية^(٤) التي يتحقق فيها معنى العاهة المستكنة بسبب تلف الجزء الخارجي للكيتين بشكل غير كامل للعلاج أو الشفاء مما يؤثر في قدرة الكلية على أداء وظيفتها الطبيعية حيث يسبب هذا القصور احتباساً نهائياً للبول^(٥). مما يتحقق به صفة الدوام التي اشتراطها المشرع في العاهة التي من شأنها تشديد العقوبة^(٦)، وهي استحالة الشفاء منها .

ثالثاً: علاقة السببية :

تعد العلاقة السببية عنصراً أساسياً من عناصر الركن المادي في جرائم الضرب والجرح وإعطاء المواد الضارة ، فإذا انقضت وتبين أن ما أصاب المجني عليه من أذى بدني لا يرتبط بسلوك المتهم بعلاقة السببية فقد انتهى الركن المادي للجريمة ولم يكن هناك محل لمساغة المتهم عن هذا الأذى ، ويجب أن تتوافر علاقة السببية بين فعل المتهم والأذى الذي أصاب جسم المجني عليه ، ويجب أن تتوافر كذلك بين هذا الفعل وبين الأذى الذي أصاب المجني عليه ، فإن لم تتوافر في صورته الأولى فلمتهم غير مسئول إطلاقاً عن جريمة الاحتذاء على سلامة الجسم في أي من درجاتها ولما يتعلق بموضوع بحثنا تقوم رابطة السببية بين نقل الدم غير المتطابق والنتيجة الإجرامية التي حصلت وهي الممأس بصفة المجني عليه إذا كان السلوك الذي اتهمه للجاني (فعلاً أو امتناعاً) في تنفيذ جريمته أحد عوامل التي أسهمت في إصابة المجني عليه ، يكون ذلك إذا أسندت العلامات والأعراض المرضية التي يعاني منها المجني عليه إلى عملية نقل الدم وكون الدم الذي تم نقله إلى المجني عليه غير متطابق مع دمه.

^١ : عبد الرحيم قطار/ المراجع السابق/ ص ١٢٤

^٢ : عبد الرحيم قطار/ المراجع السابق/ ص ١٢٥

^٣ : الدكتور هلال نوت/ بالنسب الخاص/ المراجع السابق ص ٣٧ ، الدكتور ملود سلامة/ تقنين العقوبات/ القسم الخاص

ج/٢/ جرائم الاعتداء على الأشخاص/ ١٩٨٢ ص ١٣٦

^٤ : عبد الرحيم قطار/ المراجع السابق/ ص ١٢٤

^٥ : انظر للمراجع السابق

^٦ : انظر نص المادة (٢٤٠) من قانون العقوبات المصري

الركن المعنوي:

جريمة إعطاء المادة الضارة جريمة عدية متى ارتكبت. عن قصد وعلم المجني عليه، ليتحقق للقصد الجنائي إذا ارتكب الجاني الفعل المكون للجريمة عن إرادة وعلم بأن هذا الفعل يترتب عليه المساس بسلامة جسم المجني عليه ، في حين تكون الجريمة غير عدية إذا لم يقصد الجاني المساس بسلامة جسم المجني عليه أو إزالته ، وإنما تحقق الإيذاء بخطئه غير العمدية.

وفيما يتعلق بموضوع البحث يشترط لتوافر القصد الجنائي أن يكون عالماً بحقيقة نشاطه وما يؤدي إليه من نتيجة معينة، أي عالماً بأن فعله المتمثل بنقل دم غير متطابق إلى المريض أو امتناعه عن إجراء لحوص تلائم الدم من قبيل الأفعال التي يترتب عليها المساس بجسم المجني عليه أو صحته.

المطلب الثالث

التكليف القانوني لجريمة نقل الدم

ملوث أو غير مطابق عن طريق الإهمال

لم تتضمن التشريعات الجنائية في كل من دولة الإمارات ومصر ولبنان على النقل غير العمدية للمسبب الإيذاء عن طريق الدم الملوث أو غيره من الوسائل إلى الغير على عكس الحال في بعض الولايات الأسترالية التي سنت تشريعات تحدد المسؤولية القانونية المترتبة والمجهزين عن النقل اللاوعي للفيروس من خلال نقل الدم ومشتقاته ، وفي ولاية [كويكزلاند] الأسترالية يمد مركز نقل الدم الحكومي في الولاية مسؤولاً جنائياً ومدنياً عن النقل اللائق ويدين وعي الفيروس الإيذاء ، وفي غياب تشريع محدد وغاص يحدد المسؤولية القانونية عن الانتقال اللاوعي للفيروس الإيذاء سوف يكون قانون الإهمال العام كافياً للتطبيق^(١).

وفي لبنان ومصر فقد اعتبر الاتجاه السائد في الفقه أن الجريمة المنصوص عليها في المادتين (٢٣٨، ٢٣٤) من قانون العقوبات المصري والمادتين (١٩/٢٢٢، ٦/٢٢١) من قانون العقوبات الفرنسي التي تعاقب على القتل والإصابة الخطأ هي التكليف القانوني للمناسب لنقل الجاني الذي ينقل عدوى الإيذاء إلى الغير بإهمال^(٢).

ونرى أن جريمة القتل الخطأ والإيذاء الخطأ ليست فصصاً للتكليف القانوني المناسب لنقل المجنسى عليه الذي شجب بإهماله في نقل دم ملوث فيروساً أو جرثوماً إلى الغير وإنما أيضاً لنقل الجاني المتمثل بنقل دم غير متطابق مع دم المريض نتيجة الخطأ والإهمال ، إذ لا يوجد في التشريع الجنائي لدولة الإمارات وكذلك سائر التشريعات الأجنبية نص يخلص بمآل على النقل غير العمدية للدم غير المتطابق. فنكتص المادة (٢٤٢) من قانون العقوبات الاتحادي على أن يعاقب بالحبس وبالعقوبة أو، بإحدى العقوبتين من شجب بخطئه في موت شخص... كما تنص المادة (٢٤٣) من قانون العقوبات أعلاه على أنه يعاقب

^١ : Legislative response to Aids , Australian Health medical Law report, op.cit.

^٢ : الدكتور جميل عبد الباقي الصغير، القانون الجنائي والإيذاء، دار النهضة العربية، ١٩٩٥ ص ٦٣٦

بالحبس مدة لا تزيد على سنة وبالغرامة التي لا تتجاوز عشرة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين من تصيب بخطئه في المعامل بملاحظة جسم غيره^(١).

يتضح من هذين النصين أن جرمي القتل والإصابة الخطأ تقومان على ثلاثة أركان

١. سلوك يتصف بالخطأ.

٢. قتل الجاني عليه ويلذته.

٣. وإتمام علاقة السببية بين القتل أو الإيذاء من جانب والخطأ من جانب آخر.

أولاً: السلوك الخاطئ

لا تختلف جريمة القتل والإصابة الخطأ في مبادئ السلوك المكون لها عن القتل العمد أو الإيذاء الممدعي لعل أو امتناع يملك الفاعلية السببية لإحداث الوفاة أو الإيذاء يصلح لتكوين الركن المادي لسي القتل والإصابة الخطأ متى حدثت النتيجة. إلا أن الذي يميز السلوك الإجرامي لجرمي القتل والإصابة الخطأ هو الصلة التي يتصف بها ، وهذه الصلة تتمثل في كون السلوك قد وقع بمخالفة القواعد العامة أو الخاصة للسلوك الواجب ، والتي من شأن مراعاتها تجنب وقوع النتائج غير المشروعة أو الضررة بمصالح وحقوق الآخرين المحمية جنائياً كحق الحياة والسلامة الجسدية^(٢).

ولم يرد في التشريع الإماراتي ولا التشريع المصري ولا الفرنسي تعريف جامع لفكرة الخطأ غير المقصود ، وإنما حاول الفقه إصطاح تعريف له يكشف عن مضمونه ويحدد ماهيته، حيث عرّفه الفقه الفرنسي بأنه: "المسلك الذي لا يأنه للرجل الحرص لو وجد في مكان الجاني، بينما عرّفه آخرون بأنه انتهاك لواجب ملقى على عاتق شخص معين إزاء شخص معين آخر في ممارسة العناية أو المساهلة أو كليهما^(٣)". كما عرّفه جانب من الفقه المصري بأنه: كل فعل أو ترك إرادي لا يتفق مع الحيلة والحذر التي تتطلبها الحياة الاجتماعية من الرجل الحرص ، وترتب عليه نتائج لم يردمها للطاق مسوء بطريق مباشر أو غير مباشر ولكن كان في وسعه تجنبها^(٤) .

وفيما يتعلق بموضوع البحث يجد النقل غير العمدي للفيروس الإيدز وغيره من الأمراض كالتهاب الكبد والسلس جذوره في الإهمال أو التقصير من جانب الممارسين في الحقل الطبي بمناسبة فحص الدم ونقله، كان يضع مساعد المختبر نتائج للفحوص المختبرية بشكل خاطئ على نتائج الدم والاستمارات الخاصة بها بسبب كثرة عدد الفحوص المختبرية بالنسبة للوقت المحدد لإكمالها ، أو أن لا يتحقق بالنسبة من نظافة الأدوات والأواني الزجاجية المستعملة في الفحص فتكون ملوثة بمرضياً ، أو أن يخطئ في أحد الاختبارات الأحادية اللازمة للكشف عن الأمراض القابلة للانتقال عن طريق الدم أو أحد مشتقاته نتيجة

^١ :نصت المادة (٤١٦) من قانون العقوبات العراقي على أن: "كل من أحدث بفسطه لذي أو مرض باخر بأن كان ذلك نائماً من إهمال أو عثرة أو عدم إتيان أو عدم احتيا أو عدم مراعاة القوانين والأنظمة والأوامر ، يتألب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تزيد على خمسين دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين. ويقابل هذا النص المادة (١٩/٢٢٢) من قانون العقوبات الفرنسي والمادة (٢٢٤) من قانون العقوبات المصري.

^٢ : الدكتور مأمون سلامة/ قانون العقوبات /التقسيم الخامس/المراجع السابق/ص ٩١

^٣ Stephen J. Hadfield, Law and ethics for doctors London , eyre and spott is woode, 1958, p. 116

^٤ : الدكتور رؤوف عبد/ جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال/المراجع السابق/ص ١٦٧

عدم المعرفة الدقيقة بمفردات طرق العمل الخاصة بالفحص للفيروسى المختبري فيأخذ خطوه صوره
لارعولة أو عدم الدراية بالشؤون المهنية.

كما يتحقق الخطأ في صورة عدم اتخاذ الاحتياطات من جانب العاملين في مختبر فحص الفيروسات ، إذا
أدرك مساعد المختبر أن إجراء الفحوص المطلوبة منه على وحدات الدم ان تعطي نتائج مضبوطة بسبب
قلة كفاءة الأجهزة المستخدمة في الفحص لقمها أو لكثرة استعمالها ، ومع ذلك استعمل هذه الأجهزة دون
أن يتخذ ما ينبغي من الاحتياطات التي تحول دون تحقيق الأضرار وذلك بإبلاغ السلطات في مركز نقل
الدم أو في وزارة الصحة عن عدم كفاءة الأجهزة وعجزها عن إعطاء نتائج دقيقة .

ويمكن تصور النقل غير العمدي للفيروس الإيدز إلى الغير في الفرض الذي يرجع فيه جهل نائل المندوى-
المتبرع بالدم- بحالته المرضية المعدية إلى خطئه الشخصي ، مثل ذلك حالة المتبرع الذي يلتقي شريكه
إلى مجموعات الخطر (ممنني المخدرات، الثولاء جنسيا) أو حالة المتبرع الذي يشاهد علامات للمرض
تظهر على جسمه ومع ذلك يتبرع بدمه الملوث إلى أحد مراكز نقل الدم دون اتخاذ الإجراءات اللازمة
قبل التبرع بالدم ، وهي إخضاع نفسه للتحولات اللازمة لتأكد من سلامة وخواص دمه من الأمراض ، فسي
حين كان في استطاعته ذلك قبل الإقدام على عملية التبرع ، ففي مثل هذه الحالات لا يستطيع المتبرع
بالدم أن يتعمق بجهله للتخلص من المسؤولية الجنائية طالما كان الخطأ ثابتاً في حقه ويتحمل هذا في عدم
خضوع المتبرع المصاب للفحوصات الطبية دورية تسمح له بمعرفة كونه حاملاً للفيروس من عدمه.

أما بالنسبة لجمعية نقل دم ملوث جرثومياً إلى المريض ، فلا يتصور فيها اتهام مسؤولية الجنائي إلا
بصورة غير عدية ، إذ لا تسرب الجراثيم إلى زجاجات الدم بسبب عدم الاعتناء عالية كافية وبشكل فسي
بتنظيف و تعقيم أجهزة جمع الدم و زجاجاته ، أو عدم تنظيف جلد المتبرع تنظيفاً جيداً قبل سحب الدم
منه، إذ من الممكن أثناء جمع الدم أن يتلوث بالجرثائم الموجودة على الطبقة السطحية و المعيقة للجلد
الموافقة للوريد المراد سحب الدم منه^(١) .

و يتخذ الخطأ غير العمدي المستوجب للمسؤولية الجنائية أيضاً صورة الإهمال و الأخطاء الكتابية في
الحالات التي يعطي فيها المريض دماً مخالفاً للصيلته أو غير ملائم له ، و بمعنى آخر أن معظم حالات
عدم تطبيق الدم ترجع إلى خطأ العاملين في جمع الدم و تسجيله و فحص و إيراد المعلومات الخاطئة على
القطعة الورقية الملصقة على كيس الدم (المأخوذ من المتبرع)^(٢) مثال على ذلك كان لا يلمسك مساعد
للمختبر القسمة الخاصة بتلازم الدم على وحدته بعد انتهائه من إجراء لاختبارات لتتلازم طويها مع دم
المريض ، أو لم يتحقق الطبيب قبل تطبيق الدم من إجراء لاختبارات لتتلازم بين وحدة الدم و بين دم
المريض^(٣).

ومن الصور التي يتحقق بها الخطأ العمدي للعاملين في الحقل الطبي وفي مراكز نقل الدم الرئيسية
بمناسبة نقل دم ملوث بمرض معد مخالفة قاعدة من التواعد التي تتضمنها التشريعات المنظمة لمعاملات
نقل الدم وحفظه والتي تنص على وجوب إخضاع جميع وحدات الدم المنقولة للمرضى بعض النظر عن
حالات الصرف سواء أكانت المعالجات مبرجة أو اضطرارية (مستعجلة) لفحوصات سيرولوجية للتحقق

^١ : عمد بدع حودة ، المرجع السابق ص ٣٢١ وما بعدها

^٢ : Bailey and Jovs , op.cit. p.7 .

^٣ : عمد بدع حودة ، المرجع السابق ص ٣١١

من خلوها من الأمراض السارية مثل الإيدز والتهاب الكبد والسفلس، أو إذا سلك الجاني على نحو يخالف مقتضى القواعد التي تقرها الأنظمة والأوامر والتعليمات الصادرة في هذا الخصوص من وزارة الصحة والمسلطات الإدارية في مراكز نقل الدم الرئيسية بما يؤدي إلى حدوث نتائج يعاقب عليها القانون^(١). ذلك، أن جميع هذه القواعد مواءمات لنظمها لائحة أو قانون وضعت لغرض وقائي أو احتياطي معين يرتب على عدم الاتكاف بها الأضرار أو التهديد بوقوع نتائج ضارة بمصالح الأفراد أممها ولخطرنا انتقال الأمراض المعدية والسارية إلى الأبرياء عن طريق نقل الدم وانتشارها بشكل قد يصعب السيطرة عليه ولا سيما بالنسبة للأمراض التي ليس لها علاج لحد الآن.

في فرنسا، فقد نصت المادة (٤/٦٦٦) من قانون السلامة في ميدان نقل الدم الصادر في ٤ كانون الثاني ١٩٩٣ على أنه: "لا يجوز توزيع الدم ومكونات الدم ومشتقاتها أو استعمالها ما لم تخضع للتحليلات والاختبارات الأحادية للكشف عن الأمراض القابلة للانتقال بواسطة^(٢)".

وفي مصر، أزم القرار الوزاري رقم ١٠٤ لسنة ١٩٨٥ (الصادر بشأن مستويات مراكز نقل الدم ومصلحتها) مراكز الدم الرئيسية والفرعية القيام بجميع التحاليل المعملية المتخصصة لتحديد العلامات البيولوجية التي تكشف عن تلوّث الدم بفيروس نقص المناعة المكتسبة وفيروس التهاب الكبد^(٣).

أما في خصوص الاحتياطات الواجب اتباعها عند استيراد أو قبول وحدات الدم أو مكوناته أو مشتقاته فقد نص القرار الوزاري المصري رقم ٢١٠ لسنة ١٩٨٧ في المادة الأولى على أنه: "يُحظر الإفراج الصحي عن أية وحدات دم أو مكوناته أو مشتقاته مستوردة أو واردة كهدية إلا بعد أن تقوم الجهات المختصة بوزارة الصحة بالتأكد من سلامة لمرضى التهاب الكبد الوبائي ومرضى الإيدز وذلك بتحليل عينات من جميع التشتيفات الواردة بالمرسلات، أو تقديم شهادة رسمية من جهة ممتدة لتقيد سلامة وحدات الدم أو مكوناته أو مشتقاته من الأمراض المذكورة^(٤)".

كما جاء في قرار وزير الصحة المصري رقم ١٠١ لسنة ١٩٩٣ في المادة الأولى على أنه: "تلتزم جميع مراكز الدم الحكومية والخاصة بمستوياتها الثلاثة (مراكز الدم الرئيسية ومراكز الدم الفرعية، ومراكز تغلزين الدم) بفحص جميع وحدات الدم للتهاب الكبد (C) بالإضافة إلى باقي الفحوصات السيرولوجية الأخرى للإيدز والتهاب الكبد الوبائي (B) والزهري^(٥)".

كما نصت المادة الثالثة من القرار أعلاه على أنه: "لا يجوز للمراكز المشار إليها بالمادة السابقة مصرف أية وحدة دم قبل إجراء جميع الفحوصات المطلوبة والتأكد من سلامتها وتكوين نتائجها ممتدة من الطبيب الذي قام بالفحص والتحليل عن كل وحدة دم". ولا يوجد ثمة تمازج بين الضوابط والتعليمات المعمول بها في دولة الإمارات وما صدر في فرنسا ومصر، إذ تؤكد جميع القرارات والتعليمات الصادرة من تلك الدول في دولة الإمارات بعدم جواز صرف أو استعمال الدم المسحوب فوراً قبل إجراء الفحوصات الأساسية للآزمة لسلامة الدم، ومنها الفحوصات الفيروسية. وكذلك يسل العاملان في مصادر الدم عند مخالفة الضوابط والتعليمات المطلوب اتباعها في عملية صرف الدم والخاصة بالتأكد من مطابقة وحدة الدم

^١ : لا ذكر ملأون سلامة، قانون العقوبات /انقسم الخاص /الرجع السابق/ص ١٠٥

^٢ : Law No 93-5 of 4 January, 1993 op.cit.p237.

^٣ : لا ذكر جدي علي عمر، المسؤولية دون خطأ للمرافق الطبية العامة /الرجع السابق ص ٨٥.

^٤ : لا ذكر محمد عبد الظاهر حسن، الرجع السابق، ص ٣٩

المتبرع بها المجموعة الدموية للمريض في نظام Rh, A, B, O وتجنب قدر الإمكان الاعتماد على دم المتبرع العام المصنف بالمجموعة الدموية (O) ^(١) باستثناء الحالات الطارئة جداً كالحوادث والسزيف الحاد ، إذ يجب إعطائهم الدم بالسرعة الممكنة ، وعليه لا يكون الطبيب المعالج مسؤولاً إذا قرر في هذه الحالات المستعجلة إعطاء دم لمريض دون إجراء فحص التلازم عليه لدم وجود الوقت الكافي لأخذ لعينة من المريض التي هي أسهل لاختيار الدم وإجراء الفحوص عليها ، على أن يرسل عينة دم من المريض بالسرعة الممكنة لمعرفة التفضيلة الدموية والعملل الرئيسي لتلبية احتياج المريض من الدم للتلازم في وقت لاحق إن أزم الأمر .

ثانياً : النتيجة الجرمية:

يشترط لتوالم جريمة القتل والإيذاء الخطأ أن تتحقق نتيجة معينة تتمثل في وفاة المجني عليه فسي للقتل الخطأ أو المساس بسلامة جسمه أو صحته في الإيذاء الخطأ . فإذا لم تحدث هذه النتيجة لم تلم للجريمة مهما توافر الخطأ في ملك الشخص ومهما كان الخطأ جسيماً .

و فيما يتعلق بموضوع البحث ، تتمثل الجريمة غير المشروعة في كون دم المريض أصبح إيجابياً للفيروس أو في ظهور أعراض أو أمراض تكشف عنه أو في حدوث الوفاة ، حيث تشمل النتيجة غير المشروعة بالنسبة لجريمة نقل دم ملوث جرثومياً إلى المريض في ظهور أعراض مرضية تتفق بشخصتها وخطورتها تلك الأعراض الناتجة عن دم تتلازم الدم ، لأن المريض الذي يعطى له دم ملوث سرعان ما يصاب بمضاعفات وارتفاع في درجات الحرارة و ألم ظهري و آخر عضلي ثم يقوى دماً ويعتبره إسسهال و قد يفتقه نوبت من الهذيان ، إلا أن أخطر أعراض التلوث الجرثومي هو إصابة المريض بالصدمة الحمراء أو الصدمة التي تتصف بتوسع الجملة الوعائية المحيطة فينجم عنها نفاذ الجلد و احمراره و جلغله ، فإذا ما أصيب متلقي الدم بأحد هذه الأعراض قللت مسؤولية مرتكب السلوك الخاطئ عن جريمة الإيذاء الخطأ ، أما إذا توفي المريض بعد عملية نقل الدم ، فإن الجاني يسأل عن جريمة القتل الخطأ ^(٢) . وهكذا يتضح لنا أن صرف أية وحدة دم غير ملعومة سيولوجياً أو نقلها إلى المريض لا يعدو أن يكون مجرد تعرض للخطر ، و لا يخضع بالتالي لمقوية القتل و الإصابة الخطأ ما لم يظهر خسرر ما نتيجة إسهال و تقصير العاملين في مركز الدم

عند أجراء الفحوص و التحليلات الإحيائية عليها أو نتيجة عدم إجراء جميع الفحوص المطلوبة عليها للكشف عن الأمراض القابلة للانتقال بواسطتها كالإيدز و التهاب الكبد الوبائي ، و لذلك لا يعد مجرد تعريض متلقي الدم للخطر جريمة . و بناء على ذلك يسأل الجاني الذي تسبب في نقل عدوى فيروس مرض معد إلى المجني عليه نتيجة إسهاله أو تقصيره في فحوص الدم أو عدم مراعاته للتقارين و الأنظمة و الأوامر الصادرة في هذا الفصوص عن جملة الإيذاء الخطأ إذا دلت نتائج تحليل دم المجني عليه حسن إصابته بأحد الأمراض المعدية المذكورة سابقاً . أما إذا نتج عن الإصابة بالفيروس عامة مستكفية ، و هذا ما يحدث غالباً ، و ذلك في عدم إمكانية مواصلة المجني عليه حياة جنسية طبيعية .

^١ : عبد الرحيم لطاير / المربع السابق / ص ١٢١ وما بعدها .

^٢ عبد بدیع حمدة ، المربع السابق ، ص ٣٢٢ وما بعدها .

فإن الجاني يسأل عن جلة الإيذاء الخطأ في صورتها المتعددة ، إذا توفي الجاني عليه بعد نقل الدم مباشرة أو بعد مدة قصيرة ، كما لو تم نقل كمية كبيرة إليه من الدم الغير متطابق أو من الدم الملوث ، فإن يسأل عن جريمة القتل الخطأ و إن كان لا يتصور في الغالب وفاة المصاب بفيروس الإيدز أو غيره من الأمراض بعد نقل الدم إليه مباشرة ، لأن ظهور الإصابة و الإعلان عنها و إكمال ظهورها يستغرق زمناً طويلاً ، بل إن المريض بالفيروس يعيش زمناً بعد الإصابة يطول أو يقصر . و مع ذلك فإن ترافسي وفاة المجني عليه لفترة طويلة لا يمنع من محكمة مرتكب السلوك الخاطئ عن جريمة القتل الخطأ إذا تم تحريك الدعوى الجنائية ضده بعد حصول الوفاة طالما لم تسقط الدعوى بالتقادم و لم يسبق محاكمة المتهم عن ذات الفعل .

كما أن تغيير نتيجة الفعل (إيجابية الدم للفيروس ثم ظهور أعراض الدم ثم الوفاة) لا يمنع من تعديل التكييف القانوني للفعل طالما لم يصدر في الجريمة حكم نهائي، لذلك يجب قول إحالة المتهم بنقل الدم الملوث إلى المحكمة للتأكد من أنه لم تحدث أية مضاعفات لنقل العدوى تجعل لمولوك المتهم نتيجة تُشدّ جسامه ويسأل عنها بوصف إجرامي أشد كالعامة أو الوفاة، وتطبيقاً لذلك قضى بأنه إذا اقترح الطبيب الشرعي عرض المجلس عليه على إخصائي المسالك البولية للتحقق من عدم تخلف عامة لديه في الجهاز البولي يكون الحكم ميباً إذا تمجل الفصل في القضية قول ذلك التيقن ، خاصة وأنه لا يجوز محاكمة للشخص عن الفعل الواحد مرتين^(١).

ثالثاً: علاقة السببية

لا يكفي إتيان جريمة القتل الخطأ والإصابة الخطأ أن يثبت وقوع نشاط خاطئ من جانب الممارين في مراكز نقل الدم ، وأن يترتب على ذلك موت إنسان أو إصابته بمرض أو عامة مستكنية أو أي أذى آخر ، بل لابد من أن يكون بين السلوك الخاطئ والنتيجة التي حصلت علاقة سببية (علاقة السبب بالمسبب) إذ لا يتصور وقوع الوفاة أو الإصابة لو لم يقع الخطأ.

وتتوارى علاقة السببية بين سلوك الجاني والنتيجة النهائية إذا أسلنت وفاة المجني عليه أو إصابته بفيروس المرض المعدى إلى الخطأ الذي صدر من الممارين في مركز نقل الدم من جانب، وإسناد تلك الوفاة أو الإصابة إلى الممارين في هذا المركز من جانب آخر.

ولا يمكن إسناد النتيجة غير المشروعة إلى إهمال وتقصير في مصارف الدم أو إلى عدم مراعاتهم للقوانين والأنظمة والأوامر الصادرة في مجال حفظ الدم ونقله إلا إذا كان سبب الإصابة هو الدم المنقول سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر، ويتم إثبات علاقة السببية بين الإصابة والدم من خلال قرينة قانونية يلجأ إليها القضاء عادة موداهما " ما دام نقل الدم قد تم في تاريخ سابق على ظهور الإصابة ووقت مناسب يكفي لاتضاح آثارها ، فإن ذلك يعد قرينة ودليلاً على قيام رابطة السببية بين الفعل- نقل الدم- والنتيجة- الضرر الذي نتج عن الإصابة^(٢)، وتبقى هذه القرينة لكافة لصالح المريض ما لم يكن هناك سبب أجنبي يقلع علاقة السببية وينقض هذه القرينة لأنها بسيطة يمكن إثبات عكسها من خلال إثبات وجود طرق أخرى لنقل العدوى مثل الاتصال الجنسي الذي تم بعد نقل الدم مع شخص مصعب بالفيروس أو عن طريق أداة طبية ملوثة.

^١ : الدكتور جميل عبد الباقى الصغير ، المرجع السابق، ص ٦٧ وما بعدها

² Les dessous l'affaire du sang contaminé sur fond de rivalité franco-américaine le monde diplomatique-fevrier 1999.

أما إذا تداخلت مع النشاط الخلطي عوامل أخرى متعددة سواء كانت سابقة له أو معاصرة أو لاحقة عليه وتكون قد أسهمت كلها في تحقيق النتيجة على الوجه واليكيفية التي حصلت بها فإن القضاء في دولة الإمارات العربية المتحدة سوف يطبق المعيار المنصوص عليه في المادة (٢٢) من قانون العقوبات الاتحادي بقاؤها لا يسأل الشخص عن جريمة لم تكن نتيجة لنشاطه الإجرامي ، غير أنه يسأل عن الجدية ولو كان قد أسهم مع نشاطه الإجرامي في إحداثها بسبب آخر سابق أو معاصر أو لاحق متى كان هذا السبب متوكفا أو محتملا وفقا للمسار المعادي للآخر ، أما إذا كان السبب وحده كافيا لإحداث نتيجة الجريمة فلا يسأل للشخص في هذه الحالة إلا عن الفعل الذي ارتكبه^١.

وهكذا نجد أن معظم حالات المسؤولية الناتجة عن عمليات نقل الدم تقتضي الأخذ بنظرية تعادل الأسباب نظراً لصعوبة الفصل بين دور كل عامل مساهم في إحداث الإصابة والوقوف على العنصر الفاعل فسي ذلك ولا سيما إذا وجد أكثر من شخص تسبب خطأ في نقل فيروس مرض معد إلى المجني عليه ، على سبيل المثال أن نكون أحد الشواهد من معلمي المختبرات ضخمة خفت طريق (دهس) واستلزم نقله إلى المستشفى فيقترن الطبيب المعالج احتياجه إلى نقل الدم وكان هذا الدم غير خاضع للفحوصات ، وبعد خروج المجني عليه من المستشفى اتصل جليسياً مع أحد معلمي المختبرات مما يصعب معه معرفة من تسبب في نقل فيروس الإيدز إليه وإقامة الدليل ضده ، خلاصة وفه يقع على عاتق المجني عليه إثباته الدلائل على تورط علاقة السببية بين السلوك الخلطي والنتيجة ، فضلاً عن إثبات أنه كان سليماً غير مصاب بفيروس الإيدز قبل إجراء عملية نقل الدم وإن إصابته بالفيروس تعود إلى عملية نقل الدم ولم تتم بطرق آخر.

أما إذا ثبت أن شريك المجني عليه (بممن المختبرات) كان مصاباً بفيروس الإيدز وفي حالته المتشعبة وقد مضت مدة كافية على الاتصال الجنسي وظهور الضرر على المجني عليه ، فسيتم فصل الاتصال الجنسي سيقطع علاقة السببية بين خطأ الماملين في مركز نقل الدم والنتيجة النهائية لأنه مستقل عنه وكما بذلته لإحداث النتيجة ، أي أن إصابة المجني عليه بمرض معد سوف تقع حتماً ولو لم يهمل الماملون فسي مراكز نقل الدم إجراء الفحوص المطلوبة على الدم ، وعليه يتحمل السبب الأجنبي المتمثل بفعل الاتصال الجنسي وحده النتيجة النهائية ، ولا يسأل الطبيب المعالج والماملون في مركز نقل الدم إلا عن خطئهم وهو التقدير المتوفى في حقهم ، وكذلك الحال إذا ثبت أن الإصابة بالفيروس قد تمت عن طريق حقن المريض بإبرة ملوثة . وقد تبنت محكمة باريس نظرية تعادل الأسباب عندما قضت بمسؤولية كل من مركز نقل الدم والطبيب المعالج والمستشفى عن إصابة المرحوم بفيروس الإيدز ، متى ثبت أن عملية نقل الدم كانت هي السبب فسي الإصابة بهذا المرض^(١).

ومع ذلك ذهبت قالة من المحاكم إلى الأخذ بنظرية السبب الملتج لتعديد المسئول عن الأضرار الناتجة عن الإصابة بسبب نقل الدم الملوث . فقد ذهبت محكمة [VERSAILLES] إلى استبعاد مسؤولية مركز نقل الدم والاحتفاظ بمسؤولية الجراح وحده عن الإصابة لأنه تكفل بمدة عمليات متتابعة احتاجت إلى نقل المزيد من الدم لم يكن المريض في حاجة إلى كل هذه العمليات ، ومن ثم إلى كل هذا الدم . وقرر القضاء قيام علاقة السببية بين خطأ الطبيب وحده وبين الإصابة ولكن على أن " ملائمة خطأ الطبيب لإحداث النتيجة يسمح بإزالة كل شك حول قيام علاقة السببية بين هذا الخطأ وبين نقل الدم وبالتالي الإصابة"^(٢).

^١ : محمد عبد الظاهر / حسن / المرجع السابق / ص ١٤٠ وما بعدها.

^٢ : محمد عبد الظاهر / المرجع السابق / ص ١٤٢.

كما أن هناك حالات معينة يكون من السهل فيها الأخذ بنظرية السبب المنتج وهي الحالات التي يتضح فيها بجلاء أن هناك عاملاً من بين العوامل المعنية التي أسهمت في إحداث النتيجة قد استغرقت باقي العوامل، وأولاه لما تحققت النتيجة المعاكب عليها على الرغم من وجود بقية العناصر . مثال ذلك إذا انسق الطبيب المعالج على نقل دم من فصيلة مختلفة عن فصيلة المريض ، وكانت النتيجة وفاة المريض إثر ذلك ، فهنا يتضح بأنه لو لا اختلاف فصيلة الدم المنقول عن فصيلة دم المريض لما حدثت الوفاة.

الخلاصة

يتضح لنا من العرض السابق ما لنقل الدم من أهمية كبيرة في العلاج الجراحي وفي إقلاق الناس ، مما حفز الحكومات المختلفة على تشجيع الأطباء والعلماء على القيام بأبحاث كثيرة لتخزين الدم ونقله والاختصاص بإنشاء بنوك الدم يخزن فيها دم المتبرعين ويصرف عند الحاجة للمريض والجرحى ، ونظراً لهذا الحاجة الملحة والضرورية نجد أن المشرع في كل من فرنسا ومصر ودولة الإمارات العربية المتحدة قد تدخلت بتدخل بسيط لتوليين تنظم التبرع بالدم وتحدد مراكز نقل الدم .

لقد وجدنا أن عملية نقل الدم تشكل اعتماداً على الحق في سلامة الجسد ، إذا لم يراع الطبيب المكلف بمهمة أخذ الدم من جسد المتبرع الحصول على الرضاء الحر والمسبق من المتبرع المتمتع بالكمال الأهلية ، أو إذا لم يحصل الطبيب المعالج أو الجراح على موافقة المريض قبل إجراء عملية نقل الدم كعملية أصلية أو ثانوية ضمن التدخل الجراحي ، وضرورة أن يسبقه توصيل وإقلم منقلى الدم بطبيعة نقل الدم بوصفه علاجاً مقترحاً . وقد رأينا طبيعة المخاطر التي تتضمنها عملية نقل الدم وما ترتب على ذلك من استمرار جسيمة للأشخاص المنقول إليهم الدم والتي تنشأ عن العدوى أو الإلحاق في القيام بهذه العملية من حيث إجراء الفحوصات الفيروسية أو من حيث إجراء فحوصات ثلاث الدم أو التوافق ما بين دم الأخذ والمعطى ، إذ تصل غالباً إلى درجة القضاء على حياة المريض أو في الأكل إصابته بعمامة أو عجل جزئي أو كلي يفقده القدرة على ممارسة حياته بشكل طبيعي ، ولقدالة الأمل في المستقبل طوال المدة التي يماني فيها من مرض ناتج من الدم الملوث المنقول إليه .

وأخيراً صموية معرفة الخطأ الذي أدى إلى إصابة المجنى عليه بمضاعفات نقل الدم أو إصابته بأحد الأمراض السارية أو المعدية ، وذلك لعدم تحديد المسؤولية الطبية والقانونية للأطراف المشاركة في عملية نقل الدم . وإذا لم تحدد قوانين نقابة الأطباء والتشريعات الصادرة في مجال نقل الدم الصلاحيات الطبية والواجبات الملقاة على عاتق كل من إدارة المركز الوطني لنقل الدم والقيمين المسجلين في مجال التحليل والفحص المختبري والأطباء المتدخلين في عملية نقل الدم من جراحين ومختبرين .

أما في الجانب الإجرائي فقد وجدنا أن قرار إحالة الطبيب أو المعالج في جريمة نقل الدم الملوث أو غير المتطابق في حالة ارتكابها من أحدهم أثناء تأدية الوظيفة أو بسببها متوقفة على إذن من الوزير للتابع له الطبيب أو المعالج أو المسؤول ، مما تكشف عن رغبة المشرع في توفير فروع من أنواع الحماية لأفراد الكادر الطبي ضد المسؤولية الجنائية ، والذي يهنا هنا هو حماية المتبرع ومنقلى الدم بشكل كامل .

بعد المركز الوطني لنقل المسؤول عن تنظيم عملية التبرع وهو الجهة الوحيدة التي يسمح لها بمزاولة نشاطه أخذ الدم وذلك إذا :

1. توافرت الشروط المطلوبة من منشآت أو مباني حديثة ونظيفة ، وأجهزة تقنية متطورة وكادر طبي متخصص .
2. إلزام الأطباء المسجلين والقنيين في مختبرات فحص الفيروسات بإعطاء نتائج تحليل صححة سلبية أي خالية من فيروسات المرض لم إيجابية أي حمولة له .
3. إلزام الأطباء القنيين بمهمة اختيار المتبرعين بالحصول على إقرار كتابي أو موافقة خطية من المتبرع بالدم للكمال الأهلية لضمان سلامة رضاء المتبرع وتوافير المزيد من الجسدية له .

٤. يجب توعية المواطنين بأهمية التبرع بالدم وفوائده لمحتاجيه موعلى الجهات الحكومية المختصة توضيح ذلك من خلال حملات التوعية الصحية وتأكيد أن التبرع بالدم هو حق من حقوق الوطن على أبنائه.
٥. يعتبر مدير المستشفى الذي أعطى فيه الدم أو أحد مشتقلته مسؤولاً جزائياً عن العدوى التي أصابت متلقي الدم إذا أبلغ بأن الدم أو أحد مشتقلته يحتمل أن يحتوي على جسيمات مضادة لفيرس الإيدز أو التهاب الكبد الوبائي أو غيرها ولم يتخذ من الخطوات المعقولة لضمان أن الدم أو منتج له يعطى إلى شخص معين.
٦. يعد الطبيب والجراح اللقائم بعملية نقل الدم للمريض مسؤولاً عن وحدة الدم بعد تسلمها من إدارة المستشفى ، ويكون مهملاً إذا انتهك هذا الواجب أو إذا لم يبتذل درجة معقولة من العناية في الرقابة والمحافظة على وحدة الدم.
٧. أن يتناول جميع المتبرعين عن حملتهم على نحو تطوعي ومن دون تلقي أي مدفوعات مالية، ولا يتم إلا من خلال وضع عقوبات جزائية تصل إلى حد الحبس على باعة الدم المحترفين.
٨. لا يكفي تأكيد العنصر الأخلاقي لمبدأ التبرع التطوعي للدم ، وإنما على المشرع الأخذ بنظر الاحتياط بعنصره الثاني المرتبط بأمانة وجوده الدم ويدعى بعنصر الأمان ، لارتباطه بأهمية ووضع المتبرع الصحي وتقديرته على استقراء تاريخه الطبي على نحو معتمد وموثوق قدر تعلق الأمر بتكرره على التبرع بالدم .
٩. لذلك يجب تحديد الفحوص للموكلية على المتبرع بالدم على أن يراعى الحد الأدنى من الفحص البدني الذي يشمل الوزن وضغط الدم والنبض ودرجة حرارة الجسم.
١٠. إلزام المركز الوطني للنقل الدم بتزويد المتبرعين بإعلان أو بيان بشأن ملامتهم الطبية كمتبرعين.
١١. أن يأتي الدم من السكان المحليين ولا يستورد من أي مصدر آخر لتقطع الطريق أمام البلدان الأخرى لتصدير دم حامل لفيرس الإيدز أو غيره من الأمراض السارية، أو دم أحد المتبرعين الأجانب للمصابين بأحد هذه الأمراض لوكون وسيلة من وسائل تخريب البلاد.
١٢. أن تطبق الكفاية الذاتية على الدم ومكوناته.
١٣. لئلا على قربة قانونية بسيطة لصالح المضروبين من صلايات نقل الدم تفاهيم من صعب إثبات الغشاً ، ويكفي منهم إثبات صلية نقل الدم ووجود الإصابة ليفترض بعد ذلك وجود الخطأ وعلاقة السببية بين الفعل والضرر الناتج.
١٤. فرض عقوبة جزائية مدة لا تزيد على ٢٥ سنة على من تعمد نقل فيروس مرض خطير إلى الغير وتوصل إلى تحقيق ذلك ، وتصل العقوبة إلى الإعدام إذا كان الجاني أحد أفراد الكادر الطبي المختص بتحليل الدم ونقله.

المصادر

- ١) أحمد شرف الدين مسؤولية الطبيب ، مشكلات المسؤولية في المستشفيات العامة / دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقضاء الكويتي والمصري والفرنسي / ١٩٨٦.
- الأحكام الشرعية للإعصال الطبية / الطبعة الثانية / ١٩٨٧.
- ٢) أحمد شوقي أبو خطوة القانون الجنائي والطب الحديث / ١٩٨٦.
- ٣) يسام مختصم بالله المسؤولية الطبية المدنية والجزائية بين النظرية والتطبيق / الطبعة الأولى / دار الإزمان / ١٩٨٤ .
- ٤) جلال لسروت نظم القسم الخاص - الجزء الأول - جرائم الاعتداء على الأشخاص / الدار الجامعية للطباعة والنشر - الإسكندرية / ١٩٨٤ .
- ٥) جميل عبد الباقي الصغير القانون الجنائي والإيز / دار النهضة العربية / ١٩٩٥ .
- ٦) رأيت محمد أحمد حماد أحكام العلويات الجراحية - دراسة مقارنة بين القانون المدني والفقه الإسلامي / دار النهضة العربية - القاهرة / ١٩٩٦.
- ٧) رؤوف صبيد السببية في القانون الجنائي - دراسة تحليلية مقارنة / مطبعة لهضة مصر للقاهرة / ١٩٥٩ .
- مبادئ القسم العام من التشريع العقابي / الطبعة الثالثة / مطبعة الفكر العربي / ١٩٦٦.
- ٨) صاحب صبيد الفتاوى التشريعات الصحية / الطبعة الأولى / مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع - عمان / ١٩٩٧.
- ٩) عبد السلام التواحي المسؤولية المدنية للطبيب في التشريعات الإسلامية وفي القانون السوري والمصري والفرنسي .
- ١٠) علي حسين الخلف المبادئ العامة في قانون العقوبات / ١٩٨٢ .
- والدكتور سلطان الشاوي
- ١١) عمر السعيد رمضان شرح قانون العقوبات - القسم الخاص / دار النهضة العربية / ١٩٦٤-١٩٦٥.
- ١٢) مأمون محمد سلامة الإجراءات الجنائية في التشريع المصري - الجزء الثاني / مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي / ١٩٧٩ .
- قانون العقوبات ، القسم الخاص - الجزء الثاني - جرائم الاعتداء على الأشخاص / ١٩٨٢
- ١٣) محمد زكي أبو عامر قانون العقوبات اللبناني - القسم العام / الدار للجامعة للطباعة والنشر - بيروت / ١٩٨١ .
- ١٤) محمد سليمي السيد الشوا الحماية الجنائية للحق في سلامة الجسم / ١٩٨٦.
- ١٥) محمد عبد الظاهر حسين مشكلات المسؤولية المدنية في مجال عملية نقل الدم / دار النهضة العربية - القاهرة / ١٩٩٥ .
- ١٦) مصطفى العرجسي القانون الجنائي العام - الجزء الثاني - المسؤولية الجنائية / الطبعة الأولى / ١٩٨٥

- ١٧) فخري عبد الرزاق الحديثي شرح قانون العقوبات - القسم الخاص / مطبعة الزمان - بغداد ١٩٩٦.
- ١٨) عبيد الحسين بيرم الموسوعة الطبية العربية / الطبعة الأولى / دار الفلاسفة - بغداد / ١٩٨٦.
- ١٩) عبد الرحيم قطاير بنك الدم - نظري وعلمي / مكتبة دار الثقافة - عمان / ١٩٩١ .
- ٢٠) محمد بنيسع حمودة أمراض الدم / الطبعة السادسة / منشورات جامعة دمشق / ١٩٩١ - ١٩٩٢ .
- ٢١) جابر مهنا شميل مدى مشروعية صليبات نقل وزرع الأعضاء البشرية / رسالة دكتوراه جامعة بغداد / ١٩٩١ .
- ٢٢) حمدي علي عسر المسؤولية دون خطأ للمرافق الطبية العامة - دراسة مقارنة / رسالة دكتوراه القاهرة / دار النهضة العربية / ١٩٩٥ .
- ٢٣) راسم مسير جاسم الشمري حالة الضرورة في قانون العقوبات - دراسة مقارنة / رسالة الدكتوراه جامعة بغداد / ١٩٩٥ .
- ٢٤) عادل عبد إبراهيم حق الطبيب في ممارسة الأعمال الطبية ومسؤولية الجنائية / رسالة ماجستير جامعة بغداد / ١٩٧٧ .
- ٢٥) محمد حماد مرهج الهيتي الخطأ المفترض في المسؤولية الجنائية / رسالة دكتوراه - جامعة بغداد / ١٩٩١
- ٢٦) نوار دهام مطر الزبيدي الحماية الجنائية للبيئة ضد أخطار التلوث / رسالة دكتوراه - جامعة بغداد / ١٩٩٧ .
- ٢٧) سلطان الشاوي الجرائم الماسة بسلامة الجسم / مجلة العلوم القانونية / المجلد العاشر / العدد الثاني / ١٩٩٤ .
- ٢٨) محمد طلي السوطاوي حكم نقل الدم في التشريعية الإسلامية / مقالات نشرت بعنوان :
Text of Islamic roles (in Arabic) in A.Ala
Fereydoun and EL - Nageh Mohamed , Blood
Trasfusion A Basic Text , Annex6,1994.
- ٢٩) محمود نجيب حسين الحق في سلامة الجسم ومدى الحماية التي يكفلها له قانون العقوبات / مجلة القانون والاقتصاد / العدد الثالث / ١٩٥٩ .
- ٣٠) وجية خاطر نقل وزرع أعضاء الجسم البشري - دراسة مقارنة وقانونية لنقل أعضاء والأنسجة من جسم لآخر / مجلة المحامون السورية / عدد ١-٦ / ١٩٨٨ .

- 1) Marshall Merlin and Bird Thomas Blood Loss and replacement 1979.P.21.
- 2) A ALA FERREYDOUN and EL Mohammed blood transfusion A basic Text
World Health organization Regional office the Eastern Mediterranean
Alexandria Egypt 1994.p.1.
- 3) Rousselet Marcel (and other) Droit penal edition entiereement refondue et mise
jour 22 rue, soufflot Paris , v.1972.p.356.
- 4) Circular DH/DGS/3B.NO.47 of 15 jan 1992 on the follow up .transfusion
safety between blood transfusion establishment and care establishments
(int.digestof the health legislation 1992.vol43 .no2,p.282)
- 5) Law no, 93-5 of 4 January 1993 on safety in the field of blood transfusion and
in regard to medicaments (international digest of health legislation
1993vol.44,no2.p.236) .
- 6) Order of 29 July 1992 laying down the conditions to be Fulfilled by blood
transFusion estabLishments in other to retain coverage by the Agreement
provided For by ArticLe. L . 667 of the public Health code (International pigest
of Health LegisLation , VoL . 44 . No .2. 1993 .P. 233).
- 7) bailey and loves short practice of surgery Eighteen edition ,1981,p.76.
- 8) Med.H.C.walther weibaure rechtliche problem anasth intensivmed ,29-
1988.p.135
- 9) R.M.HARPISTY and DJ WEATHERALL Blood and its Disorders Black Well
scientific publication oxford edinburne ,1977.p.1484.
- 10) LAURENCE ENGEL Le droit Francais de la responsabiLite a pres LaFFaire
du sang cantamine Regards , sur Lactualite decembre , 1994,p.3.
- 11) DIETER HART – HIV – InFeKtionen durch BEUt und Blutprodukte , MedR
1995 – P.61 – 63 .
- 12) Deutsch das gesetz uber die humanitae hilfe fur durch blutprodukte HIV-
Infizierte, neue juristische wochenschrift 1996.p.756.
- 13) Stephen J.hadfield ,Law and ethice for doctors London , eyre and spott is
woode,1958.p.116 .
- 14) Les dessous laffaire du sang contaminede rivalite franco –
americaine le monde diplomatique-fevrier1999.

٢٠٧.

المبحث الأول

٢٠٧.

الماهية القانونية لعملية نقل الدم

٢٠٧

المطلب الأول : تاريخ وأسس عملية نقل الدم .

٢٠٨

المطلب الثاني : حكم نقل الدم في الأديان السماوية .

٢٠٩

الفرع الأول : في الديانة المسيحية .

الفرع الثاني : في الشريعة الإسلامية .

٢١٣

المطلب الثالث : الأساس القانوني لعملية نقل الدم .

٢١٤

الفرع الأول : حاله الضرورة .

٢١٥

الفرع الثاني : المصلحة الاجتماعية .

٢١٦

المطلب الرابع : شروط عملية نقل الدم .

٢١٧

الفرع الأول : شروط التبرع بالدم .

٢٢٠

المطلب الأول : رضا صانع من المتبرع بالدم .

المطلب الثاني : أن يكون التبرع بدون مقابل .

٢٢٣

الفرع الثاني : شروط نقل الدم .

المطلب الأول : رضا متلقي الدم .

٢٢٥

المطلب الثاني : تبصير متلقي الدم .

٢٢٧.

الثاني

٢٢٧

الجرائم التي تقع من جراء نقل الدم .

المطلب الأول : جريمة نقل الدم الملوّث عمداً

٢٣٠

الفرع الأول : لتكليف القانوني لجريمة نقل دم ملوث إلى المريض عمداً

٢٣٠

أولاً: موقف التشريعات المقارنة

٢٣٢

ثانياً: موقف الفقه

٢٣٣

ثالثاً: موقف القضاء

٢٣٩

الفرع الثاني : أركان الجريمة

٢٣٩

الركن الأول : محل الجريمة

٢٣٩

الركن الثاني : الركن المادي



REVUE AL HOQUOQ

POUR LES ETUDES JURIDIQUES ET
ECONOMIQUES

PUBLIEE PAR

LA FACULTE DE DROIT

UNIVERSITE D'ALEXANDRIE